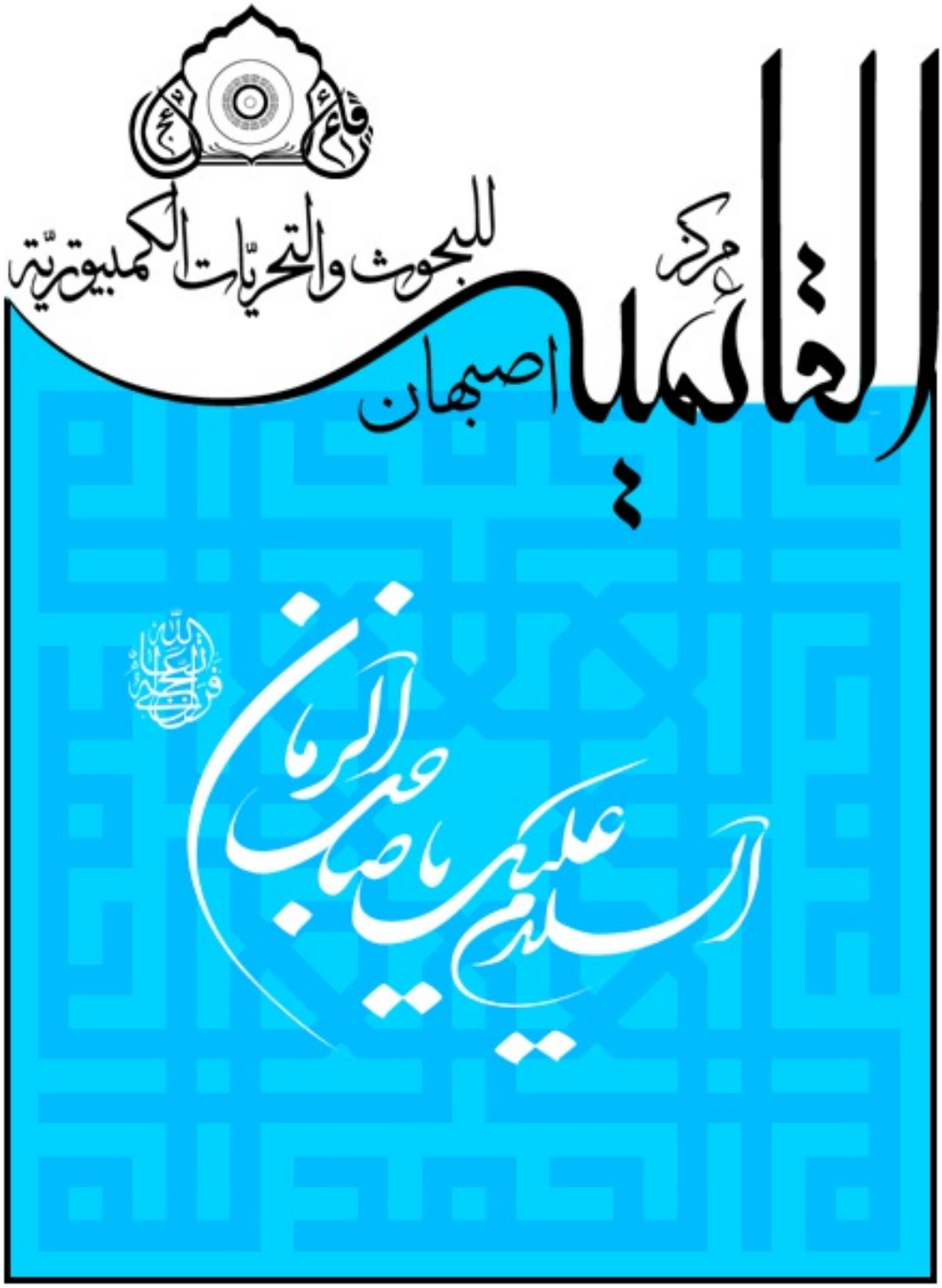

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة الدروس المعارفية

البداء
آية عظمة الله

دراسة تحليلية في علم الله تعالى وقدرته والبداء

تقريراً لمحاضرات
العلامة الشيخ محمد باقر علم الهدى

السيد علي الرضوي

بسم الله الرحمن الرحيم

البداء آیة عظمة اللّه: دراسة تحلیلیّة فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء

کاتب:

محمد باقر علم الهدی

نشرت فی الطباعة:

ولایت

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
البداء آیه عظمه اللّه: دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء ----- ۸
اشاره ----- ۸
مقدمه ----- ۹
شکر وتقدیر : ----- ۱۵
الفصل الأوّل : ----- ۱۷
أهمّیه البداء ----- ۱۷
الفصل الثانی : ----- ۲۱
الوجه فی البداء ----- ۲۱
الأمر الأوّل : ----- ۲۲
الأمر الثانی : ----- ۲۲
الفصل الثالث : ----- ۲۳
إجمال معنی البداء ----- ۲۳
الفصل الرابع : ----- ۳۳
معرفه علم اللّه تعالی ----- ۳۳
العلم المخزون ----- ۴۱
العلم المخزون فی الآیات : ----- ۴۱
الآیه الأولی : ----- ۴۱
الآیه الثانیه : ----- ۴۲
الآیه الثالثه : ----- ۴۲
الآیه الرابعه : ----- ۴۲
الآیه الخامسه : ----- ۴۳
الآیه السادسه : ----- ۴۳

الآیه السابعه : ۴۴
الآیه الثامنه : ۶۳
الآیه التاسعه : ۶۴
الآیه العاشره : ۶۷
الآیه الحادیه عشره : ۶۸
العلم المخزون فی الأخبار : ۶۸
العلم المحمول فی الآیات ۸۲
اشاره ۸۲
آیات العرش ۹۴
العلم المحمول فی الروایات ۱۰۳
اشاره ۱۰۳
مراتب وقوع الشیء فی الخارج ۱۰۶
آیات المشیّه ۱۱۰
الفصل السابع : ۱۲۶
البداء ۱۲۶
أدلّه البداء فی الآیات ۱۴۶
الآیه الأُولی : ۱۴۶
أدلّه البداء فی الأخبار ۱۵۳
اشاره ۱۵۳
حدیث التردّد ۱۶۶
الفصل الثامن : ۱۷۳
البداء عن علم ۱۷۳
الفصل التاسع : ۱۸۱
آثار الإعتقاد بالبداء ۱۸۱

الفصل العاشر : ----- ۱۸۵
البداء لیس هو الإبداء ----- ۱۸۵
الفصل الحادی عشر : ----- ۲۰۱
کلمات العلماء البشریّین فی فاعلیّه اللّه تعالی والبداء ----- ۲۰۱
تمهید : ----- ۲۰۱
قدره اللّه حقیقه لا خیال : ----- ۲۰۲
تعریف مرکز ----- ۲۰۴

البداء آیه عظمه اللّه: دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء

اشاره

سرشناسه : علم الهدی ، محمدباقر ، ۱۳۴۱ ۱۳۸۹

عنوان ونام پدیدآور: البداء آیه عظمه اللّه: دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء/محاضرات الشیخ محمّدباقر علم الهدی ؛ السیّدعلیّ الرضویّ .

مشخصات نشر : مشهد ، ولایت ، ۱۳۹۰ .

مشخصات ظاهری : ۳۳۶ص .

فروست : سلسله الدروس المعارفیه .

شابک : ۹۷۸ ۹۶۴ ۶۱۷۲ ۳۹ ۵

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی .

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس و همچنین از ص۳۱۵ ۳۲۲ .

موضوع : بداء

موضوع : خدا علم لا یتناهی

موضوع : خدا قدرت لا یتناهی

شناسه افزوده : رضوی ، سید علی ، ۱۳۵۶

رده بندی کنگره : ۱۳۹۰ ۴ ب ۸۳ ع / ۴۴ / ۲۱۸ BP

رده بندی دیویی : ۴۲/۲۹۷

شماره کتابشناسی ملی : ۲۶۰۸۴۶۵

البداء آیه عظمه اللّه

محاضرات العلّامه الشیخ محمّدباقر علم الهدی

تقریر : السیّد علیّ الرضویّ

الناشر : منشورات الولایه

الطبعه الأولی ۱۴۳۳ه.ق (۱۳۹۰)

الکمیّه : ۱۰۰۰ نسخه

المطبعه : شرکه الطباعه والنشر التابعه للآستانه الرضویّه المقدّسه

الشابک : ۵ ۳۹ ۶۱۷۲ ۹۶۴ ۹۷۸

المرکز التوزیع : شارع خسروی نو سوق الکبیر لبیع السجّاد منشورات الولایه

الهاتف : ۲۲۲۱۳۱۷ ۰۵۱۱ النقّال : ۰۹۱۵۱۵۷۶۰۰۳

web-site:www.velayatpub.ir Email: velayatpub@info.ir

ص: ۱

مقدمه

ص: ۲

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ *

مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ *

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَ نْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآ لِّينَ *

الفاتحه علی روح المرحوم

الحاج فائق زید الکاظمیّ رحمه اللّه علیه

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

سلسله الدروس المعارفیّه

البداء

آیه عظمه اللّه

دراسه تحلیلیّه فی علم اللّه تعالی وقدرته والبداء

محاضرات العلاّمه الشیخ محمّد باقر علم الهدی

السیّد علیّ الرضویّ

ص: ۶

ص: ۷

شکر وتقدیر :

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

الحمـد للّه ربّ العالمین ، والصـلاه والسـلام علی محمّد وآله الطاهرین ، لا سـیّما بقیّه اللّه فی الأرضـین الإمام الحجّه بن الحسن ، فداه أرواح العالمین ، واللّعن الدائم علی أعدائهم أجمعین .

أمّا بعد ، فهذه حصیله أبحاث شیخنا العلاّمه محمّد باقر علم الهدی ، حفظه الباری تعالی ورعاه فی بحث «البداء» وما یتعلّق به .

ولمّا کانت هذه المباحث من أهمّ المباحث المعارفیّه ، أحببت أن أجمعها فی کتاب یحتوی علی أهمّ أُمورها ، فجمعتها تذکره لنفسـی ولغیری ، وللّه تعالی الحمد والمنّه علی توفیقه الحسن الجمیل ، ولأستاذنا خالص الشکر ، وعلی اللّه أجره .

هذا ، وینبغی أن أُشـیر إلی أنّ هذا الکتاب یحتوی علی بعض ما اسـتوحیته من بیانات سـیّدنا الأُستاذ آیه اللّه علیّ رضا القدّوسی قدس سره ، وکذا إفادات شـیخنا الأُستاذ العالم الربّانیّ المیرزا جلال المروارید حفظه اللّه تعالی ورعاه . فلا یسعنی إلاّ أن أسأل الباری تعالی أن یتقبّل منهما صالح أعمالهما ، وأن یحشرهما مع محمّد وآله الطاهرین صلواته علیهم أجمعین ، وأن یتقبّل منّی هذا العمل ببرکتهم ، إنّه علی ما یشاء قدیر ، وبالإجابه جدیر .

ص: ۸

وينبغى أن أتقـدّم بالشـكر الجزيل لشـيخى وأُسـتاذى سـماحه الشـيخ كاظم الخراسانىّ حيث عرّفنى بهـذه الثلّه الطيّبه من العلماء الأبرار وبذل وقتاً كثيراً فى بيان المعارف الإلهيّه وتصحيح كتابى «سدّ المفرّ على القائل بالقدر» و «سدّ المفرّ على منكر عالم الذرّ» .

وكذا أشكر سماحه السيّد العمّ جواد الرضوىّ على تصحيحه هذا الكتاب وبعض الكتب الأخرى .

مشهد المقدّسه

علىّ الرضوىّ

۱۶/صفر الخير/۱۴۳۰

ص: ۹

الفصل الأوّل :

أهمّيه البداء

يظهر من الأدلّه أنّ معرفه البداء من أهمّ المعارف الإلهيّه وأشرفها ، بحيث إنّ اللّه تعالى ما كان ليبعث نبيّاً إلّا بعد الإقرار بالبداء له وأنّه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت .

والظاهر أنّ الوجه فى أهمّيه الإعتقاد به أنّه يرجع إلى الإعتقاد بسعه علم اللّه تعالى وسعه قدرته وسعه مالكيّته ، فعدم الإعتقاد به يوجب الخلـل فى المعرفه إمّـا من نـاحيه الشـبهه فى علمه تعالى والـذهاب إلى أنّ اللّه تعالى خلق ما علم وما لم يخلقه إنّما لم يخلقه لجهله به وإمّا من جهه دخول الشبهه عليه فى سعه قدرته تعالى على أن يفعل ما يريد ، وإمّا من جهه التشكيك فى سعه مالكيّه اللّه تعالى . ولذا يكون إنكار البداء إنكار ركن أصيل من أركان المعرفه .

أفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه المحقّق محمّد باقر الملكىّ قدس سره ما هذا نصّه :

قـد تبيّن ممّا أوردنا من الآيات والروايات أنّه تعالى مالك وقادر بـذاته للفعل وضـدّه ونقيضه فى مرتبه ذاته ، فيمتنع صـدور الفعل عنه إيجاباً من دون إعمالٍ لمالكيّته وقادريّته .

وحيث إنّه سـبحانه حكيم لا ـ يختـار إلاّ ـ مـا كـان مطابقـاً للحكمه ، فلا ـ محاله يختار الأفعال الحكيمه ، وبـديهىّ أنّ كون الفعل مطابقاً للحكمه ، ليس علّه لإيجاده ، بل القدره حاكمه عليها ، فيفعل ما يفعل عن اقتدار وسلطانه .

وحيث إنّه لا إيجاب عليه تعالى فى ما يختاره ويفعله ، فله سبحانه تبديل ما قدّره أوّلاً بتقدير جديد بما كان مطابقاً للحكمه أيضاً عن

ص: ۱۰

سلطانه ومالكيّته . وهـذا هو سرّ البـداء ومنشؤه . أمّا إذا كان صـدور الفعل إيجاباً عليه تعالى ، فلا يكون له تعالى قـدره ولا مالكيّه ولا مشيّه ولا إراده . فعليه لا يكون تعالى قادراً ومالكاً على الإطلاق ، فيبطل توحيده تعالى بالقدره والمالكيّه .

ومن هنا يعلم أنّ إنكار البـداء الـذى هو آيه كونه سـبحانه قادراً ومالكاً ، إنكار لعين القدره والمالكيّه . فما عُظّم اللّه بمثل البداء . وهو سبحانه يَمْلِك من الأنام ما يشاء ولا يملكون منه إلّا ما يريد .

وحيث إنّ معرفه البـداء ونيل أسـراره وأغواره والتسـليم فى قباله عباده ذاتيّه ، فما عبد اللّه بشـىء بمثل البداء . ومن هنا يُعلم أيضاً شأنه وموقعه فى معرفته تعالى وتوحيده أنّه ما تنبّأ نبىّ إلّا أن يقرّ بالبداء(۱) . انتهى كلامه رفع مقامه

عن الإمام أبى عبد اللّه عليه السلام : ما بعث اللّه عزّ وجلّ نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبوديّه ، وخلع الأنداد ، وأنّ اللّه يقدّم ما يشاء ويوءخّر ما يشاء(۲) .

عن الإمام الرضا عليه السلام : ما بعث اللّه نبيّاً قطّ إلّا بتحريم الخمر ، وأن يقرّ له بالبداء(۳) .

عن الإمام أبى عبـد اللّه عليه السـلام : ما بعث اللّه نبيّاً قطّ حتّى يأخذ عليه ثلاثاً : الإقرار للّه بالعبوديه ، وخلع الأنداد ، وأنّ اللّه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء(۴) .

عن مرازم بن حكيم قال : سـمعت الإمام أبا عبـد اللّه عليه السـلام يقول : ما تنبّأ نبىّ قطّ حتّى يقرّ للّه بخمس خصال : بالبداء والمشـيئه والسجود والعبوديّه والطاعه(۵) .

۱- توحيد الإماميّه : ۳۹۲ ۳۹۳ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، التوحيد : ۳۳۳ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، التوحيد : ۳۳۱ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، المحاسن : ۱/۲۳۳ .

۵- الكافى : ۱/۱۴۸ .

ص: ۱۱

أقول : لعلّ المراد من المشیّه فی المقام حدوثها فی قبال من ذهب إلی المشیّه الأزلیّه ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه المنتجبون .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : إنّ عبد المطّلب أوّل من قال بالبداء ، یبعث یوم القیامه أمّه وحده ، علیه بهاء الملوک وسیماء الأنبیاء(۱) .

أفاد العلاّمه المجلسیّ قدس سره فی قوله علیه السلام : «أوّل من قال بالبداء» : «أی من قومه بنی إسماعیل أو من غیر الأنبیاء»(۲) .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام : ما عظّم اللّه بمثل البداء(۳) .

عن زراره بن أعین عن أحدهما علیهماالسلام قال : ما عبد اللّه بشیء مثل البداء(۴) .

بیان : العبودیّه لغه بمعنی منتهی الخضوع للمعبود بحیث لا ینبغی إلاّ للمالک ، أو هی عباره عن منتهی الخضوع للمعبود مع الإعتقاد بمالکیّته للعابد ، ومن اعتقد بالبداء وأنّ اللّه تعالی قادر علی أن یفعل ما یشاء ، یکون فی منتهی الخضوع للّه تعالی .

۱- الکافی : ۱/۴۴۷ .

۲- مرآه العقول : ۵/۲۳۷ .

۳- الکافی : ۱/۱۴۶ .

۴- الکافی : ۱/۱۴۶ .

ص: ۱۲

ص: ۱۳

الفصل الثانی :

الوجه فی البداء

الظاهر أنّ الوجه فی وقوع البداء للّه تعالی هو إظهار سلطانه لعباده ، فتزداد بذلک معرفتهم به تعالی وأنّه علی کلّ شیء قدیر ، فإنّ معرفه إحاطه اللّه تعالی بخلیقته بحیث له أن یفنی من یشاء منهم ، وله أن یبقی من یشاء ، وله أن یزید فی الخلق ما یشاء أو ینقص ، لیزید معرفه العارف باللّه تعالی ، فیعرف ربّه بالسلطنه التامّه علی خلقه ، وأنّه فی قبضته ، یفعل به ما شاء ، ولذا یخشاه ویخافه مع أنّه لا یشکّ بعداله الباری تعالی فإنّ العباد لا یخافون إلاّ العدل منه کما ورد فی الدعاء «و من کلّ عدلک مهربی»(۱) ، ویرجوه بلا نهایه لمعرفه قدرته علی الرحمه المطابقه للحکمه ، وأنّ الفضل یلیق بربوبیّته ، فیبقی العارف باللّه بین الخوف والرجاء أبداً ، فیظلّ مراقباً لنفسه یلومها علی التجرّی علی مالکها ، ویوبّخها علی انتهاک حدوده ، ویحمد اللّه الخالق علی التوفیقات التی ساعدته علی الحسنات ، ویرجوه لأن یعفو عن ذنبه .

وبکلمه واضحه ، یعلم أنّ اللّه تعالی مبسوط الیدین ، إن شاء أخذ أخذ عزیز مقتدر وهو عدل ، وإن شاء یرحم ویعفو وهو فضل ، فإنّ اللّه تعالی کلّ یوم هو فی شأن ، وإنّه یفعل ما یشاء ، ویرحم من یشاء بما یشاء کیف یشاء ، ویعذّب من یشاء بما یشاء کیف یشاء ، لا یسئل عن فعله وهم یسئلون ، لأنّ أفعاله إمّا عدل أو فضل ، وحُسْن کلاهما ذاتیّ ، لا یعلّل بعلّه حتّی یُسأل عن وجه فعله تعالی .

لا یقال : أنّه لا یمکن لنا الإطّلاع علی وقوع البداء للّه تعالی فلا یکون معرفه البداء ممّا یزید فی معرفه العبد ، إذ البداء فعل إلهیّ ولا یمکن للمخلوق الإطّلاع علیه .

۱- الإقبال : ۳۴۵ .

ص: ۱۴

لأنّه يقال : يمكن معرفه البداء عبر أمرين :

الأمر الأوّل :

روءيه آثار التقدير الأوّل ثمّ روءيه التقدير الثانى كما حصل لقوم يونس عليه السلام حيث رأوا آثار العذاب ثمّ أدركتهم الرحمه الإلهيّه ، وكما يحصل لكثير منّا فى كثير من الأحيان عند الإتيان ببعض الصالحات الموءثّره فى التقديرات الإلهيّه كصله الرحم والصدقه وزياره سيّد الشهداء عليه السلام ، فإنّا قد نرى آثار التقدير الأوّل باقتراب البلاء منّا إلاّ أنّه يحجبه عنّا التقدير الجديد الثانى فنشكر اللّه تعالى على رفعه البلاء .

وكذا الأمر فى جانب تقدير البلاء بعد إتيان ما يستلزم ذلك ، فإنّه قد يكون الواحد منّا ماضياً فى حياه سعيده ، إلاّ أنّه يرتكب فيها بعض المحرّمات فتتبدّل حياته إلى حياه تعيسه ، فيعرف بذلك أنّ التقدير الثانى إنّما هو لأجل أفعاله القبيحه كما هو صريح قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ »(۱) فإنّ تغيير النعمه ليس إلاّ لأجل الأعمال القبيحه الصادره عن اختيار الإنسان .

الأمر الثانى :

إخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام بإمكان التغيير فى التقديرات الإلهيّه بل وقوع التغيير فى بعضها ، ومعرفه ذلك من الأنبياء الذين ثبت صدقهم يكفى فى حصول حاله الخوف والرجاء عند الموءمن .

أمّا الكلام حول البداء عن علم وقدره وحكمه وإمكان التغيير فى التقديرات ، فسيأتى فى غضون البحث إن شاء اللّه تعالى ، فانتظر .

۱- الرّعد : ۱۱ .

ص: ۱۵

الفصل الثالث :

إجمال معنى البداء

وهو يتوقّف على بيان أمور :

قد ثبت بالأدلّه أنّ للّه تعالى البداء فى ما شاء وكيف شاء ، فإنّه لا حدّ لعلمه تعالى لعلمه بالكائنات واللاّكائنات والتقديريّات بما لا يتناهى ولا حدّ لقدرته فإنّه على كلّ شىء قدير ولا حدّ لحكمته فإنّ الحكمه كما عرفت لا تنحصر بحسب الغالب فى صوره واحده ولذا له أن يمحو ما كان مع أنّ التقدير الأوّل كان تقديراً حكيماً وأن يثبت بعده ما شاء لكمال ذاته وكونه تعالى ذا رأى وبداء .

والإلتزام بما ذكرناه لا يوجب إثبات الجهل فى حقّه تعالى لأنّ اللّه تعالى عالم أزلاً ، فهو عالم بهذا الكون ونقيض هذا الكون وأمثال هذا الكون بما لا يتناهى ، وهو عالم بصور حكيمه لا متناهيه للأكوان اللاّمتناهيه . فكما أنّه عالم بهذا الكون عالم أيضاً بكون آخر ذى حكمه ، فليس خلق هذا الكون من دون سائرها لعدم قدرته تعالى على خلقها بل هى متساويه بالنسبه إلى قدرته ، ولذا لابدّ لها من المرجّح : والمرجّح هو رأيه وبداؤه ، كما أنّ ترجيح خلق هذا الكيان على سائر الأكوان ليس بعد وجود مصلحه فيه دون ما لم يختره ، بل لرأيه وبدائه الواقع على هذا الكون دون سائر الأكوان .

و بعباره أخرى : إنّ علم اللّه تعالى لا حدّ له أبداً فإنّه عالم بهذا الكون ولا كونه ، وهو عالم بأكوان متساويه فى الحكمه ، وبأكوان فاقده للحكمه وهكذا ، بل هو عالم بالتقديريّات والممتنعات أيضاً فإنّه يعلم أنّ وجود إلهين يوجب الفساد فى الكون

ص: ۱۶

كما قال سبحانه : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا »(۱) ولمّا كانت الأكوان الحكيمه وغيرها متساويه بالنسبه إلى قدرته تعالى وكان اللّه تعالى قادراً على ما يريد ، ولمّا كان تعالى عالماً بأكوان متساويه فى أصل الحكمه ، لا بدّ لثبوت أحدها من التعيين ، فإنّ الشىء لا بدّ من تعيينه كى يقع فى الخارج ، ولذا لابدّ من رأيه وبدائه المرجّح لأحد الأكوان التى علمها اللّه تعالى بالعلم بلا معلوم فتحقّق أحد تلك الأنظمه الحكيمه المعلومه للّه تعالى بالعلم بلا معلوم متوقّف على رأيه وبدائه المرجّح لأحدها .

ولمّا كانت حكيمه ، لا يسئل عن علّه اختياره لأحدها دون غيره ، فإنّ الإعتراض لا يجوز على الفعل الحكيم ، والحكمه غير منحصره فى واحد منها واختيار الحكيم من سائر الأنظمه الحكيمه فعل حكيم لا يسئل فاعله عنه ، ولذا قال تعالى : « لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ »(۲) .

وورد فى دعاء أبى حمزه المروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام «ترحم من تشاء بما تشاء كيف تشاء وتعذّب من تشاء بما تشاء كيف تشاء» فإنّ العفو عن المذنبين فضل وهو فعل حكيم ، كما أنّ تعذيبهم بسبب أفعالهم الإختياريّه عدل وهو فعل حكيم أيضاً ، ولذا لا يسئل عن فعله أبداً سواء كان فضلاً ورحمه أم نقمه وعذاباً .

و بعباره ثالثه فيها توضيح للمطلب : معرفه البداء الذى هو آيه عظمه الربّ تعالى يتوقّف على أمور :

الأوّل : معرفه أنّ علمه تعالى علمان : علم مكفوف وعلم مبذول . والظاهر أنّ المراد من العلم المكفوف هو العلم الذى لا حدّ له ولا نهايه له أبداً فإنّه تعالى علم كلّه وقدره كلّه ، وإنّه تعالى عالم أزلاً وعلمه تعالى كشف للمعلوم قبل وقوعه ، فعلمه

تعالى علم بلا معلوم وكان اللّه تعالى عالماً بهذا النظام الذى خلقه قبل خلقه ، كما كان تعالى عالماً بنقيضه ولا وقوعه ، وهو تعالى عالم بأنظمه كونيّه بلا نهايه .

۱- الأنبياء : ۲۲ .

۲- الأنبياء : ۲۳ .

ص: ۱۷

و أمّا العلم المحمول فهو العلم الـذی حمّله رسـله وأنبیاءه وأولیاءه وملائکته ، فإنّه لمّا کان تعالی عالماً بأنظمه کونیّه متعدّده بلا معلوم ولمّـا تعلّقت مشـیّته تعـالی بخلق الخلق ، یکون تحمیـل أولیـائه العلم تعییناً لأحـد تلک الأنظمه اللامتناهیه المعلومه للّه تعالی بالعلم بلا معلوم (أو آیه لما تعلّق به رأیه القدّوس) .

فالعلم المحمول هو آیه رأی اللّه تعالی لتعیین أحـد الأنظمه المعلومه له کی یخلق هذا النظام دون سائرها . والظاهر من الأخبار أنّ هذا العلم مسـمّی بالمشیّه أیضاً ، ولذا یکون العالم به حاملاً لمشیّه اللّه تعالی . وسیأتی تفصیل ذلک إن شاء اللّه تعالی . وهذا العلم علم بلا معلوم أیضاً لأنّه إنباء بما سیفعله فی الخارج مستقبلاً .

الثـانی : معرفه عـدم انحصـار الحکمه فی نظـام واحـد بل إنّه تعالی عالم بأنظمه لا متناهیه حکیمه کما أنّه تعالی عالم بأنظمه لا متناهیه غیر حکیمه أیضاً . وبما أنّه تعالی حکیم لا یختار الفعل الغیر حکیم إلّا أنّه تعالی له أن یختار من بین الأنظمه الحکیمه اللامتناهیه نظاماً للخلق ، فـإنّه تعـالی علم کلّه وعـالم بجمیع الأـنظمه اللامتنـاهیه بـالعلم بلاـ معلوم ، وتحقّق شـیء منهـا دون سائرها یحتاج إلی تعیین ، والمعیّن هو رأیه القدّوس المستند إلی کمال ذاته .

وبمـا أنّ الأـنظمه التی یختار من بینها کلّها حکیمه ، لا یسـئل عن علّه اختیاره لأحـدها دون غیرها ، ذلک أنّ جمیعها مطابقه للحکمه ، ولذا قال تعالی : «لا یسئل عمّا یفعل وهم یسألون» .

الثالث : معرفه قـدرته تعالی ، فإنّه تعالی علی کلّ شـیء قدیر فما لم یکن وقوعه مسـتحیلاً فی الخارج مقدور للّه تعالی ، فقدرته تعالی علی جمیع الأـنظمه اللامتنـاهیه المعلومه له تعـالی بـالعلم بلاـ معلوم توجب مساواه جمیعهم بالنسـبه إلیه تعالی ، فله أن یفعل وله أن لا یفعل ، ولا ملزم لأحد الأطراف ، فإنّ له تعالی أن یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید .

نعم ، إنّه تعالی لا یفعل القبیح عن قدره ولذا یسبّح ویمجّد فإنّه تعالی وإن کان

ص: ۱۸

قادراً علی الظلم إلّا أنّه لا یظلم أحداً ، بل إنّه تعالی لا یحتاج إلی الظلم کما ورد فی الدعاء «إنّما یحتاج إلی الظلم الضعیف واللّه أقهر من ذلک»(۱) فإنّ من کان قادراً علی إیجاد مقاصده من طریق العدل ، لا یظلم أبداً .

الرابع : أنّه لابدّ لتحقّق الشیء فی الخارج من مضیّه فی سبع مراحل کما ورد فی الخبر :

عن الإمام موسی بن جعفر علیهماالسلام : لا یکون شیء فی السماوات ولا فی الأرض إلّا بسبع : بقضاء وقدر وإراده ومشیّه وکتاب وأجل وإذن . فمن زعم غیر هذا ، فقد کذب علی اللّه أو ردّ علی اللّه عزّوجلّ(۲) .

وسیأتی تفصیل ذلک إن شاء اللّه تعالی .

الخامس : بعد ما عرفت أنّ اللّه تعالی عالم بأنظمه لا متناهیه بالعلم بلا معلوم وأنّه تعالی قادر علیها فهی فی قبال قدرته سواء ویکون المخصّص لأحد تلک الأنظمه رأیه وبدائه القدّوس ، فالمعیّن لأحدها دون سائرها هو رأیه تعالی المستند إلی کمال ذاته فإنّه یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید ولا یحقّ لأحد الإعتراض علیه أبداً .

وهل یجوز للمخلوق الضعیف أن یعترض علی الربّ الجلیل السلطان القدّوس العالم القادر العدل الحکیم ؟ أو لم یکن فعله تعالی مطابقاً للحکمه ؟ أو لم یکن فعله عدلاً أو فضلاً وکلاهما حسن فی غایه الحسن ؟ فإن خلق ، یکون ذلک مستندا إلی الفضل ، وإن لم یخلق یکون ذلک مستنداً إلی العدل ، فأیّ وجه للإعتراض علیه ؟ جلّت ساحه قدسه عن إعتراض الجاهلین فإنّه یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید ، ویرحم من یشاء بما یشاء کیف یشاء ، ویعذّب من یشاء بما یشاء کیف یشاء ، ولا یسئل عن فعله وهم یسئلون .

بل إنّ أصل الخلق مبنیّ علی التفضّل کما ورد فی الدعاء «بنیت أفعالک علی

۱- بحارالأنوار : ۵/۵۳ ، الصحیفه السجادیّه : ۲۴۰ .

۲- الکافی : ۱/۱۴۹ .

ص: ۱۹

التفضّل»(۱) ولـذا ورد فی الأخبـار أنّه تعـالی کـان ولم یکن معه شـیء ثمّ خلق الخلق فهو أزلیّ ، وکان ولم یکن معه شـیء بوجه من الوجـوه ثمّ خلـق الخلق فأصـل الخلق مؤسّـس علی التفضّـل . ولـذا قـال أمیرالموءمنین علیه السـلام : أنّ أوّل النعم هی نعمه الخلق «أن خلقنی جلّ ثناوءه ولم أکُ شیئاً مذکوراً»(۲) .

ومن هنـا ، یکون السوءال عن علّه تعلّق رأیه القـدّوس بخلق هـذا النظام دون سائر الأنظمه من أفحش الأغلاط ، لأنّ هـذا النظام حکیم کسائرها والمرجّح له هو رأیه القـدّوس المسـتند إلی کمال ذاته تعالی ، فهو ذا رأی وذا بـداء وذا قدره . هذا بالنسـبه إلی ترجیح أحد الأنظمه اللامتناهیه الحکیمه علی سائرها .

وأمّـا بالنسـبه إلی البـداء فی النظـام الکـائن الحکیم ، فـأمره یعرف ممّا ذکرناه ، فإنّ اللّه تعالی وإن تعلّقت مشـیّته بوجود شـیء وأراده وقـدّره وقضـاه إلاّ أنّ له أن یبـدو له قبـل تحقّق الشـیء فی الخـارج ، فإنّ الأمر وإن أُبرم إبراماً لا یوجب الحکم علی اللّه تعالی بلزوم إتیـانه ، لأنّه تعـالی قـادر علی تغییر مشـیّته قبل وقوع القضاء بالإمضاء ، والحکمه لا تنحصـر فی أمر واحـد کی یلتزم به تعالی ، بل هو تعالی عالم بأُمور وتقدیرات حکیمه فی شیء واحد بما لا یعلمه إلاّ هو .

و لمّـا کـان التغییر فی العلم المحمـول لا یمسّ علمه المکفـوف بسـوء إذ أنّه مقـدّس عن کـلّ تغییر فـإنّه کشـف للأنظمه اللامتنـاهیه الحکیمه ونقیضها فإنّه تعالی کما هو عالم بهذا النظام عالم بغیره ونقیضه أیضاً لا یکون التغییر فی المشیّه مضرّاً بالعلم المکفوف ، وإن کان العلم الربّانی ورأیه القدّوس منشأً للتغییر کما ورد فی الخبر «من ذلک یکون البداء»(۳) فتدبّر جیّداً .

ثمّ إنّه لا شکّ أنّ اللّه تعالی لا یفعل القبیـح ، فلا یصـدر منه الظلم أبداً مع أنّه قادر علی ذلک ، وهذا هو وجه تسبیحه وتمجیده تعالی فإنّه یسبّح ویمجّد علی عدم

۱- الإقبال : ۲۴۸ .

۲- بحارالأنوار : ۶۷/۲۱ ، أمالی الطوسی : ۴۹۰ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۹۵ و ۱۰۹ ، بصائر الدرجات : ۱۱۰ .

ص: ۲۰

الظلم کما قال تعالی : « وَمَا رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ »(۱) ولذا یکون الخوف من اللّه تعالی خوفاً من عدله وقسطه کما ورد فی الدعاء «من کلّ عدلک مهربی»(۲) ولکنّ الکلام یدور حول مصداق الظلم والعدل . فقد یخفی علی العاقل ذلک فلا یعلمه ولا یمکن أن یتذکّر إلّا عبر تعلیم المعلّم الإلهی المعصوم وتذکیر المذکّر ، فقد یتّفق أن یجهله العاقل أو یغفل عن ذلک کما حصل لموسی علیه السلام فی قصّته مع العالم ، فظنّ أنّ قتل الغلام بغیر نفس من مصادیق الظلم ، ولذا اعترض علیه وکم لذلک من نظیر .

و لا ریب أنّ المحال وقوعه عقلاً لا یمکن صدوره منه تعالی ، ولیس هذا لنقص فی قدره اللّه تعالی بل هو لامتناع وقوع الشیء ذاتاً . فعدم إمکان خلق إله وربّ آخر لیس لنقص فی قدره اللّه تعالی بل لامتناع ذلک ذاتاً ، فإنّ المخلوق لا یمکن أن یکون ربّاً لفقره الذاتیّ واحتیاجه إلی الغیر فی ذاته .

قال شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المیرزا حسن علیّ المروارید قدس سره :

القدره إنّما تتعلّق بشیء ممکن فی ذاته دون الممتنع ، کالجمع بین النقیضین ، ولیس ذلک نقصا فیها ، بل النقص فی المتعلّق وهو امتناعه ذاتا ، وهذا هو المراد من روایه ابن أُذینه عن أبی عبداللّه علیه السلام ، قال : قیل لأمیرالمؤمنین علیه السلام : هل یقدر ربّک أن یدخل الدنیا فی بیضه ، من غیر أن تصغر الدنیا أو تکبر البیضه ؟

قال : إنّ اللّه تعالی لا ینسب إلی العجز ، والذی سألتنی لا یکون(۳) .

وفی روایات أُخر أوردها فی البحار جوابان آخران مرجعهما إلی بیان أنّ ما یمکن فی مورد السؤال أمرین : أحدهما أن یصغّر الکبیر أو یکبّر البیضه ، والثانی انطباع صوره الکبیر فی عدسه العین ، أو إحاطه الشعاع الذی قاعدته فی العدسه علی الکبیر ، علی أحد القولین فی

۱- فصّلت : ۴۶ .

۲- بحارالأنوار : ۹۵/۲۲۲ ، الإقبال : ۳۴۵ .

۳- التوحید للصدوق : ۱۳۰ ح۹ .

ص: ۲۱

کیفیّه الإبصار ، وأنّ اللّه تعالی قادر علیهما جمیعا . وعـدم التصـریح فیهما بعـدم تعلّق القـدره بالمحال کما صـرّح به أمیرالمؤمنین علیه السـلام فی الروایه المتقدّمه وبیّنه الإمام الصادق علیه السـلام لعمر بن أُذینه لعلّه إمّا لکون السائل معاندا ، فیتشـبّث بقوله : الذی سألتنی لا یکون لإثبات قصور القدره وعجزه تعالی ، أو لکونه قاصر الفهم فیتوهّم ذلک من کلام الإمام علیه السلام (۱) .

و هنـا أیضـاً قـد یتّفق أن یظنّ العاقـل بـأنّ أمراً من الأُمـور من الممتنعات ، إلّا أنّه لیس کـذلک ، ولـذا لا یمکن الإسـتغناء فی کشـف الممتنعات عن تـذکیر المذکّرین وتعلیم المعلّمین فیمکن أن یظنّ العاقل عدم إمکان سـلب الحراره من النار إلّا أنّ العارف بعلوم أهل البیت علیهم السـلام یعرف إمکـان ذلـک لأنّ الإحراق لیس ذاتیّاً للنار بل هو من الأعراض ، ویمکن سـلب الأعراض عن الجواهر فإنّ الأدلّه قد دلّت علی أنّ مادّه جمیع الکائنات واحده وهی مسـمّاه بالماء والإختلاف الحاصل بین الأشـیاء لیس ذاتیّاً بل هو من الأعراض کما بیّن ذلک عالم آل محمّـد الإمام الرضا علیه السـلام «خلق خلقاً مبتدعاً مختلفا بأعراض وحدود مختلفه»(۲) ومن أتقن هذا الأمر لا یصعب علیه تحمّل ما دلّ من الأدلّه علی تبدیل النار إلی برد وسلام کما فی قصّه إبراهیم علیه السلام وعلی ولاده الإنسان من دون أب کما فی عیسی النبی علیه السلام وغیرهما من الأمثله الوارده فی الکتاب والسنّه .

وغیر خفیّ أنّ أفعال اللّه تعالی حسنه وحکیمه دائماً ، فلا یصدر منه القبیح والعبث أبداً فکلّ أفعاله حمیده وکلّ مشیّته حکیمه ، بل إنّ أفعاله تعالی مبنیّه علی التفضّل کما ورد فی الدعاء «بنیت أفعالک علی التفضّل»(۳) والتفضّل حسن بحکم

۱- تنبیهات حول المبدأ والمعاد : ۱۴۱ ۱۴۲ .

۲- بحارالأنوار : ۱۰/۳۱۱ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۱/۱۶۸ ، التوحید : ۴۲۹ .

۳- الاقبال : ۲۴۸ .

ص: ۲۲

العقل ، ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أنّ أفعاله الحكيمه لا تنحصر فى صوره واحده بل قد يكون للشىء الواحد حِكَم لا متناهيه كما لو أراد اللّه تعالى أن يعيش زيد لمدّه عشره أعوام فإنّ ذلك فعل حكيم وكذا لو أراد أن يعيش لمدّه خمسين عاماً أو أقل أو أكثر من ذلك لأنّ ذلك مبتن على الفضل والجود وكلّ ذلك حكيم .

بل الحكمه قد تكون فى طرفى الفعل والترك ، فإذا عصى العبد ربّه فللربّ تعالى أن يوءاخذه فإنّ ذلك عدل ومطابق للحكمه ، كما أنّ له أن لا يوءاخذه ويعفو عنه فإنّ ذلك فضل ومطابق للحكمه أيضاً .

و من الواضح أنّ الآثار التى نراها فى حياتنا اليوميّه كالرىّ لمن شرب الماء ، والشبع لمن أكل الطعام ، والإحراق للنار وما أشبه وكذا الآثار المترتّبه على الأفعال الحسنه كالإطمئنان بذكر اللّه تعالى كما قال تعالى : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ »(۱) والآثار المترتّبه على الأعمال السيّئه كموت الفجأه المترتّب على الزنا كما ورد فى الخبر «إذا كثر الزنا كثر موت الفجأه»(۲) جميعها جعليّه ومرهونه بإراده اللّه تعالى ، ولا ـ عليّه فى التكوين ولا ـ فى التشريع بل للّه تعالى أن يوقف كلّ أثر متى شاء ، فله أن يسلب الحراره من النار ، ويوقف تأثير الزنا فى موت الفجأه ... وهكذا .

ثمّ إنّه وإن كان من اللازم على الإنسان أن يمضى وفقاً للآثار الجعليّه الإلهيّه فعليه أن يعود الطبيب إذا مرض مثلاً ـ ، إلاّ ـ أنّه يجب الإعتقاد بأنّ هذه الآثار آثار جعليّه وللّه تعالى أن يفصل كلّ أثر عن الموءثّر فعوده الطبيب واستعمال دوائه حتى الدواء الصائب لا يوءثّر إلاّ أن يشاء اللّه تعالى .

إذا عرفت ذلك ، يتّضح لك معنى البداء وآثاره فتعرف مدى سلطنه اللّه تعالى وأنّها غير متناهيه ولا حدّ ولا حصر لمالكيّته وأنّه يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره ، فلا حصر لمالكيّته تعالى لا من حيث الحكمه فإنّها غير منحصره فى أمر واحد ولا من حيث العلم فإنّه تعالى عالم بأنظمه لا متناهيه بالعلم بلا معلوم ولا

۱- الرّعد : ۲۸ .

۲- بحارالأنوار : ۷۶/۲۷ ، المحاسن : ۱/۱۰۷ .

ص: ۲۳

من حيث الآثار للأشياء فإنّها رهن إراده اللّه تعالى ولذا يكون العارف بمعنى البداء خائفاً راجياً .

هذا إجمال معنى البداء . ولأجل أهميّه الموضوع لابدّ من بيان أدلّته بالتّفصيل .

ص: ۲۴

ص: ۲۵

الفصل الرابع :

معرفه علم اللّه تعالى

الظاهر من الأخبار أنّ للّه تعالى علمين : علم مكفوف لا يعلمه إلّا هو ، وعلم محمول علّمه رسله وأنبياءه وأولياءه وملائكته .

عن الإمام جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال : إن للّه علماً خاصّاً وعلماً عامّاً . فأمّا العلم الخاصّ فالعلم الذى لم يَطَّلع عليه ملائكته المقربين وأنبياءه المرسلين . وأمّا علمه العامّ فإنّه علمه الذى أطلع عليه ملائكته المقرّبين وأنبياءه المرسلين ، وقد وقع إلينا من رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۱) .

أقول : الظاهر أنّ عدم اطّلاع أحد على العلم الخاصّ إنّما هو لأجل أنّ ذلك العلم مختصّ به ، وهو عين ذاته القدّوس .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام قال : إنّ للّه علمين : علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً . فأمّا المبذول فإنّه ليس من شىء يعلمه الملائكه والرسل إلّا نحن نعلمه . وأمّا المكفوف فهو الذى عند اللّه فى أمّ الكتاب(۲) .

أقول : المراد من العلم المكفوف هو علمه الذاتىّ المحيط بكلّ شىء .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام قال : إنّ للّه لَعلماً لا يعلمه غيره ، وعلماً يعلمه ملائكته المقرّبون وأنبياوءه المرسلون ونحن نعلمه(۳) .

عن الإمام أبى عبد اللّه عليه السلام قال : إنّ للّه علماً يعلمه ملائكته وأنبياوءه ورسله ، ألا

۱- بحارالأنوار : ۴/۸۵ ، التوحيد : ۱۳۸ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، بصائر الدرجات : ۱۱۱ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۸۶ ، التوحيد : ۱۳۸ .

ص: ۲۶

ونحن نعلمه ، وللّه علم لا يعلمه ملائكته وأنبياوءه ورسله(۱) .

عن الإمـام أبی عبـد اللّه عليه السـلام قـال : إنّ للّه علمين : علم مكنون مخزون لاـ يعلمه إلاّـ هو ، من ذلـك يكون البـداء ، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه(۲) .

بيان : الظاهر أنّ المراد من العلم المخزون هو العلم الـذاتیّ ولـذا لا يعلمه أحد لعدم تناهيه ، فإنّ المخلوق المحدود لا يمكن أن يكون علمه غير متناه أبداً وهذا العلم هو المنشأ للبداء ، فإنّه تعالی لعلمه بالكائنات ونقائضها والأنظمه اللامتناهيه الحكيمه ، له أن يبدو له عن علم فيمحو ما كان ويثبت ما لم يكن .

أفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه علیّ النمازیّ الشاهرودیّ قدس سره ما هذا نصّه :

لعـلّ المراد بـالعلم المكنـون المخزون الـذی لاـ يعلمه إلاّـ هـو ، هـو العلم الـذی عين ذاته القـدّوس المقـدّس المنزّه عن الحـدّ والتعيّن والمعلوم والعليّه فمنه البـداء ، والرأی فی العلم المبـذول إلی ملائكته وأنبيائه وأوليائه فی غير المحتوم منه ، فإنّ فی هـذا العلم المبذول أمورا محتومه جائيه لا محاله ، ومنه أمور موقوفه يقدّم منها ما يشاء ويوءخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء(۳) . انتهی كلامه .

و أمّا ما أفاده سيّد الفقهاء والمجتهدين المحقّق الخوئیّ قدس سره علی ما فی التقريرات من إرجاع العلم المخزون المكنون إلی قضائه ، فلاـ يمكن المساعـده عليه بوجه فـإنّه من الواضـح أنّ القضـاء والقـدر من أفعـاله تعـالی ولاـ يصـحّ إطلاق القضاء والقـدر علی العلم المخزون المكنون بالضروره ، فلاحظ العبارات التاليه :

أفاد قدس سـره : قضاؤه تعالی الذی لم يطلع عليه أحداً من خلقه حتّی نبيّنا محمّد صلی الله عليه و آله وهو العلم المخزون الذی استأثر به لنفسه ، المعبّر عنه باللّوح المحفوظ تاره وبأمّ الكتاب تاره أخری . ولاريب أنّ البداء

۱- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، بصائر الدرجات : ۱۱۲ .

۲- الكافی : ۱/۱۴۷ .

۳- مستدرک سفينه البحار : ۱/۲۹۱ .

ص: ۲۷

يستحيل أن يقع فيه . كيف يتصوّر فيه البداء وإنّ اللّه سبحانه عالم بجميع الأشياء بشتّى ألوانها منذ الأزل لا يعزب عن علمه مثقال ذرّه لا فى الأرض ولا فى السماء ، ومن هنا قد ورد فى روايات كثيره أنّ البداء إنّما ينشأ من هذا العلم لا أنّه يقع فيه(۱) .

وأفاد قدس سره : أنّ اللّه سبحانه عالم بالأشياء بشتّى أنواعها وأشكالها منذ الأزل وأنّ لها بجميع أشكالها تعييناً علميّاً فى علم اللّه الأزلىّ ، ويعبّر عن هذا التعيين بتقدير اللّه مرّه وبقضائه مرّه أخرى . ومن ناحيه ثالثه إنّ علمه تعالى بالأشياء منذ الأزل لا يوجب سلب قدره اللّه تعالى واختياره عنها ، ضروره أنّ حقيقه العلم بشىء الكشف عنه على واقعه الموضوعىّ من دون أن يوجب حدوث شىء فيه ، فالعلم الأزلىّ بالأشياء هو كشفها لديه تعالى على واقعها من الإناطه بمشيئه اللّه واختياره فلا يزيد انكشاف الشىء على واقع ذلك الشىء(۲) . انتهى كلامه رفع مقامه .

و يرد على هذا الكلام : أنّ العلم غير الفعل فإنّ الفعل حادث والقضاء والقدر من أفعال اللّه تعالى ولا يصحّ إطلاق العلم عليهما .

ويحتمل أن يكون مراده قدس سره من القضاء هو العلم غير المحمول ، وبناء على ذلك لا يرد عليه ما أوردناه ، إلّا أنّه لا وجه لإطلاق القضاء على العلم غير المحمول إذ القضاء فعله تعالى القدّوس وشتّان ما بينه وبين العلم غير المحمول .

ثمّ إنّه لم يتّضح لنا مراده قدس سره من قوله : «إنّ اللّه سبحانه عالم ... وبقضائه مرّه أُخرى» هل يريد قدس سره بذلك أنّ اللّه تعالى عالم بجميع الأنظمه اللامتناهيه بالعلم بلا معلوم . فإن كان كذلك فمتين جدا ، إلّا أنّ علمه غير المحمول غير معيّن بوجه من

۱- محاضرات فى أصول الفقه : ۵/۳۳۵ (۴۶/۴۹۹) .

۲- محاضرات فى أصول الفقه : ۵/۳۳۴ (۴۶/۴۹۷) .

ص: ۲۸

الوجوه كما ستعرف إن شاء اللّه تعالى .

أو يريد قدس سره بذلك أنّه تعالى عالم أزلاً بما يقع فى الخارج زمانا كان كذلك ، فيرد عليه أنّه تعالى عالم بما لا يكون أيضا وبما لا يريده ، كما أنّه لابدّ من التنبّه إلى أنّ العلم بالشىء قبل كونه ، يختلف عن تقديره وإمضاء وقوعه فى الخارج كما ستعرف إن شاء اللّه تعالى .

نعم ما أفاده قدس سره بأنّ علمه الأزلىّ بالأشياء لا يوجب سلب القدره والإختيار منه متين جدّاً ، إلّا أنّ الكلام يدور حول أنّ العلم الإلهىّ ليس قضاءً وتقديراً بل هو المنشأ للقضاء والقدر ولذا لا يكون بداؤه إلّا عن علم .

عن الفضيل بن يسار قال : سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول : العلم علمان : فعلم عند اللّه مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلم علّمه ملائكته ورسله . فما علّمه ملائكته ورسله ، فإنّه سيكون لا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء ويوءخّر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء(۱) .

أقول : الظاهر من هذا الخبر أنّ العلم المخزون عنده هو المنشأ للبداء ، فبذلك العلم يقدّم ما يشاء ويوءخّر ما يشاء ويثبت ما يشاء .

و أمّا العلم المحمول فإنّه تعالى لا يغيّره كى لا يكذّب رسله وأولياءه وملائكته . ومقتضى الجمع بين هذا الخبر وأمثاله مع ما دلّ على تغيير ما أنبأه أنبياءه وملائكته كما ستعرف هو أنّ التغيير لا يقع على المحتوم منه الذى أخبرهم بحتميّته لا ما أخبرهم به مطلقاً ، واللّه تعالى العالم . فلاحظ الخبر الآتى :

الحسن بن محمد النوفلى يقول : قال الإمام الرضا عليه السلام لسليمان المروزى : وما أنكرتَ من البداء يا سليمان واللّه عزّ وجلّ يقول : « أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئا »(۲) ويقول عزّ وجلّ : « وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ »(۳) ويقول :

۱- الكافى : ۱/۱۴۷ .

۲- مريم : ۶۷ .

۳- الروم : ۲۷ .

ص: ۲۹

« بَدِيعُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ »(۱) ويقول عزّ وجلّ : « يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ »(۲) ويقول : « وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ »(۳) ويقول عزّ وجلّ : « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّه ِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ »(۴) ويقول عزّوجلّ : « وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ »(۵) ؟

قال سليمان : هل رويت فيه شيئاً عن آبائك ؟

قال : نعم ؛ رويت عن أبي عبداللّه صلوات اللّه عليه أنّه قال : إن للّه عزّ وجلّ عِلْمَين : علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلّا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلماً علّمه ملائكته ورُسُله فالعلماء من أهل بيت نبيّه يعلمونه .

قال سليمان : أُحبّ أن تنزعه لي من كتاب اللّه عزّ وجلّ .

قال صلوات اللّه عليه : قول اللّه عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه و آله : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ »(۶) أراد هلاكهم ، ثمّ بدا للّه تعالى فقال : « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »(۷) .

قال سليمان : زدني جُعلت فداك .

قال الرضا صلوات اللّه عليه : لقد أخبرني أبي عن آبائه أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال : إنّ اللّه عزّ وجلّ أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن أخبر فلان الملك أني مُتوفّيه إلى كذا وكذا ، فأتاه ذلك النبيّ فأخبره فدعا اللّه الملك وهو على سريره حتّى سقط من السرير فقال : يا ربّ ، أجّلني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري ، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ أن ائت فلان الملك فأعلمه أنّي قد أنسيتُ في أجله ، وزدتُ في عمره خمس عشره سنةٍ ، فقال ذلك النبيّ : يا ربّ ، إنّك لتعلم أنّي لم أكذب قطّ ، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليه : إنّما أنت عبدٌ مأمورٌ فأبلغه ذلك ، واللّهُ لا يُسئل عمّا يفعل .

۱- البقره : ۱۱۷ ، الأنعام : ۱۰۱ .

۲- فاطر : ۱ .

۳- البقره : ۱۱۷ ، الأنعام : ۱۰۱ .

۴- التوبه : ۱۰۶ .

۵- فاطر : ۱۱ .

۶- الصافات : ۱۷۴ .

۷- الذاريات : ۵۴ ۵۵ .

ص: ۳۰

ثمّ التفت إلی سلیمان فقال : أحسبک ضاهیت الیهود فی هذا الباب .

قال : أعوذ باللّه من ذلک ، وما قالت الیهود ؟

قال : قالت : « یَدُ اللّه مَغْلُولَةٌ » یعنون أنّ اللّه قد فرغ من الأمر فلیس یُحدث شیئاً ، فقال اللّه عز وجل : « غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا »(۱) ولقد سمعت قوماً سألوا أبی موسی بن جعفر صلوات اللّه علیهما عن البداء ، فقال : وما یُنکر الناس من البداء وأن یَقِفَ اللّه قوما یُرجئهم لأمره .

قال سلیمان : ألا تُخبرنی عن « إِنَّا انزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ »(۲) فی أیّ شیء أُنزلت ؟

قال الرضا صلوات اللّه علیه : یا سلیمان ، لیله القدر یُقدّر اللّه عزّ وجلّ فیها ما یکون من السنه إلی السنه من حیاهٍ أو موتٍ أو خیرٍ أو شرٍّ أو رزقٍ ، فما قدّره فی تلک اللیله فهو من المحتوم .

قال سلیمان : الآن قد فهمتُ جُعلت فداک ، فزدنی .

قال صلوات اللّه علیه : یا سلیمان ، إنّ من الأُمور أُموراً موقوفه عند اللّه تبارک وتعالی یُقدّم منها ما یشاء . یا سلیمان ، إنّ علیاً صلوات اللّه علیه کان یقول : العلم علمان : فعلمٌ علّمه اللّه ملائکته ورُسُله ، فما علّمه ملائکته ورُسُله فإنّه یکون ولا یُکذّب نفسه ولا ملائکته ولا رُسُله ، وعلمٌ عنده مخزون لم یُطْلِعْ علیه أحداً من خلقه یُقدّم منه ما یشاء ، ویُوءخّر منه ما یشاء ، ویمحو ما یشاء ، ویُثبت ما یشاء .

قال سلیمان للمأمون : یا أمیر الموءمنین ، لا أُنکر بعد یومی هذا البداء ولا أُکذّب به إن شاء اللّه(۳) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی وقوع البداء فیما أعلمه اللّه تعالی أنبیاءه وأولیاءه فإنّ اللّه تعالی قدّر العذاب علی مناوئی الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله إلاّ أنّه تعالی بدا له ولم ینزل علیهم العذاب ، وکذا الأمر بالنسبه إلی السلطان الذی نبأه النبی علیه السلام

۱- المائده : ۶۴ .

۲- القدر : ۱ .

۳- بحارالأنوار : ۱۰/۳۲۹ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۱/۱۸۲ ، التوحید : ۴۴۴ .

ص: ۳۱

بالموت .

و أمّا توضيح الخبر الشريف برمّته ، فسيأتى إن شاء اللّه تعالى . فانتظر .

ويحتمل أن يكون المراد من عدم تغيير القضاء بعد إخبار الأنبياء عليهم السلام هو عدم التغيير بحسب الغالب لا مطلقاً واللّه تعالى العالم .

فاتّضح بذلك ثبوت علمين للّه تعالى أحدهما علم مختصّ به وهو العلم المكفوف المخزون عنده الذى لا يعلمه إلاّ هو وهو الذى ينشأ منه البداء ، وعلم محمول حمّله أنبياءه وأولياءه وملائكته ، وهذا العلم لا يقع فيه البداء إذا كان من الحتميّات الذى أخبر بعدم وقوع البداء فيها لا مطلقاً أو عدم وقوع البداء فيه بحسب الغالب .

ص: ۳۲

ص: ۳۳

العلم المخزون

قد عرفت أنّ العلم المخزون هو العلم الذاتیّ الإلهیّ الذی لم یطلع علیه رسله وأنبیاءه وأولیاءه وملائکته . والظاهر أنّ عدم اطّلاعهم علیه إنّما هو لأجل أنّه عین ذاته فإنّه علم کلّه وهذا العلم لا تناهی له أبداً فإنّه کشف للأنظمه اللامتناهیه . فاللّه تعالی عالم بما لا یتناهی ویدلّ علی ما ذکرنا من سعه علمه تعالی وعدم تناهی علمه الذاتی العقل ، فإنّه یکشف لنا عدم محدودیّته ، فإنّ المحدودیّه من خصوصیّات المخلوق وهو منزّه عنها .

ویظهر لنا بنور العقل عدم إمکان الإحاطه علی علمه الذاتیّ لاستحاله إحاطه المحدود والمتناهی علی غیر المحدود وغیر المتناهی . وأمّا الأدلّه النقلیّه المرشده إلی ما یستکشفه العقل ، فهی کثیره ، نذکر بعضها :

العلم المخزون فی الآیات :

الآیه الأولی :

قال اللّه تعالی : « إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَی اللّه ِ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَه ٍ ثُمَّ یَتُوبُونَ مِن قَرِیب ٍ فَأُولَئِکَ یَتُوبُ اللّه ُ عَلَیْهِمْ وَکَانَ اللّه ُ عَلِیما حَکِیما »(۱) .

أقول : الظاهر أنّ الوجه فی قبول توبتهم هو علمه تعالی وقدرته بإصلاح ما فات منهم کما ورد فی الدعاء «یا رادّ ما قد فات»(۲) فإنّ التوبه غیر لازمه علیه تعالی بل له أن یعفو بمقتضی فضله کما أنّ له أن یوءاخذ بمقتضی عدله ، وبما أنّه تعالی عالم بکلا

۱- النساء : ۱۷ .

۲- بحارالأنوار : ۹۲/۴۰۰ ، مهج الدعوات : ۱۵۴ .

ص: ۳۴

الأمرین یکون المخصّص لأحدهما رأیه القدّوس المستند إلی کمال ذاته .

الآیه الثانیه :

وقال تعالی : « وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلَی بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ کَانَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیما »(۱) .

بیان : الظاهر أنّ السوءال من فضل اللّه تعالی مقتض لإجابته تعالی ، فإنّه تعالی عالم بکلّ شیء ویستطیع أن یجیب دعوه الداعین ، فمن دعاه سمعه وکان باستطاعته أن یجیبه بمقتضی فضله کما أنّ له تعالی أن لا یجیبه عدلاً .

والحاصل أنّه لمّا کان اللّه تعالی عالماً بجمیع الأُمور کائنها وغیر کائنها ، وقادراً علی فعل ما یرید ولم یکن لفضله وجوده حدّ وکان السوءال منه تعالی عبودیّه تقتضی الإجابه ، فلذا یکون للّه تعالی الرأی فی الإجابه أو عدمها .

الآیه الثالثه :

وقال تعالی : « مَا کَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن یَقْتُلَ مُؤْمِنا إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنا خَطَأً فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ وَدِیَهٌ مُسَلَّمَهٌ إِلَی أَهْلِهِ إِلاَّ أَن یَصَّدَّقُوا فَإِن کَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَکُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ وَإِن کَانَ مِن قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَبَیْنَهُم مِیثَاقٌ فَدِیَهٌ مُسَلَّمَهٌ إِلَی أَهْلِهِ وَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ فَمَن لَمْ یَجِدْ فَصِیَامُ شَهْرَیْنِ مُتَتَابِعَیْنِ تَوْبَهً مِنَ اللّهِ وَکَانَ اللّهُ عَلِیما حَکِیما »(۲) .

أقول : الظاهر من الآیه المبارکه أنّ عدم حصر الکفّاره فی تحریر الرقبه واتّساعها إلی الصیام لمدّه شهرین متتابعین یدلّ علی سعه علمه تعالی وحکمته ، فإنّه تعالی لمّا کان عالماً بأُمور حکیمه إلی ما لا یتناهی ، له أن یجعل واجباً مترتّباً علی عدم إمکان إتیان الواجب الآخر ، وهذا یدلّ علی سعه علمه تعالی .

الآیه الرابعه :

وقال تعالی : « یَا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَکُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّکُمْ فَآمِنُوا خَیْرا لَکُمْ وَإِن

۱- النساء : ۳۲ .

۲- النساء : ۹۲ .

ص: ۳۵

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِى السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيما حَكِيما »(۱) .

بيان : الظاهر من الآيه المباركه هو أنّ كفر الكافرين لا يوجب انسداد الطريق على اللّه تعالى ، فإنّه تعالى قادر على خلق أُناس موءمنين باختيارهم فإنّه لا حدّ لعلمه تعالى ، كما أنّه لا حدّ لحكمته وقدرته كما قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ »(۲) فإنّ إذهاب الخلق والإتيان بخلق جديد موءمنين به تعالى ، غير عزيز على اللّه تعالى لسعه علمه وحكمته وقدرته .

الآيه الخامسه :

وقال تعالى : « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَىْءٍ فِى السَّماوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيما قَدِيرا »(۳) .

أقول : الظاهر من الآيه المباركه أنّها فى مقام تهديد من لا يوءمن باللّه تعالى فحذّرتهم بما فعل اللّه تعالى بالسابقين عليهم من الكفّار مع أنّهم كانوا أشدّ قوّه من الحاضرين وتعذيبهم مع أنّ تعذيب هؤلاء بمكان من الإمكان وهو رهن لمشيّه اللّه تعالى ورأيه وبدائه ، فلو شاء أن يعذّبهم لفعل ، ولا يسئل عن فعله وهم يسئلون .

الآيه السادسه :

وقال تعالى : « هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَهَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيما حَكِيما »(۴) .

بيان : الظاهر من هذه الآيه المباركه أنّ اللّه تعالى أنزل السكينه على قلوب

الموءمنين فى الحرب ، وأنّ المراد بالسكينه هى معرفه الربّ به تعالى فإنّه يوجب الطمأنينه والسكينه . وقد ورد فى الأخبار أنّه الإيمان فلاحظ :

۱- النساء : ۱۷۰ .

۲- فاطر : ۱۵ ۱۷ .

۳- فاطر : ۴۴ .

۴- الفتح : ۴ .

ص: ۳۶

عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السلام قال : سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ « أَنزَلَ السَّكِينَهَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ »(۱) قال : هو الإیمان . قال : وسألته عن قول اللّه عزّ وجلّ : « وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ »(۲) قال : هو الإیمان(۳) .

وعن حفص بن البختریّ وهشام بن سالم وغیرهما عن أبی عبد اللّه علیه السلام فی قول اللّه عزّ وجلّ : « أَنزَلَ السَّكِينَهَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ » قال : هو الإیمان(۴) .

ومن الواضح أنّ الإیمان النازل من قبل اللّه تعالی لیس الإیمان الصادر من العبد ، بل هو ما یستوجب بعده الإیمان وهو المعرفه .

ومضافاً إلی ذلک فإنّ له تعالی جنود السماوات والأرض وهو العلیم الحکیم ، فله أن ینزلهم نقمهً علی الکافرین ورحمهً للموءمنین وله أن یمحّص الموءمنین بالقتال من دون الجنود ، واللّه تعالی العالم .

الآیه السابعه :

وقال تعالی : « وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ »(۵) .

عن تفسیر القمی محمد بن جعفر عن محمد بن أحمد بن محمد بن السیاری عن فلان قال : خرج عن أبی الحسن علیه السلام قال: إنّ اللّه جعل قلوب الأئمه مورداً لإرادته فإذا شاء اللّه شیئاً شاءوه وهو قوله « وما تشاؤون إلاّ أن یشاء اللّه ربُّ العالمین »(۶) .

قال العلاّمه المجلسیّ قدس سره :

هذا أحسن التوجیهات فی تلک الآیات بأن تکون مخصوصه بالأئمه علیهم السلام علی وجهین : أحدهما أنّهم علیهم السلام صاروا ربّانیّین خالین عن مراداتهم وإرادتهم فلا تتعلّق مشیّتهم إلاّ بما علموا أنّ اللّه تعالی یشاؤه . وثانیهما معنی أرفع وأدقّ من ذلک وهو أنّهم لمّا صیّروا

۱- الفتح : ۴ .

۲- المجادله : ۲۲ .

۳- الکافی : ۲/۱۵ ح ۱ .

۴- الکافی : ۲/۱۵ ح ۴ .

۵- التکویر : ۲۹ .

۶- بحارالأنوار : ۲۴/۳۰۵ ح ۴ ، تفسیر القمّیّ : ۲/۴۰۹ .

ص: ۳۷

أنفسهم کذلک صاروا بحیث ربّهم الشائیّ لهم والمرید لهم ، فلا یفعلون شیئا إلّا بما یفیض اللّه سبحانه علیهم من مشیّته وإرادته ، وهذا أحد معانی قوله تعالی « کنت سمعه وبصره ویده ولسانه» وسیأتی بسط القول فی ذلک فی کتاب مکارم الأخلاق إن شاء اللّه تعالی ؛ انتهی کلامه رفع مقامه(۱).

أقول: سنبیّن المستفاد من کلام العلّامه المجلسیّ قدس سره فی بیان الخبر الشریف إن شاء اللّه تعالی وبناء علی ما أفاده یتبیّن شدّه عبودیّه أئمه الهدی علیهم السلام بحیث صاروا لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی بناء علی الإحتمال الأوّل المذکور فی کلامه أو لا یریدون شیئاً أبداً فی قبال إراده الربّ تعالی ، بل أصبحوا محلاًّ لإراده اللّه تعالی فمشیّتهم مشیّه اللّه فما لم یرد اللّه تعالی شیئاً لا یریدونه وما لم یشأ اللّه تعالی شیئاً لا تکون لهم مشیّه بناء علی الإحتمال الثانی المذکور فی کلامه .

ویناسب المقام البحث فی مفاد الآیه المبارکه فإنّها من الآیات التی وقعت محطّاً للآراء المختلفه من قبل المفسّرین وإلیک تفصیل الکلام .

الظاهر من الآیه المبارکه هو إثبات المشیّه للخلق بمشیّه من اللّه تعالی فالإستثناء من النفی إثبات للشیء ، فالخلائق لا یشاؤون إلّا أن یشاء اللّه تعالی ، ومعنی ذلک أنّهم لا یستطیعون المشیّه المتقوّمه بنور القدره إلّا أن یشاء اللّه تعالی لهم أن یصیروا قادرین علی المشیّه والرأی ، وبناء علی ذلک تکون الآیه المبارکه من الآیات النافیه للتفویض لا المثبه للجبر کما توهّمه الفلاسفه فإنّ متعلّق مشیّه اللّه تعالی هو صیروره العبد ذا مشیّه ولیس متعلّقه ما شاءه العبد فإنّ ذلک یستلزم تعلّق مشیّتان بأمر واحد وهو محال ، هذا بحسب ظاهر الآیه المبارکه وتفصیل الکلام حول ذلک فی تقریرات أبحاثنا «سدّ المفرّ علی القائل بالقدر» فراجع .

و أمّا بحسب الأخبار فهناک معان للآیه المبارکه :

۱- بحارالأنوار : ۲۴/۳۰۶ .

ص: ۳۸

المعنی الأوّل:

إثبات المشیّه للّه تعالی دون الناس فلاحظ :

عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السلام فی قوله « ذی قوَّهٍ عند ذی العرش مکینٍ » قال : یعنی جبرئیل .

قلت : قوله « مطاعٍ ثمَّ أمینٍ » ؟

قال : یعنی رسول اللّه صلی الله علیه و آله هو المطاع عند ربّه الأمین یوم القیامه .

قلت : قوله « وما صاحبکم بمجنونٍ » ؟

قال : یعنی النبی صلی الله علیه و آله ما هو بمجنون فی نصبه أمیرالمؤمنین علیه السلام عَلَماً للناس .

قلت : قوله « وما هو علی الغیب بضنینٍ » ؟

قال : وما هو تبارک وتعالی علی نبیّه بغیبه بضنین علیه .

قلت : « وما هو بقول شیطانٍ رجیمٍ » ؟

قال : یعنی الکهنه الذین کانوا فی قریش فنسب کلامهم إلی کلام الشیاطین الذین کانوا معهم یتکلّمون علی ألسنتهم ، فقال « وما هو بقول شیطانٍ رجیمٍ » مثل أولئک .

قلت : قوله « فأین تذهبون إن هو إلَّا ذکرٌ للعالمین » ؟

قال : أین تذهبون فی علیّ علیه السلام یعنی ولایته ، أین تفرّون منها « إن هو إلَّا ذکرٌ للعالمین » لمن أخذ اللّه میثاقه علی ولایته .

قلت : قوله « لمن شاء منکم أن یستقیم » ؟

قال : أن یستقیم فی طاعه علیّ علیه السلام والأئمه من بعده .

قلت : قوله « وما تشاؤون إلَّا أن یشاء اللّه ربُّ العالمین »(۱) ؟

قال : لأنّ المشیّه إلیه تبارک وتعالی لا إلی الناس(۲) .

أقول: قوله علیه السلام «لأنّ المشیّه إلیه تبارک وتعالی لا إلی الناس» یحتمل أُمورا :

۱ أنّ المشیّه إلی اللّه تعالی فهو الذی یشاء ما یرید فإذا شاء لعباده أن یکونوا

۱- التكوير : ۲۰ ۲۹ .

۲- بحارالأنوار : ۹/۲۴۸ ، تفسير القمّيّ : ۲/۴۰۸ .

ص: ۳۹

مختارین نفذت مشیّته فی ذلک.

۲ أنّ المشیّه إلیه تعالی فی اختیار أمیرالمؤمنین علیه السلام خلیفهً له علی الأرض.

۳ أنّ المشیّه إلیه تعالی فله أن یجعل من یشاء مستقیماً علی ولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام بتوفیقه إیّاه وإلقاء محبّه ولیّه فی قلبه .

۴ أنّ المشیّه إلیه مطلقاً فله أن یختار أمیرالمؤمنین علیه السلام خلیفته وله أن یلقی محبّه أمیرالمؤمنین وولایته فی قلب من یشاء وهو الأقوی لإطلاق الآیه المبارکه وإطلاق کلام الإمام علیه السلام .

وهل الخبر ورد لتفسیر الآیه المبارکه أو لتأویلها احتمالان : أقربهما الأوّل ، لعدم ورود خبر علی حسب تتبّعنا یقرّ الظهور البدویّ للآیه المبارکه فلیست الإستقامه مطلقاً مراده فی الآیه ، بل الإستقامه علی ولایه ولی اللّه علیه السلام هی المراده وهکذا .

المعنی الثانی:

إثبات وساطه أهل البیت علیهم السلام فی وقوع المشیّه الإلهیه علی الکائنات .

عن محمّد بن عبداللّه بن جعفر عن محمّد بن أحمد الأنصاری قال : وجّه قوم من المفوّضه والمقصّره کامل بن إبراهیم المدنیّ إلی أبی محمّد علیه السلام ، قال کامل : فقلت فی نفسی أسأله لا یدخل الجنّه إلّا من عرف معرفتی وقال بمقالتی ، قال : فلمّا دخلت علی سیّدی أبی محمّد علیه السلام نظرت إلی ثیاب بیاض ناعمه علیه فقلت فی نفسی : ولیّ اللّه وحجّته یلبس الناعم من الثیاب ویأمرنا نحن بمواساه الإخوان وینهانا عن لبس مثله !

فقال متبسّماً : یا کامل ، وحسر عن ذراعیه فإذا مسْح أسود خشن علی جلده ، فقال : هذا للّه وهذا لکم .

فسلّمت وجلست إلی باب علیه ستر مرخی فجاءت الریح فکشفت طرفه فإذا أنا بفتی کأنّه فلقه قمر من أبناء أربع سنین أو مثلها فقال لی : یا کامل بن إبراهیم . فاقشعررت من ذلک وألهمت أن قلت : لبّیک یا سیّدی .

فقال : جئت إلی ولیّ اللّه وحجّته وبابه تسأله هل یدخل الجنّه إلّا من عرف معرفتک

ص: ۴۰

وقال بمقالتك ؟

فقلت : إى واللّه .

قال : إذن واللّه يقلّ داخلها واللّه إنّه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيّه .

قلت : يا سيّدى ومن هم ؟

قال : قوم من حبّهم لعلىّ يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله .

ثمّ سكت عليه السلام عنّى ساعه ثمّ قال : وجئت تسأله عن مقاله المفوّضه ، كذبوا بل قلوبنا أوعيه لمشيه اللّه فإذا شاء شئنا واللّه يقول : « وما تشاؤون إلاّ أن يشاء اللّه » ثمّ رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه .

فنظر إلىّ أبومحمّد عليه السلام متبسّماً فقال : يا كامل ، ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك الحجّه من بعدى .

فقمت وخرجت ولم أعاينه بعد ذلك .

قال أبونعيم فلقيت كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدّثنى به(۱) .

أقول: بيّن الإمام عليه السلام بطلان التفويض فى التصرّف فى الكائنات لاستلزامه خروج المخلوق عن المخلوقيّه ، فمن قام بذاته واستقلّ عن الغنىّ بالذات يكون غنيّاً غير مفتقر إلى الغنىّ ، وهذا هو الشرك بعينه . ثمّ صرّح بأبى هو وأُمّى أنّ قلوب الأئمّه عليهم السلام أوعيه لمشيه اللّه تعالى فإذا شاء اللّه شاؤوا فهم الوسائط فى وقوع مشيّه اللّه تعالى على الكائنات .

محمّد بن جعفر عن محمّد بن أحمد بن محمّد بن السيّارى عن فلان قال : خرج عن أبى الحسن عليه السلام قال : إنّ اللّه جعل قلوب الأئمّه مورداً لإرادته فإذا شاء اللّه شيئا شاءوه وهو قوله « وما تشاؤن إلاّ أن يشاء اللّه ربُّ العالمين »(۲) .

أقول: الخبر الشريف ظاهر فى وساطه أئمّه الهدى عليهم السلام فى جريان مشيّه اللّه

۱- بحارالأنوار : ۵۲/۵۰ ، الغيبه للشيخ الطوسى : ۲۴۶ .

۲- بحارالأنوار : ۲۴/۳۰۵ ح۴ و ۲۵/۳۷۲ ح۲۳ ، تفسير القمّىّ : ۲/۴۰۹ ، بصائر الدرجات : ۵۱۷ .

ص: ۴۱

تعالی علی الکائنات فهم مورد إراده الربّ تعالی ووکر مشیّته کما ورد فی زیاره سیّدالشهداء علیه السلام «إراده الربّ فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم»(۱) .

المعنی الثالث :

التفویض فی الدین :

عن محمّد بن سنان قال : کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السلام فأجریت اختلاف الشیعه فقال : یا محمّد إنّ اللّه تبارک وتعالی لم یزل متفرّداً بوحدانیّته ثمّ خلق محمّدا وعلیّاً وفاطمه فمکثوا ألف دهر ثمّ خلق جمیع الأشیاء فأشهدهم خلقها وأجری طاعتهم علیها وفوّض أمورها إلیهم فهم یحلّون ما یشاءون ویحرّمون ما یشاءون ولن یشاءوا إلاّ أن یشاء اللّه تبارک وتعالی ، ثمّ قال : یا محمّد هذه الدیانه التی من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق خذها إلیک یا محمّد(۲) .

أقول: الظاهر من الخبر الشریف ثبوت التفویض لهم فی أمر الدین فلهم أن یحلّلوا ما شاؤوا ویحرّموا ما شاؤوا (فی ما لا یکون للّه تعالی ورسوله صلی الله علیه و آله فیه أمر إلزامی أو نهی تحریمی) .

نعم لیس فی الخبر الشریف ذکرا للآیه المبارکه بالخصوص فلا یمکن الجزم بأنّ قوله علیه السلام : «ولن یشاءوا إلاّ أن یشاء اللّه تبارک وتعالی» تفسیر للآیه المبارکه بالخصوص وإن کان من اللاّزم علی الفقیه الإلتزام بمنشائیه القرآن الکریم لکلمات المعصومین علیهم السلام لورود الأخبار فی ذلک .

قال أبو عبد اللّه علیه السلام : یا مفضّل إنّ اللّه خلقنا من نوره وخلق شیعتنا منّا وسائر الخلق فی النار . بنا یطاع اللّه وبنا یعصی . یا مفضّل سبقت عزیمه من اللّه أنّه لا یتقبّل من أحد إلاّ بنا ولا یعذّب أحداً إلاّ بنا فنحن باب اللّه وحجّته وأمناؤه علی خلقه وخزّانه فی سمائه وأرضه حلّلنا عن اللّه وحرّمنا عن اللّه لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا وهو قوله تعالی : « وما تشاؤون إلاّ أن یشاء اللّه » وهو قوله صلی الله علیه و آله : إنّ اللّه جعل قلب ولیّه وکرا

۱- الکافی : ۴/۵۷۷ .

۲- بحارالأنوار : ۵۴/۱۹۵ ، الکافی : ۱/۴۴۱ .

ص: ۴۲

لإرادته فإذا شاء اللّه شئنا(۱) .

أقول: هناك احتمالان فى الخبر الشريف :

۱ أن يكون مراد الإمام عليه السلام أنّ الأئمه عليهم السلام خزّان اللّه تعالى فى سمائه وأرضه ، والخازن هو العارف بمواقع رضى المولى وسخطه ، فإن أجازه المولى فى التصرّف فى الأُمور يكون تصرّفه تصرّفاً بإذن المولى فتحليله تحليل عن المولى وتحريمه تحريم بإذنه ، ولذا لا يحتجب هذا الخازن بمشيّته عن المولى ذلك أنّ مشيّته موافقه لرضى المولى أبداً وهذا هو قوله تعالى « وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللَّه » أى مشيّتهم مشيّه اللّه تعالى .

۲ أن يكون قوله عليه السلام «لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا» مستئنفاً وغير مرتبط بالسابق ويكون قوله عليه السلام «و هو قوله تعالى» وكذا قوله عليه السلام «وهو قوله صلى الله عليه و آله » مبيّناً للمراد من «لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا» ، وبناء على ذلك يكون المعنى عين المعنى الثانى الذى ذكرناه وليس معنى على حده ولعلّ هذا الوجه أظهر من الأوّل واللّه تعالى العالم .

المعنى الرابع :

بيان عبوديّه أهل البيت عليهم السلام بحيث لا يريدون إلّا ما أراده اللّه تعالى .

هذا المعنى هو الإحتمال الأوّل من الإحتمالين المذكورين فى كلام العلّامه المجلسىّ قدس سره حيث قال : «أنّهم عليهم السلام صاروا ربّانيّين خالين عن مراداتهم وإرادتهم فلا تتعلّق مشيّتهم إلّا بما علموا أنّ اللّه تعالى يشاؤه» والظاهر أنّ مراده هو أنّ الآيه المباركه فى مقام بيان عبوديّه أهل البيت عليهم السلام بحيث انسلخوا عن جميع مراداتهم فلا آمال لهم أبداً ، وعن جميع إراداتهم الناشئه بسبب الآمال والمرادات فلا يريدون إلّا ما أراده اللّه تعالى ، كما هو ظاهر قوله عليه السلام «العاملون بإرادته» وقوله عليه السلام «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» فبناء على هذا الإحتمال يكون للأئمّه عليهم السلام إراده تابعه لإراده الربّ تعالى .

۱- بحارالأنوار : ۲۶/۲۵۶ ، تفسير فرات بن إبراهيم : ۵۲۹ .

ص: ۴۳

و بناء على ذلک لا یستشکل علیه قدس سره بأنّه کیف یمکن خلوّهم علیهم السلام عن الإراده .

المعنى الخامس :

نفی الإراده لأئمّه الهدى علیهم السلام وصیرورتهم مظهراً لمشیّه اللّه تعالى .

هـذا هو الإحتمال الثانی المـذکور فی بیان العلاّمه المجلسـیّ قـدس سـره حیث قال «وثانیهما معنى أرفع وأدقّ من ذلک وهو أنّهم لمّا صیّروا أنفسـهم کذلک صاروا بحیث ربّهم الشائیّ لهم والمرید لهم فلا یفعلون شیئاً إلاّ بما یفیض اللّه سبحانه علیهم من مشیّته وإرادته وهـذا أحد معانی قوله تعالى : کنت سـمعه وبصـره ویده ولسانه» وبناء على هذا الإحتمال لا یکون للأئمّه علیهم السـلام إراده حتّى فی طول إراده اللّه تعالى بل إنّهم صاروا بمنزله من القرب للربّ القدوّس بحیث أصـبحت مشیّه اللّه تعالى ظاهره فیهم وأصبحوا دلیلاً على إرادته کما ورد فی زیاره آل یس «ودلیل إرادته»(۱) .

والفرق بین الوجهین المذکورین هو أنّهم علیهم السـلام لا یریدون بعد إرادته تعالى ما یخالفها بل یریدون ما یریده هذا بحسب الوجه الأـوّل ، وأمّـا فی الوجه الثـانی فـإنّهم لاـ إراده لهم حتّى بعـد إراده الربّ تعـالى ولـذا یکونون مظهراً لإـراده الربّ تعالى نظیر الأعضاء والجوارح التابعه لأوامر الروح .

ویمکن توضیح الفرق بین الوجهین ببیان مثال وهو أنّه لو فرضنا عبداً مطیعاً لمولاه فیقال له ماذا تروم فعله فی یوم غد فیجیب تاره بأنّی أُریـد أن أفعـل مـا لاـ ینافی أوامر مولای وأُخرى یجیب بأنّی لا أُریـد شـیئاً حتّى یأمرنی مولای به فتقع إرادتی تابعه لأمر مولای ، ففی الفرض الأوّل لا یرید العبد ما یخالف أمر المولى ولکن فی الفرض الثانی لا یرید إلاّ ما أراده .

هذا وقد أفاد آیه اللّه السیّد علیّ رضا القدّوسی قدس سره فی ذلک بأنّه لا یمکن إسناد جمیع أفعال أئمّه الهدى علیهم السلام إلى اللّه تعالى ذلک أنّه فی أفعالهم ما لا یلیق بجلال

۱- بحارالأنوار : ۵۳/۱۷۱ ، الاحتجاج : ۲/۴۹۲ .

ص: ۴۴

الربّ تعالى كالأكل والشرب وغيرهما إلّا أنّ الأفعال الصادره عنهم بما أنّهم خلفاء للّه تعالى وبما أنّه تعالى جعلهم الوسطاء بينه وبين خلقه تستند إليه تعالى وهو كلام متين .

والفرق بين ما أفاده قدس سره والمعنى الثانى هو ثبوت الوساطه لهم فى جميع الأُمور مع تبعيّه إرادتهم لإراده الربّ تعالى فى المعنى الثانى فالمعنى الثانى جامع بين المعنى الرابع والمعنى الخامس .

لا يقال: كيف يعقل أن لا يكون للّه تعالى مشيّه بالنسبه إلى شىء من الأشياء ؟

لأنّه يقال : إنّ اللّه تعالى وإن كان عالماً بجميع الأُمور أزلاً وأبداً وكان عالماً بالشىء أن لو كان كيف كان يكون ، وكان عالماً بجميع أطوار الشىء الواحد إلى ما لا نهايه له إلّا أنّ المشيّه من صفات الفعل وهى حادثه بخلاف العلم الذى هو عين ذاته القدّوس فهو عالم أزلاً ـ وأبداً ، وبما أنّ المشيّه من صفات الفعل يكون لها البدأ والحدوث ، ومن عرف معنى هذه الكلمات المجملات يعرف معنى البداء الذى ما عظّم اللّه بشىء مثله فإنّه تعالى وإن كان عالماً بالشىء قبل كونه بأنحاء مختلفه فإنّه عالم بالإنسان ذى الرأس الواحد ويستطيع خلقه كما أنّه عالم بالإنسان ذى الرؤوس المتعدّده ويستطيع خلقه إلّا أنّ اختيار أحدهما متوقّف على رأيه ومشيّته فله أن يخلق الإنسان الأوّل أو الإنسان الثانى فرأيه تعالى بخلق أيّهما شاء ليس أزليّاً كما هو واضح ، لاستلزام ذلك ثبوت الشىء معه أزلاً أو ثبوت وعاء للمشيّه معه أزلاً على الأقلّ وهو خلف واضح ، ولذا لابدّ أن تكون هناك أُمور لم يبدُ للّه تعالى فيها شىء بعدُ، فإذا نشأ له الرأى فيها ثبتت فى قلب المعصوم عليه السلام وقبل ذلك لم يكن رأيه متعلّقاً بشىء كى يثبت فى قلب المعصوم وبعد الثبوت لا ملزم لتحقّقها إلّا استمرار رأيه بتحقّقها وله أن يبدو له فيما شاءه أوّلاً قبل تحقّقه وتبديل المشيّه الأولى بأُخرى حادثه بعدها ، إلّا إذا وقع القضاء بالإمضاء وتحقّق الشىء خارجاً فحينئذ لا بداء لانتفاء الموضوع الأوّل.

ص: ۴۵

إذا عرفت ذلک نقول : معنی صیروره الأئمّه علیهم السلام وکراً لمشیّه اللّه تعالی هو أنّهم وعاء مشیّته ومظهراً لها، فبهم تنفذ مشیّته تعالی فی الکائنات وبهم یعرف رأی اللّه تعالی ومشیّته ، وبما أنّ المشیّه حادثه لا یکون ثبتا فی قلب المعصوم علیه السلام عند عدم تعلّق رأیه تعالی بشیء وعند تحقّقه یثبت ذلک فی قلب المعصوم علیه السلام ومن هنا ذکر الأئمّه علیهم السلام أنّه لولا آیه فی کتابه تعالی لأنبئناکم بما کان وما یکون إلی یوم القیامه فلاحظ:

عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال : لولا آیه فی کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان وبما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه وهی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمُّ الکتاب »(۱) .(۲)

عن زراره عن أبی جعفر علیه السلام قال : کان علیّ بن الحسین علیه السلام یقول : لولا آیه فی کتاب اللّه لحدثتکم بما یکون إلی یوم القیامه . فقلت : أیّه آیه ؟ قال : قول اللّه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمُّ الکتاب »(۳) .

روی عن حارثه بن قدامه قال : حدّثنی سلمان قال : حدثنی عمار وقال : أخبرک عجباً .

قلت : حدّثنی یا عمار .

قال : نعم شهدت علیّ بن أبی طالب علیه السلام وقد ولج علی فاطمه علیهاالسلام فلمّا أبصرت به نادت ادن لأحدّثک بما کان وبما هو کائن وبما لم یکن إلی یوم القیامه حین تقوم الساعه .

قال عمار : فرأیت أمیرالمؤمنین علیه السلام یرجع القهقری فرجعت برجوعه إذ دخل علی النبی صلی الله علیه و آله فقال له : ادن یا أبا الحسن فدنا ، فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له : تحدّثنی أم أحدّثک ؟

۱- الرعد : ۳۹ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۹۷ ، الاحتجاج : ۱/۲۵۸ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۵ .

ص: ۴۶

قال : الحدیث منک أحسن یا رسول اللّه .

فقال : کأنّی بک وقد دخلت علی فاطمه وقالت لک کیت وکیت فرجعت .

فقال علیّ علیه السلام : نور فاطمه من نورنا ؟

فقال علیه السلام : أَوَلا تعلم ؟

فسجد علیّ شکراً للّه تعالی .

قال عمار : فخرج أمیرالمؤمنین علیه السلام وخرجت بخروجه فولج علی فاطمه علیهاالسلام وولجت معه ، فقالت : کأنّک رجعت إلی أبی صلی الله علیه و آله فأخبرته بما قلته لک .

قال : کان کذلک یا فاطمه .

فقالت : اعلم یا أباالحسن أنّ اللّه تعالی خلق نوری وکان یسبّح اللّه جلّ جلاله ثمّ أودعه شجره من شجر الجنه فأضاءت فلمّا دخل أبی الجنه أوحی اللّه تعالی إلیه إلهاماً أن اقتطف الثمره من تلک الشجره وأدرها فی لهواتک ففعل فأودعنی اللّه سبحانه صلب أبی صلی الله علیه و آله ، ثمّ أودعنی خدیجه بنت خویلد فوضعتنی وأنا من ذلک النور أعلم ما کان وما یکون وما لم یکن یا أبا الحسن ، المؤمن ینظر بنور اللّه تعالی(۱) .

أقول: قولها علیهاالسلام «أعلم ما کان وما یکون وما لم یکن» الظاهر أنّ المراد من قولها علیهاالسلام «ما لم یکن» هو خصوص ما کان مقدّراً سابقاً بتقدیر ثمّ بدا للّه تعالی فیه فأبدل تقدیره الأوّل بتقدیر ثان ، کما إذا کان مقدّراً لشخص أن یعیش خمسون عاماً ثمّ تصدّق فزاده اللّه تعالی عشره أعوام فعاش ستون عاماً ، ففاطمه الزهراء علیهاالسلام تشیر إلی أنّها عالمه بالتقدیر الأوّل الممحوّ أیضاً کما أنّها عالمه بالتقدیر الثانی الذی وقع وکان .

لا یقال : کیف یمکن أن نلتزم بعلمه بتصدّق زید وعدم علمه بإطاله عمره لأجل التصدّق ؟

لأنّه یقال : مآل هذا السؤال هو أنّه کیف یمکن أن نلتزم بعلمه تعالی بتصدّق زید

۱- بحارالأنوار : ۴۳/۸ ، عیون المعجزات : ۴۷ .

ص: ۴۷

وعـدم علمه تعالی بتعلّق مشـیّته بإطاله عمره ، ولـذا یکون الجواب بأنّه مآل السؤال عن عدم علمه هو عدم رأیه إذ اللّه تعالی عالم بزید وعالم بتصـدّقه کما أنّه عالم بزیاده عمره بمعنی أنّه تعالی یعلم ذلک ویسـتطیع أن یزید عمره کما أنّه یسـتطیع أن لا یزیده . فإنّه تعالی وإن کان عالماً بتصدّق زید مثلاً بمعنی أنّه قدّر أن یکون زیداً قادراً علی التصدّق ووفّقه لذلک ، إلّا أنّه من الممکن أن تکون الإجابه مرجَئه ، فلیس التصدّق علّه تامّه لإطاله العمر بل السبب الوحید فی الإطاله هو تعلّق رأیه القدّوس بطول العمر وبذلک تعرف أنّه هناک ثلاثه تقدیرات فی المقام :

۱ تقدیره تعالی لعمر زید .

۲ تقدیره تعالی لتوفیقه لإعطائه الصدقه عن قدره واختیار .

۳ تقدیره تعالی لإطاله العمر .

ولا مانع أصلاً من تحقّق الأوّل دون الثانی أو تحقّق الأولین دون الثالث .

ثمّ إنّه ما یوضح کمال عبودیّه المعصومین الأربعه عشر علیهم السلام هو أنّ اللّه تعالی وکّل إلیهم کثیراً من الأُمور وأوجب نجح جمیع طلباتهم ومع ذلک لا یریـدون إلّا ما أراده اللّه تعالی فإنّهم قادرون ومجازون فی إطاله عمر المصّدق علی المسـکین إلّا أنّهم مع ذلک لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی فلاحظ :

قـال الإمام زین العابـدین علیه السـلام إلی أن قال: إنّ أولیاء اللّه صبروا علی المحن والمکاره صبراً لم یساوهم فیه غیرهم فجازاهم اللّه عزّ وجلّ بأن أوجب لهم نجح جمیع طلباتهم لکنّهم مع ذلک لا یریدون منه إلّا ما یریده لهم الخبر(۱) .

ولابدّ لنا من ضـرب مثَل یقرّب المطلب وهو: هب أنّ أبا شـفیقاً علی ولده أخذه إلی المعلّم الحاذق لتربیته وأجاز الأُسـتاذَ فی أن یفعل ما یصبّ فی مصـلحه الولد من التشدید علیه أو الرخاء والوعد والوعید إلّا أنّ الأُسـتاذ مع کونه مجازاً لا یفعل شـیئاً إلّا أن یستأذن والد الطفل ، فمثَل أهل البیت علیهم السلام مثَل الأُستاذ المجاز فی

۱- بحارالأنوار : ۴۶/۲۲ ، الأمالی للشیخ الصدوق : ۴۵۳ .

ص: ۴۸

تربیه الطفل إلّا أنّهم لا یفعلون شیئاً إلّا بإذنه تعالی وهذا غایه الخضوع والخشوع .

وهنا ینبری سؤال آخر وهو إذا کان أئمّه الهدی علیهم السلام بهذه المثابه من العبودیّه بحیث صاروا محلاًّ للإراده الربّانیّه وموطناً لمشیّته فلا یریدون إلّا ما یریده اللّه تعالی کیف علّقت بعض الأخبار مشیّه اللّه تعالی علی مشیّتهم ؟

قال سیّدالشهداء علیه السلام فی خطبته الشهیره إلی أن قال: رضی اللّه رضانا أهل البیت الخطبه(۱).

وعن الرضا عن آبائه علیهم السلام قال : قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : تحشر ابنتی فاطمه یوم القیامه ومعها ثیاب مصبوغه بالدم فتتعلق بقائمه من قوائم العرش فتقول یا عدل احکم بینی وبین قاتل ولدی . قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله : فیحکم لابنتی وربّ الکعبه وإنّ اللّه عزّ وجلّ یغضب لغضب فاطمه ویرضی لرضاها(۲) .

وفی زیاره الجامعه : یا أولیاء اللّه إنّ بینی وبین اللّه عزّوجلّ ذنوباً لا یأتی علیها إلّا رضاکم(۳) .

و حلّ المشکله هو أنّه تعالی أدّب نبیّه فأحسن تأدیبه فعن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله «أدّبنی ربّی فأحسن تأدیبی»(۴) وأدّب نبیّه الأوصیاء فأحسن تأدیبهم کما ورد فی الخبر عنه صلی الله علیه و آله «علیّ أدیبی»(۵) ثمّ فوّض إلیهم أمر الدین والدنیا فهم عالمون بمواضع رضا اللّه تعالی وسخطه ، ولذا لا یرضون إلّا عمّن یعلمون أنّ اللّه تعالی یرضی عنه ولا یسخطون إلّا عمّن یعلمون أنّ اللّه تعالی یسخط علیه ففی الحقیقه مشیّتهم تنبیء عن مشیّته تعالی .

والإنصاف أنّ ذلک وإن کان حقّاً إلّا أنّه لیس حلاًّ للمشکله إذ الکلام یدور حول

۱- بحارالأنوار : ۴۴/۳۶۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴۳/۲۲۰ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۲/۲۶ .

۳- بحارالأنوار : ۹۹/۱۳۳ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۲/۲۷۷ .

۴- بحارالأنوار : ۶۸/۳۸۲ عن معانی الأخبار .

۵- بحارالأنوار : ۱۶/۲۳۱ .

ص: ۴۹

خلوّ ذواتهم المقـدّسه عن مشـیّه سوی مشـیّته تعالی أو تبعیّه مشـیّتهم لمشـیّته تعالی وعلیه یکون ابتداء المشـیّه منهم علیهم السـلام غیر متلائم مع خلوّ ذواتهم المقدّسه عن مشیّه سوی مشیّه اللّه تعالی أو تبعیّه مشیّتهم لمشیّته تعالی .

وعلیه لابدّ من البحث عن المندوحه فی حلّ المشکله فنقول: أمّا قولهم علیهم السـلام «رضـی اللّه رضانا أهل البیت»(۱) وکذا «إنّ لی ذنوبـا لا یأتی علیها إلّا رضاکم»(۲) فیحتمـل أن یکون المراد منهما وأمثالهما کاشـفیّه رضاهم لرضـی اللّه تعالی ولکنّه بعیـد عن ظاهر الکلام فإنّ کلام سیّدالشـهداء علیه السـلام ظاهر فی تبعیّه رضاه تعالی لرضاهم وعلیه لا یکون هـذا الإحتمال مجدیاً فی حلّ المشـکله بالنسـبه إلی هـذه الطـائفه من الأخبـار ناهیـک عن قـوله صـلی الله علیه و آله فی حقّ ابنته فـاطمه الزهراء علیهاالسـلام «إن اللّه عزّوجلّ یغضب لغضبها ویرضی لرضاها»(۳) .

والـذی یخطر بالبال هو أنّ أهل البیت علیهم السـلام وإن کانوا لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعالی إلّا أنّ من جمله ما أراده اللّه تعالی هو إعطائهم الولایه التکوینیّه ، بل الولایه علی التکوین وبها أصـبحوا قادرین علی نجـح جمیع مطالبهم إلّا أنّهم لا یریدون إلّا ما أراده اللّه تعـالی ویوقفون أنفسـهم علی مشـیّته تعـالی ، ومع ذلک إن اقتضـی الأمر بیان مقام خلیفه الرحمن والحجّه علی أهل الزمان رفعوا طرفاً عن شمس ولایتهم لیتبیّن للکائنات مقام خلیفه اللّه علیه السلام فینساقوا إلیه کی یحظوا بالسعاده الأبدیّه فلاحظ :

عن محمّد بن مسـلم الثقفی قال : سـمعت أبا جعفر علیه السـلام یقول : لفاطمه علیهاالسلام وقفه علی باب جهنّم ، فإذا کان یوم القیامه کتب بین عینی کـلّ رجـل مؤمن أو کـافر فیؤمر بمحبّ قـد کـثرت ذنوبه إلی النـار فتقرأ فـاطمه بین عینیه محبّـا فتقول : إلهی وسـیّدی سمّیتنی فاطمه وفطمت بی من تولّانی وتولّی ذریّتی من النار ووعدک الحقّ وأنت لا تخلف المیعاد .

۱- بحارالأنوار : ۴۴/۳۶۶ .

۲- الزیاره الجامعه الکبیره .

۳- بحارالأنوار : ۲۷/۶۲ .

ص: ۵۰

فیقول اللّه عزّ وجلّ : صدقت یا فاطمه إنّی سمّیتک فاطمه وفطمت بک من أحبّک وتولّاک وأحبّ ذریتک وتولّاهم من النار ووعدی الحقّ وأنا لا أخلف المیعاد وإنّما أمرت بعبدی هذا إلی النار لتشفعی فیه فأشفّعک ولیتبیّن ملائکتی وأنبیائی ورسلی وأهل الموقف موقفک منّی ومکانتک عندی فمن قرأت بین عینیه مؤمنا فخذی بیده وأدخلیه الجنّه(۱) .

قال صلی الله علیه و آله : أدّبنی ربّی فأحسن تأدیبی(۲) .

عن أبی إسحاق النَّحویّ قال : دخلت علی أبی عبداللّه علیه السلام فسمعته یقول : إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ أدَّب نبیَّه علی محبَّته فقال : « وإنَّک لَعَلی خُلُقٍ عَظِیم »(۳) ثمَّ فوَّض إلیه فقال عزَّ وجلَّ : « وما آتاکم الرَّسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا »(۴) وقال عزَّ وجلَّ : « من یطع الرَّسول فقد أطاع اللّه »(۵) قال ثمَّ قال : وإنّ نبیّ اللّه فوّض إلی علیّ وائتمنه فسلَّمتم وجحد النَّاس فو اللّه لنحبُّکم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فیما بینکم وبین اللّه عزَّ وجلَّ ، ما جعل اللّه لِإحدٍ خیرا فِی خِلافِ أمرنا(۶) .

وبعباره أُخری إنّ أهل البیت علیهم السلام یرون شرفهم وعزّتهم فی العبودیّه والإنصیاع إلی الربّ المتعال کما قال مولانا أمیرالمؤمنین علیه السلام : إلهی کفی بی عزّاً أن أکون لک عبداً وکفی بی فخراً أن تکون لی ربّاً أنت کما أحب فاجعلنی کما تحب(۷) .

عن الزُّهریّ قال : دخلت مع علیّ بن الحسین علیه السلام علی عبدالملک بن مروان قال : فاستعظم عبد الملک ما رأی من أثر السُّجود بین عینی علیّ بن الحسین علیه السلام فقال : یا أبا محمَّدٍ لقد بیّن علیک الاجتهاد ولقد سبق لک من اللّه الحسنی وأنت بضعهٌ من رسول اللّه صلی الله علیه و آله قریب النسب وکید السبب وإنَّک لذو فضلٍ عظیمٍ علی أهل بیتک وذوی عصرک

۱- بحارالأنوار : ۴۳/۱۴ ح ۱۱ ، علل الشرایع : ۱/۱۷۹ .

۲- بحارالأنوار : ۶۸/۳۸۲ عن معانی الأخبار .

۳- القلم : ۴ .

۴- الحشر : ۷ .

۵- الحشر : ۷ .

۶- الکافی : ۱/۲۶۵ .

۷- بحارالأنوار : ۷۴/۴۰۲ ، الخصال : ۲/۴۲۰ .

ص: ۵۱

ولقد أوتیت من الفضل والعلم والدین والورع ما لم یؤته أحدٌ مثلک ولا قبلک إلّا من مضی من سلفک وأقبل یثنی علیه ویطریه قال فقال علیٌّ بن الحسین علیه السلام : کلُّ ما ذکرته ووصفته من فضل اللّه سبحانه وتأییده وتوفیقه فأین شکره علی ما أنعم یا أمیرالمؤمنین کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقف فی الصلاه حتَّی تَرِمَ قدماه ویظمأ فی الصیام حتَّی یعصب فوه فقیل له یا رسول اللّه ألم یغفر اللّه لک ما تقدَّم من ذنبک وما تأخَّر فیقول صلی الله علیه و آله أفلا أکون عبدا شکورا الحمد للّه علی ما أولی وأبلی وله الحمد فی الآخره والأولی واللّه لو تقطَّعت أعضائی وسالت مقْلتای علی صدری لن أقوم للّه جلَّ جلاله بشکر عشر العشیر من نعمهٍ واحدهٍ من جمیع نعمه التی لا یحصیها العادُّون ولا یبلغ حدَّ نعمهٍ منها علیَّ جمیع حمد الحامدین ، لا واللّه أو یرانی اللّه لا یشغلنی شیءٌ عن شکره وذکره فی لیلٍ ولا نهارٍ ولا سرٍّ ولا علانیهٍ ولولا أنَّ لأهلی علیَّ حقّا ولِسائِرِ النَّاسِ مِن خاصِّهِم وعامِّهِم علیَّ حقوقا لا یسعنی إلّا القیام بها حسب الوسع والطاقه حتَّی أؤدّیها إلیهم لرمیت بطرفی إلی السماء وبقلبی إلی اللّه ثمَّ لم أرددهما حتَّی یقضی اللّه علی نفسی وهو خیر الحاکمین وبکی علیه السلام وبکی عبدالملک الخبر(۱) .

ومن الواضح أنّ الاستفاده من القدره التی وهبها اللّه تعالی إیّاهم لبیان مقام خلیفه اللّه کی ینصاع الخلائق إلیه ویحظوا بالسعاده لا ینافی خلوّهم عن مشیّه سوی مشیّته تعالی أو وقوف إرادتهم علی إرادته ، فإنّ الظاهر أنّهم أخلوا أنفسهم من مشیّه فی قبال مشیّته تعالی ولم یریدوا ما ینافی رضاه وقربه .

و بعباره ثالثه : إنّ أهل البیت علیهم السلام وإن کانوا بحسب مقام قربهم من اللّه تعالی ومعرفتهم به لا یحبّون أن یکبروا فی أعین الناس ولذا کانوا یتواضعون حتّی لأحقر الخلیقه کما یستأنس ذلک من الصلوات المرویّه عن الإمام العسکری روحی فداه حیث إنّه لمّا وصل إلی الصلاه علی نفسه صعب علیه الأمر فی بیانه إلّا أنّه قال علیه السلام ما حاصله بأنّ من الواجب علینا بیان مقاماتنا للناس فلاحظ :

۱- مستدرک الوسائل : ۱/۱۲۵ .

ص: ۵۲

قال أبو محمّد عبد اللّه بن محمّد الیمنیّ قال : فلمّا انتهیت إلی الصلاه علیه أمسک فقلت له فی ذلک ، فقال : لولا أنّه دین أمرنا اللّه أن نبلغه ونؤدیه إلی أهله لأحببت الإمساک ولکنّه الدین اکتبه : الصلاه علی الحسن بن علیّ العسکریّ علیهماالسلام : اللّهمّ صلّ علی الحسن بن علیّ الهادی البرّ التقیّ الصادق الوفیّ النور المضیء خازن علمک والمذکّر بتوحیدک ووليّ أمرک وخلف أئمّه الدین الهداه الراشدین والحجّه علی أهل الدنیا فصلّ علیه یا ربّ أفضل ما صلیت علی أحد من أصفیائک وحججک علی خلقک وأولاد رسلک یا إله العالمین(۱) .

إلّا أنّ صدور مشیّه منهم فی مقام إعلاء مقام خلیفه اللّه کی یتّبعه من کان له قلب وألقی السمع وهو شهید لا ینقض خلوّهم عن مشیّه سوی مشیّته تعالی أو تبعیّه مشیّتهم لمشیّته تعالی وعلیه تکون الأخبار الدالّه علی خلوّهم عن مشیّه سوی مشیّته أو تبعیّه مشیّتهم لمشیّته تعالی منصرفه عن هذه الموارد قطعاً .

وروح الکلام أنّ صدور مشیّه منهم علیهم السلام فی مقام بیان مقام خلیفه اللّه لغرض انسیاق الخلائق إلیه للحصول علی السعاده بعد أن کان فی مشیّه اللّه تعالی أن الولایه لهم لا ینافی خلوّهم عن مشیّه اللّه تعالی ، فإنّ المشیّه الصادره منهم مشیّه اللّه تعالی أوّلاً ومشیّته آخراً وله الحمد کما هو أهله .

إذا عرفت ذلک یتضّح لک شأن عبودیّه أهل البیت علیهم السلام فمع أنّهم قادرون علی ما یریدون بإذن اللّه تعالی إلّا أنّهم لا یریدون إلاّ ما أراده اللّه تعالی ، بل یکونون دائماً فی غایه الخضوع والخشوع للربّ المتعال ، فإنّ معنی العبودیّه إمّا تکون بمعنی «غایه التذلّل مع الإعتقاد بمالکیه المعبود» أو بمعنی «غایه التذلّل والخضوع للمعبود بحیث لا ینبغی ذاک الخضوع إلّا للمالک» فالعبد یعرف ربوبیّه الربّ تعالی کما أنّه یعرف فقر نفسه الذاتیّ وعجزه .

فالعبد الحقیقی طوع لأمر مولاه ، فهو کالمیّت فی ید الغسّال لا یتحرّک إلّا

۱- بحارالأنوار : ۹۱/۷۸ ، جمال الأسبوع : ۴۹۲ .

ص: ۵۳

بتحريكه ، ولـذا ترى أنّ أوليـاء اللّه تعالى وأنبيائه كانوا أخضع الناس للّه تعالى ، فإنّ أمرهم ربّهم بأمر أطاعوه وقـد ورد فى الأخبار أنّ السرّ فى صـيروره أُولى العزم من الرسـل أُولى عزم هو أنّهم آمنوا بالـدرجات العـاليه من مقامات أئمّه الهـدى عليهم السـلام (۱) ومن الواضح أنّ إطاعه اللّه تعالى فى أمره بالتواضع للرسول وآله عليهم السلام ينبىء عن شدّه عبوديّتهم .

هذا ومن أراد أن يعرف شدّه عبوديّه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فليراجع القرآن الكريم فلاحظ هذه الآيات المباركات :

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ ، لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِين ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِين »(۲) .

« وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَىَّ إِنِّى أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »(۳) .

« قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعا وَلا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللّه وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(۴) .

« قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَ لا نَفْعا إِلَّا ما شاءَ اللّه لِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ »(۵) .

« ما كانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ

۱- عن جابر بن يزيد ، عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله اللّه عزّ وجلّ : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » (طه : ۱۱۵) قال : عهـد إليه فى محمّـد والأئمه من بعده فترك ، ولم يكن له عزم فيهم أنّهم هكذا ، وإنّما سـمّى أولوا العزم لأنّهم عهد إليهم فى محمّد والأوصياء من بعده والمهدىّ وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به . (بحارالأنوار : ۱۱/۳۵ ح۱۱ ، علل الشرايع : ۱/۱۲۲) . عن عبد العظيم الحسنى قال : سـمعت على بن محمد العسـكرى عليه السـلام يقول : إنّما اتخذ اللّه عزّ وجلّ إبراهيم خليلا لكثره صلواته على محمّد وأهل بيته صلوات اللّه عليه وآله . (بحارالأنوار : ۱۲/۴ ح۹ ، علل الشرايع : ۱/۳۴)

۲- المعارج : ۴۴ ۴۶ .

۳- يونس : ۲۵ .

۴- الأعراف : ۱۸۸ .

۵- يونس : ۴۹ .

ص: ۵۴

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ »(۱) .

« قُلْ ما کُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ وَ ما أَدْرِی ما یُفْعَلُ بِی وَ لا بِکُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ مُبِینٌ »(۲) .

« أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَیْتُهُ فَلا تَمْلِکُونَ لِی مِنَ اللّه شَیْئا هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِیضُونَ فِیهِ کَفی بِهِ شَهِیدا بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ »(۳) .

وغیر ذلک من الآیات المبارکات .

فإنّ هذه الآیات المبارکات تجعل الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله فی عداد سائر الخلائق من حیث المخلوقیّه إلّا أنّه صلی الله علیه و آله لم یکفّ عن تلاوتها علی الناس فهذه هی منتهی العبودیّه کما لا یخفی ، هذا مع ملاحظه سعه ملکیته بحیث أصبح الکون طوعاً لأمره بإذن اللّه تعالی فمع أنّ الرسول وآله علیهم السلام «ساسه العباد»(۴) إلّا أنّهم لا یسبقونه بالقول وهم بأمره یعملون .

الآیه الثامنه :

وقال تعالی : « عَالِمِ الْغَیْبِ وَالشَّهَادَهِ »(۵) .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام فی قوله عزّوجلّ « عالِمِ الْغَیْبِ وَالشَّهادَهِ » فقال : الغیب ما لم یکن والشهاده ما قد کان(۶) .

أقول : یحتمل فی «ما لم یکن» أمران :

۱ أن یکون المراد منه هو الشیء الذی لم یتعلّق رأی اللّه تعالی به ، فهو تعالی عالم به أیضاً کما أنّه تعالی عالم بالشهاده .

۲ أن یکون المراد منه ما لم یکن فی السابق ، أی ما کان مقدّراً ثمّ وقع علیه البداء

۱- التوبه : ۱۱۳ .

۲- الأحقاف : ۹ .

۳- الأحقاف : ۸ .

۴- الزیاره الجامعه الکبیره .

۵- الأنعام : ۷۳ ؛ التوبه : ۹۴ و ۱۰۵ ؛ الرعد : ۹ ؛ المؤمنون : ۹۲ ؛ السجده : ۶ ؛ الزمر : ۴۶ ؛ الحشر : ۲۲ ؛ الجمعه : ۸ ؛ التغابن : ۱۸ ؛ الجنّ : ۲۶ .

۶- بحارالأنوار : ۴/۸۰ ، معانی الأخبار : ۱۴۶ .

ص: ۵۵

فمحى وأثبت التقدير الثانى ، فإنّه تعالى عالم بذلك أيضاً .

إذا عرفت ذلك نقول : بناء على كلا الإحتمالين ، تكون الآيه المباركه من الأدلّه الدالّه على العلم غير المحمول .

أمّا بناء على الإحتمال الأوّل ، فواضح .

و أمّا بناء على الإحتمال الثانى ، فلأنّه عالم بما لم يكن (بالتقدير الأوّل) بالعلم الذاتىّ غير المحمول وغير المتعيّن ، فإنّه تعالى عالم به بالعلم المخزون المكنون ، واللّه تعالى العالم .

الآيه التاسعه :

وقال تعالى : « هذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(۱) .

عن الحسين بن بشار عن الإمام أبى الحسن علىّ بن موسى الرضا عليه السلام قال : سألته أيعلم اللّه الشىء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلاّ ما يكون ؟

فقال : إنّ اللّه تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء . قال عزّ وجلّ : « إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون » وقال لأهل النار : « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون »(۲) فقد علم عزّ وجلّ أنّه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه وقال للملائكه لمّا قالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّى أعلم ما لا تعلمون »(۳) فلم يزل اللّه عزّ وجلّ علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها فتبارك ربّنا وتعالى علوّاً كبيراً خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء كذلك لم يزل ربّنا عليماً سميعاً بصيراً(۴) .

أقول : الظاهر من استدلال الإمام عليه السلام بالآيه المباركه أنّ اللّه تعالى لعلمه بمآل العباد وأعمالهم بالعلم بلا معلوم يعرف الأشياء قبل حدوثها ، ولذا يتمّ الإستنساخ

۱- الجاثيه : ۲۹ .

۲- الأنعام : ۲۸ .

۳- البقره : ۳۰ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۷۸ ، التوحيد : ۱۳۶ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ۱/۱۱۸ .

ص: ۵۶

قبل أن یعملها العاملون . ولکن یبدو لی أنّ المراد من العلم فی خصوص المقام هو العلم المحمول إذ اللّه تعالی عالم بالأشیاء قبل حدوثها بالعلم بلاـ معلوم ، وأمّا خصوص صدور أعمال العباد عنهم فإنّه وإن کان مکشوفاً للّه تعالی بالعلم المخزون إلّا أنّ أخْذ قید صدورها فی المقام یوءیّد کون العلم الملحوظ هنا هو العلم المحمول ، إذ العلم المکفوف لا تعیّن فیه أصلاً .

نعم ، یکون صدورها عنهم بالإراده والاختیار ، وعلمه المحمول تابع ولا یلزم الجبر کما قرّر فی محلّه ویشهد علی ذلک الخبر الآتی ، فلاحظ :

عن عبد الرحمن القصیر عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : سألته عن « ن والقلم »(۱) ، قال : إنّ اللّه خلق القلم من شجره فی الجنّه یقال لها الخلد ، ثمّ قال لنهر فی الجنّه کن مداداً فجمد النهر وکان أشدّ بیاضاً من الثلج وأحلی من الشهد ، ثم قال للقلم : اکتب قال : وما أکتب یا ربّ ؟ قال : اکتب ما کان وما هو کائن إلی یوم القیامه . فکتب القلم فی رقّ أشدّ بیاضاً من الفضّه وأصفی من الیاقوت ، ثمّ طواه فجعله فی رکن العرش ، ثمّ ختم علی فم القلم فلم ینطق بعد ولا ینطق أبداً ، فهو الکتاب المکنون الذی منه النسخ کلّها ، أو لستم عُربا فکیف لا تعرفون معنی الکلام ، وأحدکم یقول لصاحبه انسخ ذلک الکتاب ، أو لیس إنّما ینسخ من کتاب أخذ من الأصل وهو قوله « إنّا کنّا نستنسخ ما کنتم تعملون »(۲) .

فإنّ الظاهر منه هو أنّ الإستنساخ کان واقعاً ممّا کتبه القلم ، فالملائکه یکتبون الأعمال التی قدّرها اللّه تعالی علی العباد فی السابق . فبعد صدور الأعمال من العباد ، یکتبونها لا عن أعمالهم فی الخارج بل عمّا أملاه اللّه تعالی للقلم سابقاً کما ورد فی الخبر «و علی ما سطر فی المکنون من کتابه ماضون لا یعملون خلاف ما علم منهم ولا غیره یریدون»(۳) .

۱- القلم : ۱ .

۲- تفسیر القمّی : ۲/۳۷۹ .

۳- التوحید : ۴۷ .

ص: ۵۷

هذا کلّه بحسب هذا الخبر وهناک خبر آخر یدلّ علی أنّ الإستنساخ یکون من العمل ، والذی یخطر بالبال أنّ هذا الخبر یساعده ظاهر الآیه المبارکه کما أشار الإمام علیه السلام علی ذلک بقوله : «أو لستم عُرباً» فیحتمل أن یکون الخبر الآخر مشیراً إلی بطن الآیه واللّه تعالی العالم .

نعم ، إنّ اللّه تعالی علم أنّهم سیفعلونها عن قدره واختیار ، ولذا لا یضرّ العلم باختیارهم فهم من حیث أنّهم تحمّلوا نور القدره مختارون لما یشاءون ، والعلم المحمول تابع لا متبوع وتفصیل الکلام حول شبهه الجبر ونقضها فی کتابنا «سدّ المفرّ علی القائل بالقدر» ، فراجع .

فتحصّل أنّ الظاهر من الآیه المبارکه أنّها تشیر إلی العلم المحمول ، وقد استدلّ الإمام علیه السلام بها علی علمه تعالی بالأشیاء قبل کونها ، وبذلک یتّضح أنّ العلم المحمول أیضاً علم بلا معلوم .

وبناء علی ما استظهرناه من الآیه المبارکه ، لا تکون هذه من الآیات الدالّه علی علمه المکفوف إلّا باعتبار أنّ العلم المحمول متقوّم بالعلم المخزون المکنون ، ولعلّ الإمام علیه السلام کان بصدد بیان علمه الأزلیّ غیر المحمول لدلاله قوله علیه السلام «فلم یزل اللّه عزّ وجلّ علمه سابقاً للأشیاء قدیماً قبل أن یخلقها فتبارک ربّنا وتعالی علواً کبیراً» علی أنّ اللّه تعالی عالم بالأشیاء قدیماً وقبل خلق الخلائق إلّا أنّه لمّا کان معرفه علمه المکنون المخزون ممّا یصعب علی الرواه ، لذا استدلّ علی علمه تعالی بالأشیاء قبل کونها بالعلم المحمول ، فإنّ وجدان کون علمه تعالی بلا حصر ولا حدّ ولا تعیّن ، وأنّه تعالی عالم بالأنظمه اللامتناهیه أزلاً بالعلم بلا معلوم ممّا لا یمکن إلّا لمن استنار قلبه بأنوار معارف أهل البیت علیهم السلام .

وبما أنّ منشأ العلم المحمول هو العلم الأزلیّ المخزون المکنون الذی لا یطّلع علیه أحد ، یکون علمه تعالی بالأشیاء قبل کونها بالعلم المکفوف بطریق أولی ، واللّه تعالی العالم .

ص: ۵۸

و من المحتمل أن یکون وجه الإستشهاد بقوله تعالی « إِنَّا کُنَّا نَسْتَنْسِخُ » الآیه علی العلم بلا معلوم فی خبر الإمام الرضا علیه السلام هو أنّها تدلّ علی الإستنساخ ، فلابدّ من أن یکون هناک أصل یستنسخ منه وهو ما یدلّ علیه الخبر الوارد فی تفسیر القمّی ، ولا یتصوّر ، ولا یعقل وجود ذلک الأصل إلاّ من جهه العلم بلا معلوم کما هو واضح .

وعلی أیّ تقدیر ، فإنّ دلاله الآیه المبارکه علی العلم بلا معلوم لیست إلاّ من جهه دلالتها علی أصل یکون الإستنساخ منه وهو لا یتصوّر إلاّ من جهه العلم بلا معلوم فلا تنافی بین الخبرین . واللّه تعالی العالم وأولیاؤه بحقائق کلامه .

و أمّا استشهاده علی علمه تعالی قبل الأشیاء بقوله تعالی « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ »(۱) فهو لأجل دلاله الآیه المبارکه علی أنّ اللّه تعالی مع أنّه لا یعید الکفّار إلی دار الدنیا إلاّ أنّه عالم بأنّه إن ردّهم إلی دار الدنیا سیعودون إلی کفرهم القدیم .

فهده الآیه المبارکه آیه علمه بجمیع التقدیریّات ، فإنّه عالم بأنّه إن قدّر لزید أن یعیش کذا من العمر کیف سیکون عمله ، ولذا ورد فی الدعاء «فإذا کان عمری مرتعاً للشیطان فاقبضنی إلیک»(۲) فإنّه تعالی عالم بأنّ عمر الإنسان سیکون مرتعاً للشیطان فی المستقبل أو سبباً لنیل المکارم والفضائل .

و أمّا استشهاده علیه السلام بقوله تعالی « إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً »(۳) الآیه فهو لأجل علمه تعالی بشرف الخلیفه وإطاعته له تعالی ، وهذا هو ما جهله الملائکه ، فصار جهلهم سبباً للإعتراض علی اللّه تعالی . وبما أنّ اللّه تعالی عالم بمآل الخلیفه فی المستقبل ، یکون علمه تعالی بحاله علماً بلا معلوم وقبل وقوع الشیء .

الآیه العاشره :

وقال تعالی : « لَوْ کَانَ فِیهِمَا آلِهَهٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ »(۴) .

۱- الأنعام : ۲۸ .

۲- بحارالأنوار : ۷۰/۶۲ ، الصحیفه السجادیه : ۹۴ .

۳- البقره : ۳۰ .

۴- الأنبیاء : ۲۲ .

ص: ۵۹

الآیه الحادیه عشره :

وقال تعالی : « مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ »(۱) .

عن فتح بن یزید الجرجانی عن الإمام أبی الحسن علیه السلام قال : قلت له : یعلم القدیم الشیء الذی لم یکن أن لو کان کیف کان یکون ؟

قال : ویحک ، إنّ مسألتک لصعبه ، أما سمعت اللّه یقول « لو کان فیهما آلهه إلاّ اللّه لفسدتا » وقوله « ولعلا بعضهم علی بعض » وقال یحکی قول أهل النار « أخرجنا نعمل صالحاً غیر الّذی کنّا نعمل » وقال « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » فقد علم الشیء الذی لم یکن أن لو کان کیف کان یکون ، الخبر(۲) .

بیان : فیظهر من هذا الخبر الشریف أنّ اللّه تعالی عالم بالأشیاء الممتنعه أیضاً ، فإنّه تعالی عالم بأنّ وجود إلهین یوجب الفساد فی العالم وأنّه تعالی عالم بالتقدیریّات أیضاً ، کما مرّ .

العلم المخزون فی الأخبار :

فعن ابن مسکان عن أبی بصیر قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام یقول : لم یزل اللّه جلّ وعزّ ربّنا ، والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدره ذاته ولا مقدور ، فلمّا أحدث الأشیاء وکان المعلوم وقع العلم منه علی المعلوم ، والسمع علی المسموع ، والبصر علی المبصر ، والقدره علی المقدور .

قال : قلت : فلم یزل اللّه متکلّماً ؟

قال : إنّ الکلام صفه محدثه لیست بأزلیّه ، کان اللّه عزّ وجلّ ولا متکلّم(۳) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ دلاله واضحه علی علمه تعالی المستغنی عن

۱- المؤمنون : ۹۱ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۲ ، التوحید : ۶۴ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۷۱ ح۱۸ ، التوحید : ۱۳۹ .

ص: ۶۰

وجود المعلوم ، فإنّه تعالی عالم ولا ـ معلوم والعلم ذاته تعالی . وبعدما خلق المعلوم یقع العلم علی ما کان معلوماً بالعلم بلا معلوم ، وهکذا الأمر بالنسبه إلی السمع والبصر والقدره .

أفاد شیخنا الأستاذ آیه اللّه المیرزا حسن علیّ المروارید قدس سره :

قوله علیه السلام : «وقع العلم علی المعلوم» أی وقع العلم علی ما کان کاشفاً عنه قبل وجوده(۱) ؛ انتهی کلامه رفع مقامه .

ومن الواضح أنّ العلم الذاتیّ هو العلم المکفوف المخزون الذی لا یمکن أن یطّلع علیه أحد لسبوحیّته وعدم حصره ، بل علمه تعالی کشف وعیان لجمیع الأنظمه اللامتناهیه ونقائضها بالعلم بلا معلوم .

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام أجاب علی سوءال الروای بالنسبه إلی الکلام ، وأنّه تعالی هل کان متکلّماً أم لا ، بأنّ الکلام صفه محدثه ، فکان اللّه تعالی ولا متکلّم .

عن جعفر بن محمّد الأشعریّ عن فتح بن یزید الجرجانیّ قال : کتبت إلی الإمام أبی الحسن الرضا علیه السلام أسأله عن شیء من التوحید فکتب إلیّ بخطّه قال جعفر : وإنّ فتحاً أخرج إلیّ الکتاب فقرأته بخطّ أبی الحسن علیه السلام : بسم اللّه الرحمن الرحیم الحمد للّه الملهم عباده الحمد ، وفاطرهم علی معرفه ربوبیّته الدالّ علی وجوده بخلقه ، وبحدوث خلقه علی أزلیّته ، وباشتباههم علی أن لا شبه له ، المستشهد بآیاته علی قدرته ، الممتنع من الصفات ذاته ، ومن الأبصار روءیته ، ومن الأوهام الإحاطه به ، لا أمد لکونه ، ولا ـ غایه لبقائه ، لا تشمله المشاعر ، ولا تحجبه الحجاب ، فالحجاب بینه وبین خلقه لامتناعه ممّا یمکن فی ذواتهم ، ولإمکان ذواتهم ممّا یمتنع منه ذاته ، ولافتراق الصانع والمصنوع ، والربّ والمربوب ، والحادّ والمحدود ، أحد لا بتأویل عدد ، الخالق لا بمعنی حرکه ، السمیع لا ـ بأداه ، البصیر لا ـ بتفریق آله ، الشاهد لا ـ بمماسّه ، البائن لا ببراح مسافه ، الباطن لا باجتنان ، الظاهر لا بمحاذ ، الذی قد حسرت

۱- تنبیهات حول المبدأ والمعاد : ۱۳۸ .

ص: ۶۱

دون کنهه نوافذ الأبصار ، وأقمع وجوده جوائل الأوهام ، أوّل الدیانه معرفته ، وکمال المعرفه توحیده ، وکمال التوحید نفی الصفات عنه لشهاده کلّ صفه أنّها غیر الموصوف وشهاده الموصوف أنّه غیر الصفه وشهادتهما جمیعاً علی أنفسهما بالبَیْنَه ، الممتنع منها الأزل . فمن وصف اللّه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال کیف فقد استوصفه ، ومن قال علامَ فقد حمله ، ومن قال أین فقد أخلی منه ، ومن قال إلامَ فقد وقّته ، عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، وکذلک یوصف ربّنا ، وهو فوق ما یصفه الواصفون(۱) .

قوله علیه السلام «عالم إذ لا ـ معلوم» صریح فی ثبوت العلم بلا ـ معلوم له تعالی فإنّه تعالی عالم قبل المعلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وإله إذ لا مألوه ، ومن الواضح أنّ ثبوت العلم له تعالی قبل المعلوم یشیر إلی علمه الذاتیّ القدّوس .

حدّثنی محمّد بن یحیی بن عمر بن علیّ بن أبی طالب قال : سمعت الإمام أباالحسن الرضا علیه السلام یتکلّم بهذا الکلام عند المأمون فی التوحید إلی قال علیه السلام : له معنی الربوبیّه إذ لا مربوب ، وحقیقه الإلهیّه إذ لا مألوه ، ومعنی العالم ولا معلوم ، ومعنی الخالق ولا مخلوق ، وتأویل السمع ولا مسموع ، لیس مذ خلق استحقّ معنی الخالق ، ولا بإحداثه البرایا استفاد معنی البارئیّه ، الخبر(۲) .

الظاهر أنّ المراد من الربوبیّه هو المدبّریّه وللّه تعالی معنی المدبّریّه ولا مربوب ، فالربّ تعالی ربّ إذ لا مربوب ، وکذا الأمر بالنسبه الی الخلق فإنّه تعالی لیس مذ خلق الخلق استحقّ معنی الخالقیّه بل له معنی الخالقیّه قبل أن یخلق الخلق فکمال الخالقیّه ثابت للّه تعالی وإن لم یخلق ولیست الخالقیّه قوّه تصل إلی الفعلیّه بعد الخلق .

و أمّا الإلهیّه فإنّه تعالی إله قبل خلق الخلق ، فإنّه سبّوح سواء کان هناک من یعرف

۱- بحارالأنوار : ۴/۲۸۴ ، التوحید : ۵۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۲۲۹ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۱/۱۴۹ ، التوحید : ۳۴ .

ص: ۶۲

السبّوحیّه أم لم یکن من یعرفها .

و الظاهر أنّ المقصود من العلم هو الکشف ، ولمّا کان علمه تعالی الذاتیّ کشفاً للأنظمه اللامتناهیه وجمیع التقدیریّات یکون له معنی العالم ولا معلوم وکذا الأمر بالنسبه إلی السمع ، فإنّ اللّه تعالی عالم بالمسموعات قبل حدوثها .

أفاد شیخنا الأستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره فی ذیل هذه الأخبار ونظائرها :

ظاهر عند أولی الألباب أنّ هذه الروایات سیاقها سیاق الإثبات والتمجید ، أی ، تمجیده تعالی بالألوهیّه والربوبیّه والعالمیّه والقادریّه ، وتمجیده تعالی بتوحّده وتفرّده فی هذه النعوت الکمالیّه ، وتمجیده سبحانه بالتفرّد بتلک النعوت فی الأزل : أی ، إنّها لیست مکتسبه ومستفاده من ناحیه وجود المربوبین والمألوهین والمعلومین والمقدورین . کما هو صریح قول مولانا أبی الحسن الرضا صلوات اللّه علیه حیث قال : له . . . حقیقه الإلهیّه إذ لا مألوه . . . ولیس مذ خلق استحقّ معنی الخالق ، ولا بإحداثه البرایا استفاد معنی البارئیّه . فلا یجوز الإصغاء إلی القول بأنّ المراد فی هذه الروایات نفی المعلومات والمقدورات وغیرها عن مرتبه الذات ، فیکون الکلام راجعاً إلی توحید الذات وتقدیساً لها عن وجود شیء معه فی مرتبه الذات ، لأنّ سیاقها أجنبی عن سیاق التنزیه والتقدیس فی مرتبه الذات . ولکن حیث إنّ هذه الروایات مسوقه لتنزیهه تعالی وغناه عن المعلومات والمقدورات کی ینتزع من ناحیه المعلومات والمقدورات حقیقه العلم والقدره ، فلا محاله یستفاد منها بالملازمه البیّنه العقلیّه عدم وجود شیء مع اللّه سبحانه من سنخ ما یعلم ویسمع ویبصر ویوءله ویربَّب فی مرتبه الذات فی الأزل . فتحصّل أنّ اللّه تعالی عالم وقادر بذاته من دون

ص: ۶۳

افتقار إلی انتزاع العلم والقدره من ناحیه المعلوم والمقدور(۱) ؛ انتهی کلامه رفع مقامه .

و حاصل کلامه رحمه اللّه تعالی أنّ هـذه الأخبار ناظره إلی تمجیـده تعالی من ناحیه عدم احتیاجه إلی المعلوم والمقدور وغیرهما فی کونه عالماً قادراً ، بل إنّه تعالی عالم بـذاته وقادر بذاته ولا یحتاج إلی المعلوم والمقدور أبداً ، فهذه الکمالات ثابته له تعالی قبل کون المعلوم والمقـدور . وبما أنّها مسوقه لتنزیهه تعالی عن المعلومات والمقـدورات ، فیسـتفاد منها عـدم وجود شـیء معه تعالی من سـنخ المعلومات والمعقولات .

أقول : الأـمر کمـا أفـاده قـدس سـره إلاّـ أنّه لمّـا کـانت هـذه الأخبار تتحـدّث عن العلم الـذاتیّ الإلهیّ ، تصـیر بـذلک دالّه علی العلم المخزون المکنون أیضاً .

عن ابن مسـکان قال : سألت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام عن اللّه تبارک وتعالی أکان یعلم المکان قبل أن یخلق المکان أم علمه عند ما خلقه وبعد ما خلقه ؟

فقال : تعالی اللّه ، بل لم یزل عالماً بالمکان قبل تکوینه کعلمه به بعد ما کوّنه ، وکذلک علمه بجمیع الأشیاء کعلمه بالمکان(۲) .

هـذا الخبر الشـریف صـریح فی أنّ العلم المکفوف لاـ یتأثر بالمتغیّرات فإنّه کشف للکائنات واللاکائنات والأنظمه اللامتناهیه ، فکیف یتأثّر بالخلق ! فإنّ اللّه تعالی عالم بالمکان قبل خلق المکان ، وعالم بجمیع الأشیاء قبل خلقها ، وبعد أن خلقها لم یتأثّر علمه المکفوف بها ، فإنّ من الواضح أنّ علمه الذاتیّ أجلّ وأشرف من أن یتأثّر بشیء .

عن ابن أبی عمیر عن هشام بن سالم قال : دخلت علی الإمام أبی عبداللّه علیه السلام فقال لی : أتنعت اللّه ؟

قلت : نعم .

۱- توحید الإمامیّه : ۲۶۹ ۲۷۰ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۵ ، التوحید : ۱۳۷ .

ص: ۶۴

قال : هات .

فقلت : هو السميع البصير .

قال : هذه صفه يشترك فيها المخلوقون .

قلت : فكيف ننعته ؟

فقال : هو نور لا ظلمه فيه ، وحياه لا موت فيه ، وعلم لا جهل فيه ، وحقّ لا باطل فيه . فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد(۱) .

الظاهر أنّ نفى الظلمه والموت والجهل عنه يستلزم نفى المخلوقيّه وصفاتها عنه ، فإنّ المخلوق جاهل الذات وميّت الذات وظلمانىّ الذات . ولمّا كان تعالى نوراً لا ظلمه فيه وحياةً لا موت فيه وعلماً لا جهل فيه وحقّاً لا باطل فيه ، يكون منزّهاً عن الخلائق . ولذا قال الراوى «خرجت وأنا أعلم الناس بالتوحيد» إذ التوحيد هو تمييزه عن خلقه . فتأمّل جيّداً فإنّ ذلك باب من العلم ، فتحه الإمام عليه السلام لخاصّته جعلنا اللّه تعالى منهم .

هذا ودلاله الخبر الشريف على علمه تعالى الذاتىّ ممّا لا غبار عليه .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام قال : إنّ اللّه تبارك وتعالى كان ولا شىء غيره ، نوراً لا ظلام فيه ، وصادقاً لا كذب فيه ، وعالماً لا جهل فيه ، وحيّاً لا موت فيه ، وكذلك هو اليوم ، وكذلك لا يزال أبداً(۲) .

الخبر الشريف صريح فى أنّه تعالى علم لا جهل فيه قبل خلق الخلق وبعد خلق الخلق ، فخلقه وإيجاده الخلق لا يوءثّر فى علمه ، فليس مذ خلق استحقّ معنى الخالقيّه .

والوجه فى عدم تأثّر علمه تعالى بالخلائق ، هو سبوّحيّته عن التأثّر . ولمّا كان علمه تعالى كشفاً للأنظمه اللامتناهيه أزلاً وأبداً بلا تعيّن فى علمه القدّوس ، يكون

۱- بحارالأنوار : ۴/۷۰ ، التوحيد : ۱۴۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۶۹ ، التوحيد : ۱۴۰ .

ص: ۶۵

ذلک دلیلاً علی عدم انحصار علمه بالنظام المخلوق .

عن أبی هاشم الجعفری قال : کنت عند الإمام أبی جعفر الثانی علیه السلام فسأله رجل فقال : أخبرنی عن الربّ تبارک وتعالی ، أله أسماء وصفات فی کتابه ؟ وهل أسماوءه وصفاته هی هو ؟

فقال أبوجعفر علیه السلام : إنّ لهذا الکلام وجهین : إن کنت تقول هی هو أنّه ذو عدد وکثره ، فتعالی اللّه عن ذلک . وإن کنت تقول هذه الأسماء والصفات لم تزل ، فإنّما لم تزل محتمل معنیین : فإن قلت لم تزل عنده فی علمه وهو یستحقّها ، فنعم . وإن کنت تقول لم یزل صورها وهجاوءها وتقطیع حروفها ، فمعاذ اللّه أن یکون معه شیء غیره ، بل کان اللّه تعالی ذکره ولا خلق ، ثمّ خلقها وسیله بینه وبین خلقه ، یتضرّعون بها إلیه ، ویعبدونه ، وهی ذکره . وکان اللّه سبحانه ولا ذکر والمذکور بالذکر هو اللّه القدیم الذی لم یزل ، والأسماء والصفات مخلوقات والمعنیّ بها هو اللّه الذی لا یلیق به الإختلاف ولا الإیتلاف ، وإنّما یختلف ویأتلف المتجزّی ، ولا یقال له قلیل ولا کثیر ولکنّه القدیم فی ذاته لأنّ ما سوی الواحد متجزئ ، واللّه واحد لا متجزئ ولا متوهّم بالقلّه والکثره ، وکلّ متجزئ أو متوهّم بالقلّه والکثره فهو مخلوق دالّ علی خالق له ، فقولک إنّ اللّه قدیر خبّرت أنّه لا یعجزه شیء فنفیت بالکلمه العجز وجعلت العجز سواه ، وکذلک قولک عالم إنّما نفیت بالکلمه الجهل وجعلت الجهل سواه . فإذا أفنی اللّه الأشیاء ، أفنی الصوره والهجاء والتقطیع فلا یزال من لم یزل عالماً .

فقال الرجل : فکیف سمّینا ربّنا سمیعاً ؟

فقال : لأنّه لا یخفی علیه ما یدرک بالأسماع ولم نصفه بالسمع المعقول فی الرأس ، وکذلک سمّیناه بصیراً لأنّه لا یخفی علیه ما یدرک بالأبصار من لون أو شخص أو غیر ذلک ، ولم نصفه ببصر طرفه العین . وکذلک سمّیناه لطیفاً لعلمه بالشیء اللّطیف مثل البعوضه وما هو أخفی من ذلک وموضع المشی منها والعقل والشهوه للسفاد والحدب علی أولادها ، وإقامه بعضها علی بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلی أولادها فی الجبال

ص: ۶۶

والمفـاوز والأوديه والقفار ، فعلمنا بـذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف إذ الكيفيّه للمخلوق المكيّف . وكـذلك سـمّينا ربّنا قويّاً بلا قوه البطش المعروف من الخلق ، ولو كـان قوّته قوّه البطش المعروف من الخلق ، لوقع التشبيه واحتمـل الزيـاده ، وما احتمل الزياده احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قـديم ، وما كان غير قـديم كان عاجزاً ، فربّنا تبارك وتعالى لا شـبه له ولا ضدّ ولا ندّ ولا كيفيّه ولا نهـايه ولاـ تصـاريف ، محرّم على القلـوب أن تحتملـه وعلى الأوهـام أن تحـدّه ، وعلى الضـمائر أن تصـوّره ، جـلّ وعزّ عن أداه خلقه وسمات بريّته وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً(۱) .

بيان : هذا الخبر الشـريف من عيون أخبار أئمه الهدى عليهم السلام لاشتماله على معالم التوحيد وتبيينه دقائق معرفه اللّه تعالى ، ولا بدّ من الإشاره إلى بعض الجهات المذكوره فيه :

الجهه الأولى : أنّه لا ينبغى توهّم أنّ تعـدّد أسـمائه تعالى يسـتلزم التعدّد فى ذاته فيسـمع بغير ما يرى ويرى بغير ما يبطش بل إنّه تعالى إله واحد لا شريك له ولا نظير .

و هنا مسأله دقيقه لا بدّ من الإشاره إليها وهى أنّ الظاهر من عدم اسـتلزام تعدّد الأسـماء الدالّه على كمال فى ذاته القدّوس على التعدّد فى ذاته هو أنّ مـآل جميع الكمالاـت هو كمـال واحـد ، وفى ذلـك الكمـال كـلّ الكمالات . فمرجع خلقه هـذا النظام بما فيه من دقّه وعظمه إلى علمه تعـالى وقـدرته على الخلق لاـ من شـىء كيف شـاء ، ومرجع قـدرته تعـالى على الإيجـاد لا من شـىء هو علمه تعالى بالإيجاد ، وهكذا فمرجع جميع الكمالات إلى القدره والعلم والظاهر أنّ كمال القدره يعود إلى العلم أيضاً .

وقد أشـرنا إلى ذلك فى كتابنا «النفحات الرضويّه» فإنّ أئمه الهدى عليهم السلام كانوا يصرّحون بأنّ جميع الكمالات ترجع إلى العلم ، ويشيرون إلى سعه قدرتهم ببيان سعه علمهم . وهذا يوءيّد ما أشرنا إليه ، وإليك بعض ما يدلّ على أنّ مآل كمال القدره

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۵۳ ، الاحتجاج : ۲/۴۴۲ .

ص: ۶۷

هو العلم :

عن جابر عن أبی جعفر علیه السلام قال : قلت له : جعلت فداک قول العالم « أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَن یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ »(۱) قال : فقال : یا جابر ، إنّ اللّه جعل اسمه الأعظم علی ثلاثه وسبعین حرفا فکان عند العالم منها حرف واحد فانخسفت الأرض ما بینه وبین السریر حتّی التفّت القطعتان وحوّل من هذه علی هذه وعندنا من اسم اللّه الأعظم اثنان وسبعون حرفا وحرف فی علم الغیب المکنون عنده(۲) .

وعن أبی عبداللّه علیه السلام قال : إنّ اسم اللّه الأعظم علی اثنین وسبعین حرفا وإنّما کان عند آصف کاتب سلیمان علیه السلام وکان یوحی إلیه حرف واحد ألف أو واو فتکلّم فانخرقت له الأرض حتّی التفّت فتناول السریر وإنّ عندنا من الاسم أحدا وسبعین حرفا وحرف عند اللّه فی غیبه(۳) .

أقول : صریح الخبر أنّ ما کان عند آصف من العلم أعطاه القدره علی فعل ما فعل وبما أنّ الائمّه علیهم السلام لهم من العلم اثنان وسبعون حرفا فتکون قدرتهم أوسع من قدره آصف بما لا یعلمه إلّا اللّه تعالی وأولیائه .

وقال أمیرالمؤمنین علیه السلام فی روایه طویل : یا سلمان ویا جندب ! قالا : لبّیک یا أمیرالمؤمنین صلوات اللّه علیک . قال علیه السلام : أنا أُحیی وأُمیت بإذن ربّی وأنا أُنبّئکم بما تأکلون وما تدّخرون فی بیوتکم بإذن ربّی وأنا عالم بضمائر قلوبکم والأئمّه من أولادی یعلمون ویفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا ، لأنّا کلّنا واحد أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وکلّنا محمّد فلا تفرّقوا بیننا ، ونحن إذا شئنا شاء اللّه وإذا کرهنا کره اللّه ، الویل کلّ الویل لمن أنکر فضلنا وخصوصیّتنا وما أعطانا اللّه ربّنا لأنّ من أنکر شیئا ممّا أعطانا اللّه فقد أنکر قدره اللّه عزّوجلّ ومشیّته فینا .

یا سلمان و یا جندب ! قالا : لبّیک یا أمیرالمؤمنین صلوات اللّه علیک . قال علیه السلام : لقد

۱- النمل : ۴۰ .

۲- بحارالأنوار : ۱۴/۱۱۴ ، بصائر الدرجات : ۲۰۹ .

۳- بحارالأنوار : ۱۴/۱۱۴ ، بصائر الدرجات : ۲۱۰ .

ص: ۶۸

أعطانا اللّه ربّنا ما هو أجلّ وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كلّه ؟

قلنا : يا أميرالمؤمنين ما الذى أعطاكم ما هو أعظم وأجلّ من هذا كلّه ؟

قال : قد أعطانا ربّنا عزّوجلّ علمنا للإسم الأعظم الّذى لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنّه والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهى به إلى العرش فنجلس عليه بين يدى اللّه عزّوجلّ ويطيعنا كلّ شىء حتّى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ والبحار والجنّه والنار أعطانا اللّه ذلك كلّه بالاسم الأعظم الذى علّمنا وخصّنا به ومع هذا كلّه نأكل ونشرب ونمشى فى الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربّنا ونحن عباد اللّه المكرمون الذين « لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ »(۱) وجعلنا معصومين مطهّرين وفضّلنا على كثير من عباده المؤمنين فنحن نقول « الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللّهُ »(۲) و « حَقَّتْ كَلِمَهُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ »(۳) أعنى الجاحدين بكلّ ما أعطانا اللّه من الفضل والإحسان .

يا سلمان ويا جندب ! فهذا معرفتى بالنورانيّه فتمسّك بها راشدا فإنّه لا يبلغ أحد من شيعتنا حدّ الاستبصار حتّى يعرفنى بالنورانيّه فإذا عرفنى بها كان مستبصرا بالغا كاملاً قد خاض بحرا من العلم وارتقى درجه من الفضل واطّلع على سرّ من سرّ اللّه ومكنون خزائنه(۴) .

أقول : يدلّ قوله عليه السلام على أنّ ما يملكونه من القدره كلّه يكون بالاسم الأعظم فلاحظ قوله عليه السلام : «قد أعطانا ربّنا عزّوجلّ علمنا للاسم الأعظم الّذى لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنّه والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهى به إلى العرش فنجلس عليه بين يدى اللّه عزّوجلّ ويطيعنا كلّ شىء حتّى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ والبحار

۱- الأنبياء : ۲۷ .

۲- الأعراف : ۴۳ .

۳- الزمر : ۷۱ .

۴- بحارالأنوار : ۲۶/۷ .

ص: ۶۹

والجنّه والنار أعطانا اللّه ذلک کلّه بالاسم الأعظم الذی علّمنا وخصّنا به» .

وعن محمّد بن حمّاد عن أخیه أحمد بن حمّاد عن إبراهیم عن أبیه عن أبی الحسن الأوّل علیه السلام قال : قلت له : جعلت فداک أخبرنی عن النبیّ صلی الله علیه و آله ورث النبیّین کلّهم ؟

قال : نعم .

قلت : من لدن آدم حتّی انتهی إلی نفسه ؟

قال : ما بعث اللّه نبیّا إلّا ومحمّد صلی الله علیه و آله أعلم منه .

قال : قلت : إنّ عیسی بن مریم علیه السلام کان یحیی الموتی بإذن اللّه ؟

قال : صدقت وسلیمان بن داود علیه السلام کان یفهم منطق الطیر وکان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقدر علی هذه المنازل .

قال : فقال : إنّ سلیمان بن داود علیه السلام قال للهدهد حین فقده وشکّ فی أمره .

فقال : « فَقَالَ مَا لِیَ لاَ أَرَی الْهُدْهُدَ أَمْ کَانَ مِنَ الْغَائِبِینَ * لاَءُعَذِّبَنَّهُ عَذَابا شَدِیدا أَوْ لاَءذبَحَنَّهُ أَوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُلْطَانٍ مُبِینٍ »(۱) وإنّما غضب لأنّه کان یدلّه علی الماء فهذا وهو طائر قد أعطی ما لم یعط سلیمان وقد کانت الریح والنمل والجنّ والإنس والشیاطین والمرده له طائعین ولم یکن یعرف الماء تحت الهواء وکان الطیر یعرفه وإنّ اللّه یقول فی کتابه : « وَلَوْ أَنَّ قُرآنا سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَی »(۲) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذی فیه ما تسیّر به الجبال وتقطع به البلدان وتحیا به الموتی ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإنّ فی کتاب اللّه لآیات ما یراد بها أمر إلّا أن یأذن اللّه به ؛ الخبر(۳) .

أقول : دلاله الخبر علی المدّعی واضحه فعلم القرآن کلّه عند الأئمّه علیهم السلام وبه تسیّر الجبال ویکلّم الموتی . فهذه الأدلّه تشیر إلی رجوع کمال القدره إلی کمال العلم فی أهل البیت علیهم السلام وهی تؤیّد ما بیّناه من رجوع کمال القدره فی اللّه تعالی إلی کمال العلم .

۱- النمل : ۲۰ ۲۱ .

۲- الرعد : ۳۱ .

۳- بحارالأنوار : ۱۴/۱۱۲ ، الکافی : ۱/۲۲۶ .

ص: ۷۰

نعم ، الخلق مهما بلغ من الكمال لا يستطيع أن يعرف علم اللّه تعالى ولا يمكنه الإحاطه بسعته إذ لا حدّ له أبداً ، فإنّنا لا نستطيع أن نعرف شيئاً من علمه إلاّ أنّه تعالى علم لا جهل فيه ، وإنّه لا يجهل شيئاً ، وإنّه بكلّ شيء عليم .

الجهه الثانيه : عدم أزليّه الأسماء اللّفظيّه وكذا التكوينيّه ، فإنّ هذه الأسماء مخلوقه كسائر الخلائق وثبوت معانى الأسماء كالعلم عند إطلاق العالم عليه لا يستلزم أزليّه الأسماء كما هو واضح ، فإنّ ثبوتها معه يستلزم ثبوت شريك للّه تعالى إذ من الواضح بينونتها عنه تعالى وإنّما خلقها اللّه تعالى وسيله بينه وبين خلقه ، والمعنىّ والمقصود بها هو اللّه الواحد الماجد الأزلىّ الأبدىّ .

ولمّا كانت الأسماء مخلوقه للّه تعالى ، له أن يفنيها وله أن يبقيها ، فحالها حال سائر المخلوقين حذو القذّه بالقذّه ، وبإفنائها لا يزول علمه تعالى ، بل يبقى عالماً فإنّه تعالى عالم أزلاً وهذا هو العلم المكفوف الذى لا حدّ له ولا نهايه .

الجهه الثالثه : إنّ إطلاق القدير والعليم عليه تعالى لا يستلزم الإحاطه بعلمه وقدرته تعالى بل إطلاق القدير عليه تعالى يوجب نفى العجز عنه ، وإطلاق العليم والعالم عليه يوجب نفى الجهل عنه وجعل الجهل سواه .

الجهه الرابعه : لمّا كان اللّه تعالى عالماً لا- جهل فيه وحيّاً لا- موت فيه وقديراً لا عجز فيه ، لا يكون المخلوق الذى هو عين العجز والجهل مخلوقاً من الحقيقه بحقيقه الشيئيّه ، وهذا يدلّ على أنّ الخلقه خلقه إبداعيّه وابتدائيّه ولا من شيء وليست من أُصول أزليّه ، إذ لا يشكّ العاقل بفقره واحتياجه الذاتىّ ، ولذا لا يُعقل أن يكون الضعيف بالذات مخلوقا من القوىّ بالذات .

الجهه الخامسه : إنّ إطلاق السميع والبصير عليه تعالى ليس كإطلاقه على المخلوق ، إذ المخلوق لا يشبهه فى شيء من الصفات والكمالات ، ولذا يكون إطلاق السميع على اللّه تعالى من جهه علمه تعالى بالمسموع وهكذا الأمر بالنسبه لإطلاق البصير عليه تعالى .

ص: ۷۱

عن الإمام أبی الحسن الرّضا علیه السلام قال : اعلم علّمک اللّه الخیر أنّ اللّه تبارک وتعالی قدیم ، والقدم صفته الّتی دلّت العاقل علی أنّه لا شیء قبله ولا شیء معه فی دیمومیّته ، إلی أن قال علیه السلام : وإنّما سمّی اللّه تعالی بالعلم بغیر علم حادث علم به الأشیاء استعان به علی حفظ ما یستقبل من أمره والرّویّه فیما یخلق من خلقه ، ویفسد ما مضی ممّا أفنی من خلقه ممّا لو لم یحضره ذلک العلم ویغیبه کان جاهلاً ضعیفاً ، کما أنّا لو رأینا علماء الخلق إنّما سمّوا بالعلم لعلم حادث إذ کانوا فیه جهله وربّما فارقهم العلم بالأشیاء فعادوا إلی الجهل ، وإنّما سمّی اللّه عالماً لأنّه لا یجهل شیئاً فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنی علی ما رأیت ، الخبر(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی افتراق إطلاق العالم علی اللّه تعالی عن إطلاقه علی الخلق ، فإنّ الخلق لم یثبت لهم علم أزلاً بل هم علماء بالعلم الحادث ، وأمّا اللّه تعالی فإنّه تعالی عالم لعدم جهله بشیء أزلاً ، فهو عالم أزلاً وأبداً ، ولا یفارقه العلم أبداً .

عن أبی علیّ القصّاب قال : کنت عند الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام فقلت : الحمد للّه منتهی علمه . فقال : لا تقل ذلک ، فإنّه لیس لعلمه منتهی(۲) .

قال عبد اللّه بن یحیی کتبت إلیه فی دعاء : الحمد للّه منتهی علمه . فکتب : لا تقولنّ منتهی علمه ، فإنه لیس لعلمه منتهی ولکن قل : الحمد للّه منتهی رضاه(۳) .

أقول : هذان الخبران صریحان فی عدم تناهی علمه تعالی ، فإنّه عالم أزلاً بما لا یتناهی .

فتحصّل من هذه الأدلّه ثبوت العلم المکفوف للّه تعالی وهو العلم المخزون عنده الذی لا یطّلع علیه أحد لعدم تناهیه ، ومنه یکون البداء .

ولمّا کان تعالی عالماً أزلاً وأبداً بأنظمه لا تتناهی ونقیضها ، لا یوجب تغییر مشیّته

۱- الکافی : ۱/۱۲۰ .

۲- وسائل الشیعه : ۷/۱۳۶ (آل البیت) .

۳- بحارالأنوار : ۱۰/۲۴۶ ، تحف العقول : ۴۰۸ .

ص: ۷۲

المخلوقه تغييراً فى علمه القدّوس الذى هو عين ذاته تعالى وسيأتى توضيح ذلك .

هذا كلّه فى المعارف الإلهيّه وأمّا فى المعارف البشريّه فينحصر علمه تعالى بالنظام الأصلح وليس كشفاً لجميع الأنظمه اللامتناهيه بما لا يتناهى وإليك نموذجاً من تلك العبارات :

قال الملّاصدرا : «ولمّا كانت ذاته البسيطه علماً بكيفيّه النظام الأتمّ لما علمت فى مباحث العلم الإلهى أنّ ذاته بذاته كلّ الأشياء الموجوده على الوجه الأشرف الأقدس لأنّها موجوده بوجود إلهىّ واجبىّ ومتصوّره بصوره ربّانيّه رحمانيّه فيتبع ذاته العقليّه الواجبيّه فيضان الموجودات عنه على النظام التامّ المعقول عنده من معقوليّه ذاته ... أنّه عالم بكيفيّه نظام الخير فى الوجود وإنّه واجب الفيضان عنه وعالم بأنّ هذه العالميّه يوجب أن يفيض عنها الوجود على الترتيب الذى يعقله خيراً ونظاماً ؛ انتهى كلامه(۱) .

أقول : من الواضح أنّ كون ذاته بذاته كلّ الأشياء الموجوده واستتباع ذلك لفيضان الموجودات عنه على النظام التامّ يوجب لزوم صدور وتجلّى ذاته ، وهذا ينافى علمه بما لا يكون أو ما يمكن أن يكون ، فلابدّ من أن يكون كلّ ما فى ذاته على وجه أبسَط ، وهذه المقاله الفاسده المخالفه للعقل الصريح وضروره جميع الأديان الإلهيّه لاستلزامها السنخيّه أو العينيّه بين الخالق والمخلوق وجوداً ، تنافى أيضاً سعه علمه تعالى لما لا يكون ولا يريد فتأمّل جيّداً .

ثمّ إنّ من الواضح أنّ القول بالفيضان والرشح ينافى الإختياريّه والفاعليّه عن قدره فجلّت ساحه الربّ عن ذلك .

۱- الأسفار : ۶/۳۳۲ .

ص: ۷۳

العلم المحمول فی الآیات

اشاره

فمنهـا قوله اللّه تعالی : « عَالِمُ الْغَیْبِ فَلَا یُظْهِرُ عَلَی غَیْبِهِ أَحَـدا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَـی مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْـلُکُ مِن بَیْنِ یَـدَیْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَـدا »(۱) .

عن سدیر الصّیرفیّ قال : سمعت حمران بن أعین یسأل أبا جعفر علیه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ « بدیع السّماوات والأرض »(۲) ؟

قال أبو جعفر علیه السـلام : إنّ اللّه عزّ وجلّ ابتدع الأشـیاء کلّها بعلمه علی غیر مثال کان قبله ، فابتدع السّـماوات والأرضـین ولم یکن قبلهنّ سماوات ولا أرضون أ ما تسمع لقوله تعالی « وکان عرشه علی الماء »(۳) .

فقال له حمران : أرأیت قوله جلّ ذکره « عالم الغیب فلا یظهر علی غیبه أحدا » ؟

فقال أبو جعفر علیه السـلام : « إلّا من ارتضی من رسول » وکان واللّه محمّد ممّن ارتضاه . وأمّا قوله : « عالم الغیب » فإنّ اللّه عزّ وجلّ عـالم بمـا غـاب عن خلقه فیما یقـدّر من شـیء ویقضـیه فی علمه قبل أن یخلقه وقبل أن یُفْضِیَه إلی الملائکه ، فـذلک یا حمران علم موقوف عنـده ، إلیه فیه المشـیئه ، فیقضـیه إذا أراد ویبدو له فیه فلا یمضـیه . فأمّا العلم الّذی یقدّره اللّه عزّ وجلّ فیقضـیه ویمضـیه فهو العلم الّذی انتهی إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، ثمّ إلینا(۴) .

یحتمل أن یکون المراد من علم الغیب فی الآیه هو العلم الـذی قـد یبـدو للّه تعالی فیه بخلاف ما إذا أخبر به الرسول الأکرم صـلی الله علیه و آله وکان من المیعادیّات أو ممّا لا یبدو للّه

۱- الجنّ : ۲۶ ۲۷ .

۲- الأنعام : ۱۰۱ .

۳- هود : ۹ .

۴- الکافی : ۱/۲۵۶ .

ص: ۷۴

تعالی فیه فإنّه یقضیه ویمضیه ولا ریب فی دلاله الآیه المبارکه علی العلم المحمول فإنّه تعالی حمّل رسوله الأکرم ذلک العلم وکذا أوصیائه .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره فی معنی الغیب :

و «الغیب» ما یقابل الشهاده . والمراد منه کل موجود خلقه اللّه سبحانه وتفرّد بعلمه لا یعلمه أحد غیره إلّا من اصطفاه من أنبیائه ورسله ویختاره بما شاء وأراد من الغیوب . قال تعالی : « عَالِمُ الْغَیْبِ فَلَا یُظْهِرُ عَلَی غَیْبِهِ أَحَدا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَی مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِن بَیْنِ یَدَیْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا » . المراد من «الرصد» الذی یسلک من بین یدیه ومن خلفه هو عصمه اللّه المانعه التی اصطفی اللّه أنبیاءه ورسله بهذه الکرامه العظمی ، فعلم رسله وأنبیاءه من الغیوب ما شاء وأراد ، وکذلک غیر الأنبیاء والرسل من الأوصیاء والصدّیقین ، فجعل لهم أیضاً ارتباطاً بعالم الغیب ینادیهم الملک المحدّث ویلقی إلیهم شیئاً من الغیوب . وهذا یسمّی بالتحدیث . قال تعالی : « إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِکَهُ یَا مَرْیَمُ إِنَّ اللّه َ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیها فِی الْدُّنْیَا وَالْآخِرَهِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ »(۱) . ومثل ما کلّم جبرئیل سیّدتنا الصدیقه الطاهره وأخبرها من أنباء الغیب وما یحدث من الحوادث فی المستقبل ، وعلیّ علیه السلام وهو الصدّیق الأکبر حاضر وجالس فی المحفل یکتب جمیع ما یلقیه جبرئیل . وهذه المکتوبات من مواریث بیت النبوّه والإمامه ومفاخر علومهم . وهذه هی المسمّاه بمصحف فاطمه . وهو الآن عند الإمام المنتظر المهدیّ عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف .

قوله تعالی : ویعلم ما فی البرّ والبحر ... عطف علی قوله : لا یعلمها . وهذا القسم یسمّی بعالم الشهاده . والشهاده ما یقابل الغیب . وهو

۱- آل عمران : ۴۵ .

ص: ۷۵

الـذی یتمکّن النـاس من العلم به . لا نقول : إنّ کلّ عین وحادثه فی عالم الشـهاده یعلمه ویتمکّن من العلم به جمیع الناس ، بل نقول : إنّ الأعیان والحوادث الواقعه فی أقطار الأرض ، وإن کانت غائبه عندنا ، إلّا أنّها شهاده عند قوم آخرین ، وبالعکس أیضاً .

نعم ، لا یبعـد أن یکون فی عالم الشـهاده والبرّ والبحر أعیان وحوادث لا یتمکّن أحد من العلم بها أیضاً فتکون داخله فی الغیوب . قال تعالی : « وَإِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمُ مَا تُکِنُّ صُـدُورُهُمْ وَمَا یُعْلِنُونَ ، وَمَا مِنْ غَائِبَهٍ فِی السَّماءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُّبِینٍ »(۱) . « یَعْلَمُ مَا یَلِجُ فِی الأَرْضِ وَمَا یَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا یَنزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا یَعْرُجُ فِیهَا وَهُوَ الرَّحِیمُ الْغَفُورُ ، وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لاَ تَأْتِینَا السَّاعَهُ قُلْ بَلَی وَرَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عَـالِمِ الْغَیْبِ لاَ یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماوَاتِ وَلاَ فِی الأَرْضِ وَلاَ أَصْـغَرُ مِن ذلِکَ وَلاَ أَکْبَرُ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُّبِینٍ »(۲) . « اللَّهُ یَعْلَمُ مَا تَحْمِـلُ کُـلُّ أُنثَی وَمَا تَغِیضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَکُلُّ شَـی ءٍ عِنـدَهُ بِمِقْـدَارٍ ، عَالِمُ الْغَیْبِ وَالشَّهَادَهِ الْکَبِیرُ الْمُتَعَالِ »(۳) . « مَـا أَصَابَ مِن مُصِـیبَهٍ فِی الأَرْضِ وَلاَ فِی أَنفُسِـکُمْ إِلَّا فِی کِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِـیرٌ »(۴) . « یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِیعـا فَیُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَی کُلِّ شَـیءٍ شَهِیدٌ »(۵) . « هُـوَ أَعْلَمُ بِمَـا تُفِیضُونَ فِیهِ کَفَی بِهِ شَـهِیدا بَیْنِی وَبَیْنَکُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ »(۶) .

هـذه الآیـات ومـا فی معناهـا من الآیـات محکمه الـدلاله بنفوذ علمه تعـالی بجمیع مـا سواه من دون فرق بین دقیقه وجلیله ، وجزئیـاته وکلّیاته .

۱- النّمل : ۷۴ و ۷۵ .

۲- سبأ : ۲ و ۳ .

۳- الرّعد : ۸ و ۹ .

۴- الحدید : ۲۲ .

۵- المجادله : ۶ .

۶- الأحقاف : ۸ .

ص: ۷۶

وحیث إنّ کلّ غیب عنده شهاده وکلّ سرّ عنده علانیه ، فلا غیب ولا سرّ بالنسبه إلیه تعالی . والمراد من الغیب هو ما لم یکن ولم یوجد وکذلک الأعیان الموجوده التی حجب اللّه تعالی علمها عن عباده وما جرت سنّته الحکیمه بإفاضه العلم بها فی ألسنه أولیائه ، مثل البرزخ والآخره وما فیها من الحقائق .

واللّه سبحانه هو العالم بهذه الغیوب فی عرض سواء ، سواء کان من الحوادث التی لما تکن أو من الجزئیات المنقضیه المتبدّله المتغیّره ، أو التی تحمل کلّ أثنی وما تغیض الأرحام ، أو ما کان فی معرض الزیاده والنقصان ، أو ما کان مثقال حبّه من خردل فتکن فی صخره أو فی السماوات والأرض یأت بها اللّه ویحصیها تعالی ، فهو سبحانه علم وعیان بالغیب بالمعانی التی ذکرناها وکذلک علم وشهاده بالمعدومات التی لن تکون أبداً ، أی الفرضیّات المستحیله والممکنه التی ما جرت سنّته علی إیجادها . انتهی کلامه رفع مقامه(۱) .

و منها قوله تعالی : « وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَیْبِ لَایَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَیَعْلَمُ مَا فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَهٍ إِلَّا یَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّهٍ فِی ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا یَابِسٍ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ »(۲) .

عن أبی الربیع الشامیّ قال : سألت الإمام أباعبداللّه علیه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ : « یا أیّها الّذین آمنوا استجیبوا للّه وللرّسول إذا دعاکم لما یحییکم »(۳) ؟

قال : نزلت فی ولایه علیّ علیه السلام .

قال : وسألته عن قول اللّه عزّ وجلّ : « وما تسقط من ورقه إلّا یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین » ؟

۱- توحید الإمامیه : ۲۵۹ ۲۶۱ .

۲- الأنعام : ۵۹ .

۳- الأنفال : ۲۴ .

ص: ۷۷

قال فقال : «الورقه» السقط ، و «الحبّه» الولد ، و «ظلمات الأرض» الأرحام ، و «الرّطب» ما یحیی من النّاس ، و «الیابس» ما یقبض ، وکلّ ذلک فی إمام مبین ؛ الخبر(۱) .

عن أبی بصیر قال : سألته عن قوله عزّ وجلّ « وما تسقط من ورقه إلّا یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین » ؟

قال فقال : «الورقه» السقط ، و «الحبه» الولد ، و «ظلمات الأرض» الأرحام ، و «الرطب» ما یحیا ، و «الیابس» ما یغیض ، وکلّ فی کتاب مبین(۲) .

عن الحسین بن خالد قال : سألت أباعبداللّه علیه السلام عن قول اللّه : « ما تسقط من ورقه إلّا یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین » ؟

فقال : «الورق» السقط ، یسقط من بطن أمّه من قبل أن یهل الولد .

قال : فقلت : وقوله «ولا حبّه» ؟

قال : یعنی الولد فی بطن أمّه إذا أهل ویسقط من قبل الولاده .

قال : قلت : قوله «ولا رطب» ؟

قال : یعنی المضغه إذا استکنت فی الرحم قبل أن یتمّ خلقها قبل أن ینتقل .

قال : قوله «ولا یابس» ؟

قال : الولد التامّ .

قال : قلت : «فی کتاب مبین» ؟

قال : فی إمام مبین(۳) .

عن المفضّل قال : دخلت علی الإمام الصادق علیه السلام ذات یوم فقال لی : یا مفضّل هل عرفت محمّداً وعلیّاً وفاطمه والحسن والحسین علیهم السلام کُنْه معرفتهم ؟

قلت : یا سیّدی وما کُنْه معرفتهم ؟

۱- الکافی : ۸/۲۴۸ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۰ ، معانی الأخبار : ۲۶۵ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۹۰ ، تفسیر العیّاشیّ : ۱/۱۳۶ .

ص: ۷۸

قال : یا مفضّل من عرفهم کُنْه معرفتهم کان موءمناً فی السنام الأعلی .

قال : قلت : عرّفنی ذلک یا سیّدی .

قال : یا مفضّل تعلم أنّهم علموا ما خلق اللّه عزّ وجلّ وذرأه وبرأه ، وأنّهم کلمه التقوی وخزّان السماوات والأرضین والجبال والرمال والبحار ، وعلموا کم فی السماء من نجم وملک ، ووزن الجبال وکیل ماء البحار وأنهارها وعیونها وما تسقط من ورقه إلّا علموها ، ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین ، وهو فی علمهم وقد علموا ذلک .

فقلت : یا سیّدی قد علمت ذلک وأقررت به وآمنت .

قال : نعم یا مفضّل ، نعم یا مکرّم ، نعم یا محبور ، نعم یا طیّب ، طبت وطابت لک الجنّه ولکل موءمن بها(۱) .

بیان : الظاهر أنّ المراد من قوله تعالی «مفاتح الغیب» خزائن الغیب وهی کنایه عن علمه تعالی ، فإنّ علمه تعالی واسع لا حدّ له ومفاتحه وخزائنه عنده یعطی من یشاء ویمنع من یشاء وهذا هو المراد من «عنده» فإنّه تعالی متفرّد بعلم الغیب الذی هو بمعنی العلم المخزون المکنون فی المقام ظاهراً ، وأمر هذا العلم من حیث العطاء والمنع بیده وحده لا شریک له فی ذلک .

ففی لسان العرب «و المفتح : الخزانه ، ولکلّ شیء مفتح ، ومفتح بالفتح والکسر ، من صنوف الأشیاء» وفی مجمع البحرین «و عنده مفاتح الغیب» أی خزائنه ، جمع مفتح بفتح المیم وهو المخزن» .

نعم أفاد شیخنا الأُستاذ المحقّق آیه اللّه محمّد باقر الملکیّ قدس سره أنّ المراد من المفاتح فی المقام هو المدخل والمورد وإطلاق الباب علی العلم غیر عزیز فی الأدلّه(۲) .

۱- بحارالأنوار : ۲۶/۱۱۶ عن مصباح الأنوار .

۲- توحید الإمامیّه : ۲۵۸ .

ص: ۷۹

ولکن الظاهر أنّ المراد من «المفاتـح» فی المقام هو الخزائن فإنّ لفظ «الخزائن» یتناسب مع حقیقه العلم ولا یعنی ذلک أنّا ننکر إطلاق الباب علی العلم ولکن الأنسب فی المقام هو الخزائن واللّه تعالی العالم .

و کیفما کان ، فالظاهر من الآیه المبارکه أنّ أمر العلم بیـد اللّه تعالی ، فله أن یعطی من شاء ما شاء من العلم ، وله أن یمنع من شاء من العلم .

هذا ومضافاً إلی علمه تعالی بالغیب وکینونه خزائنه عنده ، فإنّه تعالی عالم بالجزئیّات ممّا فی البرّ والبحر وما تسقط من ورقه إلّا یعلمها ولا حبّه فی ظلمات الأرض ولا رطب ولا یابس إلّا فی کتاب مبین .

و الظاهر من الأخبار التی مرّت أنّ اللّه تعالی جعل العلم بکلّ مخلوق فی السـماء والأرض والسـقط والجنین وحیاه الأشخاص ومماتهم وغیر ذلک فی الکتاب المبین ، وجعل الکتاب المبین عنـد الإمام المبین (بحسب خبر المفضّل) فإنّ أئمه الهدی علیهم السـلام یعلمون ما فی السماء وما فی الأرض وبهذا الاعتبار أی باعتبار تحمّلهم للکتاب المبین یصحّ إطلاق الکتاب المبین علیهم .

وأمّـا الوجه فی کونه علیه السـلام «مبینـاً» هو دلالـه تحمّله للعلم الوهبی الإلـهی علی إمـامته وولاـیته أو دلاله الأدلّه الکثیره علی إمامته وولایته ومنها تحمّله للعلم الوهبی الإلهیّ .

و منها قوله تعالی : « وَمَا مِنْ غَائِبَهٍ فِی السَّماءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُّبِینٍ »(۱) .

عن الإمام أبی الحسن الأوّل علیه السلام قال : قلت له : جعلت فداک أخبرنی عن النبیّ صلی الله علیه و آله ورث النبیّین کلّهم ؟

قال : نعم .

قلت : من لدن آدم حتّی انتهی إلی نفسه .

قال : ما بعث اللّه نبیّاً إلّا ومحمّد صلی الله علیه و آله أعلم منه .

قال : قلت إنّ عیسی ابن مریم کان یحیی الموتی بإذن اللّه .

۱- النّمل : ۷۵ .

ص: ۸۰

قال : صدقت ، وسلیمان بن داود کان یفهم منطق الطّیر ، وکان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقدر علی هذه المنازل .

قال : فقال إنّ سلیمان بن داود قال للهدهد حین فقده وشک فی أمره فقال : « ما لِیَ لا أری الهدهد أم کان من الغائبین » حین فقده ، فغضب علیه فقال : « لأعذّبنّه عذاباً شدیداً أو لأذبحنّه أو لیأتینّی بسلطان مبین »(۱) وإنّما غضب لأنّه کان یدلّه علی الماء، فهذا وهو طائر قد أعطی ما لم یعط سلیمان وقد کانت الریح والنمل والإنس والجنّ والشیاطین والمرده له طائعین ولم یکن یعرف الماء تحت الهواء وکان الطیر یعرفه ، وإنّ اللّه یقول فی کتابه: « ولو أنّ قرآنا سیّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو کلّم به الموتی »(۲) وقد ورثنا نحن هذاالقرآن الذی فیه ما تسیّر به الجبال وتقطّع به البلدان وتحیا به الموتی، ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإنّ فی کتاب اللّه لآیات ما یراد بها أمر إلاّ أن یأذن اللّه به مع ما قد یأذن اللّه ممّا کتبه الماضون جعله اللّه لنا فی أمّ الکتاب . إنّ اللّه یقول : « وما من غائبه فی السّماء والأرض إلاّ فی کتاب مبین »(۳) ثمّ قال : « ثمّ أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا »(۴) فنحن الذین اصطفانا اللّه عزّوجلّ، وأورثنا هذا الذی فیه تبیان کلّ شیء(۵) .

أقول : یظهر من هذا الخبر الشریف سعه علم أهل البیت علیهم السلام ، وأنّهم ورثوا الکتاب المبین الذی فیه کلّ شیء ومن الواضح أنّ ما کتب فی الکتاب هو العلم المحمول .

ومن جمله ما یدلّ علی العلم المحمول ، الأخبار الدالّه علی أنّ العرش علم قد حمّله اللّه تعالی بعض أولیائه ، وکذا الکرسیّ وقد ذکرها شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره فلا نأتی بها تفصیلاً إلاّ أنّنا نذکر بعضها .

قال اللّه تعالی : « اللَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِی السَّمَاوَاتِ

۱- النمل : ۲۰ ۲۱ .

۲- الرعد : ۳۱ .

۳- النمل : ۷۵ .

۴- فاطر : ۳۲ .

۵- الکافی : ۱/۲۲۶ .

ص: ۸۱

وَمَا فِی الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ یَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ »(۱) .

عن حفص قال : سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ : « وسع کرسیّه السماوات والأرض » ؟

قال : علمه(۲) .

أقول : هذا الخبر الشریف صریح فی أنّ المراد من الکرسیّ فی هذه الآیه المبارکه هو العلم الإلهیّ .

عن الفضیل بن یسار قال : سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه جلّ وعزّ : « وسع کرسیّه السماوات والأرض » ؟

فقال : یا فضیل کلّ شیء فی الکرسیّ ، السماواتُ والأرضُ وکلُّ شیء فی الکرسیّ(۳) .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه محمّد باقر الملکیّ قدس سره ما هذا نصّه :

هذه الروایات تدلّ علی ما استظهرناه من الآیه الکریمه من أنّ المراد من الکرسیّ فی الآیه المبارکه هو العلم الذی وسع السماوات والأرض وما فیهما . وهذا الکرسیّ الرفیع الوسیع محیط بما علم به من السماوات والأرض إحاطه عیان وانکشاف ، لا علی نحو الانطباع والعلم الحصولیّ . ولیس قوله تعالی : « وسع کرسیّه السماوات والأرض » ولا الروایات الوارده فی تفسیرها ، مسوقه لبیان کینونه الأشیاء فی الکرسیّ بنحو من أنحاء الوجود ، کما ذکرناه فی البحث عن الکتاب المبین وتفسیره . والظاهر أنّ الآیه الکریمه مسوقه لتمجیده تعالی بأنّ

۱- البقره : ۲۵۵ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، التوحید : ۳۲۷ .

۳- الکافی : ۱/۱۳۲ .

ص: ۸۲

کرسیّه وسع السماوات والأرض ، والروایات مسوقه لبیان حقیقه الکرسیّ وأنّه علم محیط بالسماوات والأرض(۱) . انتهی کلامه .

أقول : لا شکّ فی دلاله حدیث حفص فی أنّ المراد من الکرسیّ هو العلم الإلهیّ إلاّ أنّ استظهار ذلک من خبر الفضیل وأمثاله صعب لاحتمال أن یکون للکرسیّ إطلاقات عدّه فی الآیات القرآنیّه ، فلاحظ الخبر الآتی :

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : جاءت زینب العطّاره الحولاء إلی نساء النبیّ صلی الله علیه و آله وبناته وکانت تبیع منهنّ العطر . فجاء النبیّ صلی الله علیه و آله وهی عندهنّ . فقال : إذا أتیتنا طابت بیوتنا .

فقالت : بیوتک بریحک أطیب یا رسول اللّه .

قال : إذا بعت فأحسنی ولا تغشّی فإنّه أتقی وأبقی للمال .

فقالت : یا رسول اللّه ، ما أتیت بشیء من بیعی وإنّما أتیت أسألک عن عظمه اللّه عزّ وجلّ .

فقال : جلّ جلال اللّه ، سأحدّثک عن بعض ذلک . ثمّ قال : إنّ هذه الأرض بمن علیها عند التی تحتها کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، وهاتان بمن فیهما ومن علیهما عند الّتی تحتها کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والثالثه حتّی انتهی إلی السابعه وتلا هذه الآیه « خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهنّ »(۲) والسبع الأرضین بمن فیهنّ ومن علیهنّ علی ظهر الدیک کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والدیک له جناحان جناح فی المشرق وجناح فی المغرب ورجلاه فی التخوم والسبع والدیک بمن فیه ومن علیه علی الصخره کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والصخره بمن فیها ومن علیها علی ظهر الحوت کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والسبع والدیک والصخره والحوت بمن فیه ومن علیه علی البحر المظلم کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والسبع والدیک والصخره والحوت والبحر المظلم علی الهواء الذاهب کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، والسبع والدیک والصخره والحوت والبحر

۱- توحید الإمامیّه : ۲۹۹ .

۲- الطلاق : ۱۲ .

ص: ۸۳

المظلم والهواء علی الثری کحلقه ملقاه فی فلاه قیّ ، ثمّ تلا هـذه الآیه « له ما فی السـماوات وما فی الأرض وما بینهما وما تحت الثری »(۱) ثمّ انقطع الخبر عند الثری والسبع والدیک والصخره والحوت والبحر المظلم والهواء والثری بمن فیه ومن علیه عند السماء الأولی کحلقه فی فلاه قیّ ، وهذا کلّه وسـماء الدنیا بمن علیها ومن فیها عند التی فوقها کحلقه فی فلاه قیّ ، وهاتان السماءان ومن فیهما ومن علیهمـا عنـد التی فوقهمـا کحلقه فی فلاـه قیّ ، وهـذه الثلاـث بمن فیهنّ ومن علیهنّ عنـد الرابعه کحلقه فی فلاه قیّ ، حتّی انتهی إلی السـابعه وهنّ ومن فیهنّ ومن علیهنّ عنـد البحر المکفوف عن أهـل الأـرض کحلقه فی فلاـه قیّ ، وهـذه السـبع والبحر المکفوف عند جبـال البرد کحلقه فی فلاـه قیّ ، وتلاـ هـذه الآیه « وینزّل من السّـماء من جبال فیها من برد »(۲) وهذه السـبع والبحر المکفوف وجبال البرد عند الهواء الذی تحار فیه القلوب کحلقه فی فلاه قیّ ، وهذه السبع والبحر المکفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور کحلقه فی فلاه قیّ ، وهـذه السـبع والبحر المکفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور عنـد الکرسـیّ کحلقه فی فلاه قیّ ، ثمّ تلا هـذه الآیه « وسع کرسیّه السماوات والأرض ولا یوءده حفظهما وهو العلیّ العظیم »(۳) وهذه السبع والبحر المکفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والکرسـیّ عند العرش کحلقه فی فلاه قیّ ، وتلا هذه الآیه « الرّحمن علی العرش استوی »(۴) [و فی روایه الحسن] الحجب قبل الهواء الذی تحار فیه القلوب(۵) .

فإنّ الظاهر من هذا الخبر الشـریف أنّ الکرسیّ هو مادّی وقد أحاط بجمیع الأشیاء إلّا العرش إحاطه مکان ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون .

ویشهد علی تعدّد إطلاقات العرش والکرسیّ الخبر التالی ، فلاحظ :

عن المفضّل بن عمر قال : سألت الإمام أباعبداللّه علیه السلام عن العرش والکرسی ما

۱- طه : ۶ .

۲- النور : ۴۳ .

۳- البقره : ۲۵۵ .

۴- طه : ۵ .

۵- الکافی : ۸/۱۵۳ .

ص: ۸۴

هما ؟

فقال : العرش فی وجه هو جمله الخلق والکرسیّ وعاوءه ، وفی وجه آخر هو العلم الذی أطلع اللّه علیه أنبیاءه ورسله وحججه والکرسیّ هو العلم الذی لم یطلع علیه أحداً من أنبیائه ورسله وحججه علیهم السلام (۱) .

فإنّ الظاهر منه أنّ للعرش إطلاقان :

أحدهما : جمله الخلق ویکون الکرسیّ حینئذ وعاءه ، وهذا کما ترى ظاهر فی العرش غیر العلمیّ .

ثانیهما : العلم الذی أطلع اللّه تعالی علیه أنبیاءه ورسله وحججه .

ویظهر من هذا الخبر الشریف أیضاً أنّ الکرسیّ قد یطلق علی العلم المخزون المکنون الذی لم یطلع اللّه تعالی علیه أحداً من أنبیائه ورسله وحججه علیهم السلام .

وکیفما کان ، لا یمکن استظهار الإحاطه العلمیّه للکرسیّ علی السماوات والأرض من أمثال قوله علیه السلام «کلّ شیء فی الکرسیّ ، السماوات والأرض وکلّ شیء فی الکرسیّ»(۲) إذ من المحتمل أن یکون المراد من الإحاطه فی خصوص هذا الخبر الشریف وأمثاله الإحاطه المکانیّه .

آیات العرش

قال اللّه تعالی : « فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِیَ اللّهُ لاَإِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ »(۳) .

و قال تعالی : « إِنَّ رَبَّکُمُ اللّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِیعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَکَّرُونَ »(۴) .

۱- بحارالأنوار : ۵۵/۲۸ ، معانی الأخبار : ۲۹ .

۲- الکافی : ۱/۱۳۲ ح۳ .

۳- التوبه : ۱۲۹ .

۴- یونس : ۳ .

ص: ۸۵

و قال تعالی : « الرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی »(۱) .

و قال تعالی : « لَوْ کَانَ فِیهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ »(۲) .

و قال تعالی : « قُلْ مَن رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ »(۳) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام فی قول اللّه عزّ وجلّ « وسع کرسیّه السماوات والأرض » فقال : السماوات والأرض وما بینهما فی الکرسیّ ، والعرش هو العلم الذی لا یقدر أحد قدره(۴) .

أقول : الخبر الشریف صریح فی أنّ العرش علم لا یستطیع أحد أن یقدّره .

عن حنان بن سدیر قال : سألت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام عن العرش والکرسیّ فقال : إنّ للعرش صفات کثیره مختلفه ، له فی کل سبب وضع فی القرآن صفه علی حده . فقوله « ربّ العرش العظیم » یقول الملک العظیم وقوله « الرّحمن علی العرش استوی » یقول علی الملک احتوی ، وهذا ملک الکیفوفیه فی الأشیاء ، ثمّ العرش فی الوصل متفرّد من الکرسیّ لأنّهما بابان من أکبر أبواب الغیوب وهما جمیعاً غیبان وهما فی الغیب مقرونان ، لأنّ الکرسیّ هو الباب الظاهر من الغیب الذی منه مطلع البدع ومنه الأشیاء کلّها ، والعرش هو الباب الباطن الذی یوجد فیه علم الکیف والکون والقدر والحدّ والأین والمشیّه وصفه الإراده وعلم الألفاظ والحرکات والترک وعلم العود والبدء ، فهما فی العلم بابان مقرونان لأنّ مُلک العرش سوی ملک الکرسیّ ، وعلمه أغیب من علم الکرسیّ ، فمن ذلک قال « ربّ العرش العظیم » أی صفته أعظم من صفه الکرسی وهما فی ذلک مقرونان .

قلت : جعلت فداک ، فلم صار فی الفضل جار الکرسیّ ؟

قال : إنّه صار جاره لأنّ علم الکیفوفیّه فیه ، وفیه الظاهر من أبواب البداء وأیتیّتها

۱- طه : ۵ .

۲- الأنبیاء : ۲۲ .

۳- المؤمنون : ۸۶ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۸۹ ، التوحید : ۳۲۷ .

ص: ۸۶

وحدّ رتقها وفتقها ، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه فی الصرف وبمثل صرف العلماء ویستدلّوا علی صدق دعواهما لأنّه یختص برحمته من یشاء وهو القوی العزیز ، فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارک وتعالی « ربّ العرش عمّا یصفون » وهو وصف عرش الوحدانیّه ، لأنّ قوماً أشرکوا کما قلت لک قال تبارک وتعالی « ربّ العرش » ربّ الوحدانیّه عمّا یصفون ، وقوماً وصفوه بِیَدَین فقالوا ید اللّه مغلوله وقوماً وصفوه بالرجلین فقالوا وضع رجله علی صخره بیت المقدس فمنها ارتقی إلی السماء ، وقوماً وصفوه بالأنامل فقالوا إنّ محمّداً صلی الله علیه و آله قال إنّی وجدت برد أنامله علی قلبی ، فلمثل هذه الصفات قال « ربّ العرش عمّا یصفون » یقول ربّ المثل الأعلی عمّا به مثّلوه وللّه المثل الأعلی الذی لا یشبهه شیء ولا یوصف ولا یتوهّم فذلک المثل الأعلی ، ووصف الذین لم یوءتوا من اللّه فوائد العلم ، فوصفوا ربّهم بأدنی الأمثال وشبّهوه بالمتشابه منهم فیما جهلوا به ، فلذلک قال وما أوتیتم من العلم إلّا قلیلاً فلیس له شبه ولا مثل ولا عدل وله الأسماء الحسنی التی لا یسمّی بها غیره وهی التی وصفها فی الکتاب فقال « فادعوه بها وذروا الّذین یلحدون فی أسمائه »(۱) جهلاً ـ بغیر علم ، فالذی یلحد فی أسمائه بغیر علم یشرک ، وهو لا ـ یعلم ویکفر به وهو یظنّ أنّه یحسن ، فلذلک قال « وما یوءمن أکثرهم باللّه إلّا وهم مشرکون » فهم الذین یلحدون فی أسمائه بغیر علم فیضعونها غیر مواضعها . یا حنان ، إنّ اللّه تبارک وتعالی أمر أن یتّخذ قوم أولیاء فهم الذین أعطاهم اللّه الفضل وخصّهم بما لم یخصّ به غیرهم ، فأرسل محمّداً صلی الله علیه و آله فکان الدلیل علی اللّه بإذن اللّه عزّ وجلّ حتّی مضی دلیلاً هادیاً ، فقام من بعده وصیّه علیه السلام دلیلاً هادیاً علی ما کان هو دلّ علیه من أمر ربّه من ظاهر علمه ، ثمّ الأئمّه الراشدون علیهم السلام (۲) .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره ما هذا نصّه :

قوله علیه السلام : «العرش فی الوصل متفرّد من الکرسیّ لأنّها بابان من أکبر أبواب الغیوب وهما جمیعاً غیبان وهما فی الغیب مقرونان» .

۱- الأعراف : ۱۸۰ .

۲- التوحید : ۵۰ .

ص: ۸۷

أقول : ذکر علیه السلام وجه تفرّد العرش من الکرسیّ ، أی افتراقه ، ووجه اقترانهما واشتراکهما أیضاً .

أما وجه اشتراکهما ، فإنّ العرش والکرسیّ کلیهما من أکبر الغیوب وکلیهما غیبان وفی الغیب مقرونان . أی : أنّ کلاًّ منهما علم وعیان حقیقی یعلم بهما الغیب . وحیث إنّ ما علم بهما أمر حادث ، فلا محاله یکون العلم والإحاطه منقسماً بالمعلومات قبل مرتبه الوقوع وفی مرتبه کونها غیباً علی الإطلاق ، ویکون العرش والکرسیّ بابین لهذه الغیوب ، وإن شئت فقل مفتاحین لها .

وأمّا وجه افتراقهما ، فإنّ ما علم بالکرسیّ هو الغیب الذی منه مطلع البدع والإیجاد وعالم الشهاده کلها . فالکرسیّ علم بعالم الشهاده قبل مرتبه إیجاده وفی مرتبه إیجاده أیضاً ، فهو محیط بعالم الشهاده فقط . وأمّا العرش فهو محیط به وبما سواه من الأمور التی لیس الکرسیّ حاویاً وکاشفاً لها ، بل تکون هذه فضلاً وزیادهً للعرش . ویدلّ علی ذلک قوله علیه السلام : «والعرش هو الباب الذی یوجد فیه علم الکیف ... فهما فی العلم بابان مقرونان ، لأنّ ملک العرش سوی ملک الکرسیّ ، وعلمه أغیب من علم الکرسیّ»(۱) . انتهی کلامه رفع مقامه .

أقول : هذا الخبر الشریف صریح فی أنّ المراد من العرش والکرسیّ هو العلم .

و أمّا ما دلّ صریحاً علی أنّ المراد منها هو العلم المحمول :

قوله اللّه تعالی : « وَالْمَلَکُ عَلَی أَرْجَائِهَا وَیَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمَانِیَهٌ »(۲) .

و قوله تعالی : « الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَیُؤْمِنُونَ بِهِ وَیَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ کُلَّ شَیْءٍ رَحْمَهً وَعِلْما فَاغْفِرْ لِلَّذِینَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِیلَکَ

۱- توحید الإمامیه : ۳۰۳ ۳۰۴ .

۲- الحاقّه : ۱۷ .

ص: ۸۸

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ »(۱) .

فعن صفوان بن يحيى قال : سألنى أبو قرّه المحدّث أن أدخله على الإمام أبى الحسن الرّضا عليه السلام فاستأذنته ، فأذن لى ، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثمّ قال له : أفتقرّ أنّ اللّه محمول ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : كلّ محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج والمحمول اسم نقص فى اللّفظ والحامل فاعل وهو فى اللّفظ مدحه ، وكذلك قول القائل فوق وتحت وأعلى وأسفل ، وقد قال اللّه « وللّه الأسماء الحسنى فادعوه بها »(۲) ولم يقل فى كتبه إنّه المحمول بل قال إنّه الحامل فى البرّ والبحر والممسك السّماوات والأرض أن تزولا ، والمحمول ما سوى اللّه ولم يسمع أحد آمن باللّه وعظمته قطّ قال فى دعائه يا محمول .

قال أبو قرّه : فإنّه قال « ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانيه » وقال « الّذين يحملون العرش » .

فقال أبو الحسن عليه السلام : العرش ليس هو اللّه والعرش اسم علم وقدره وعرش فيه كلّ شىء ثمّ أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حمله علمه ، وخلقاً يسبّحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه ، وملائكه يكتبون أعمال عباده ، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته ، واللّه على العرش استوى كما قال ، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش واللّه الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كلّ نفس وفوق كلّ شىء وعلى كلّ شىء ، ولا يقال محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشىء فيفسد اللّفظ والمعنى .

قال أبو قرّه : فتكذّب بالروايه التى جاءت أنّ اللّه إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكه الّذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرّون سجّداً فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرنى عن اللّه تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا

۱- غافر : ۷ .

۲- الأعراف : ۱۸۰ .

ص: ۸۹

هو غضبان علیه ، فمتی رضی وهو فی صفتک لم یزل غضبان علیه وعلی أولیائه وعلی أتباعه . کیف تجترئ أن تصف ربّک بالتّغییر من حال إلی حال وأنّه یجری علیه ما یجری علی المخلوقین . سبحانه وتعالی لم یزل مع الزائلین ، ولم یتغیّر مع المتغیّرین ، ولم یتبدّل مع المتبدّلین ، ومن دونه فی یده وتدبیره ، وکلّهم إلیه محتاج ، وهو غنیّ عمّن سواه(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی أنّ العرش اسم علم وقدره ، فهو صفه للعلم والقدره وقد جمع هذا العرش کلّ شیء فإنّه کشف لکلّ شیء وقد حمّله اللّه تعالی خلقاً من خلقه واستعبدهم بذلک .

عن محمّد بن مسلم قال : سمعت الإمام أبا جعفر علیه السلام یقول : قول اللّه تعالی « الّذین یحملون العرش ومن حوله » یعنی محمّداً وعلیّاً والحسن والحسین وإبراهیم وإسماعیل وموسی وعیسی صلوات اللّه علیهم أجمعین(۲) .

أقول : من المحتمل أن یکون المراد من هذا الخبر الشریف بیان ل «من حوله» وهم الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وأمیرالمؤمنین علیه السلام إلی آخر الخبر الشریف ، إلّا أنّ الخبر الآتی یبیّن أنّ المراد من الذین یحملون العرش هم الرسول وأوصیاؤه ، فیکون هذا الخبر الشریف أیضاً دالاًّ علی المراد فلاحظ :

عن أبی جعفر علیه السلام فی قوله « وکذلک حقّت کلمه ربّک علی الّذین کفروا أنّهم أصحاب النّار »(۳) یعنی بنی أمیه ، « الّذین یحملون العرش » یعنی رسول اللّه صلی الله علیه و آله والأوصیاء من بعده ، یحملون علم اللّه « ومن حوله » یعنی الملائکه ، « یسبّحون بحمد ربّهم ویؤمنون به ویستغفرون للّذین آمنوا » أی شیعه آل محمّد « ربّنا وسعت کلّ شیء رحمه وعلما فاغفر للّذین تابوا » من ولایه فلان وفلان وبنی أمیه ، « واتّبعوا سبیلک » أی ولایه ولی « وقهم عذاب الجحیم ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتی وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم

۱- الکافی : ۱/۱۳۰ .

۲- بحارالأنوار : ۲۴/۹۰ ، تأویل الآیات : ۶۹۱ .

۳- غافر : ۶ .

ص: ۹۰

وذرّیّاتهم إنّک أنت العزیز الحکیم » یعنی من تولی علیّاً علیه السلام فذلک صلاحهم ، « وقهم السّیّئات ومن تق السّیّئات یومئذ فقد رحمته » یعنی یوم القیامه ، « وذلک هو الفوز العظیم » لمن نجّاه اللّه من هوءلاء یعنی من ولایه فلان وفلان . ثم قال : « إنّ الذین کفروا » یعنی بنی أمیه « ینادون لمقت اللّه أکبر من مقتکم أنفسکم إذ تدعون إلی الإیمان » یعنی إلی ولایه علیّ علیه السلام « فتکفرون »(۱) .

وإن أبیت أن یکون الخبر الثانی مقوّماً لظهور الخبر الأوّل والتزمت بظهور الخبر الأوّل ببیان المراد من « من حوله » فلا ریب فی ظهور الخبر الثانی بل نصّه فی المراد .

عن أبی حمزه عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : حمله العرش والعرش العلم ثمانیه أربعه منّا وأربعه ممّن شاء اللّه(۲) .

عن أمیرالموءمنین علیه السلام إلی أن قال : فالّذین یحملون العرش هم العلماء الذین حمّلهم اللّه علمه الخبر(۳) .

فتحصّل من ذلک أنّ العرش والکرسیّ علی حسب بعض الإطلاقات هما العلم المحمول الذی حمّله اللّه تعالی أولیاؤه .

هذا ، وقد أفاد شیخنا الملکیّ قدس سره بأنّه لا یبعد أن تکون الصحف النوریّه من العرش والکرسیّ والکتاب المبین والکتاب المکنون التی هی انکشاف حقیقی وعلم حمّله اللّه تعالی الحمله الکرام هی مرتبه تعیّن واحد من الأنظمه المعلومه للّه تعالی بالعلم بلا معلوم فإحصاؤه تعالی کلّ شیء فی إمام مبین عین تعیّن تحدیده العلمی فی مرتبه الإیجاد .

قال قدس سره ما هذا نصّه :

الآیات والأخبار التی أوردناها فی البحث عن علمه تعالی ، قد دلّت وقامت علی أنّ علمه تعالی بما سواه لیس علی سبیل الحضور

۱- بحارالأنوار : ۲۴/۲۱۰ ، تفسیر القمیّ : ۲/۲۵۵ .

۲- الکافی : ۱/۱۳۲ .

۳- الکافی : ۱/۱۲۹ .

ص: ۹۱

بـالصور ، ولا على سبيل الحصول بـذيها ، ولا على سبيل الحكم بالجزئيات المتجـدّده المتصـرّمه وغير ذلك ممّا ذكرنا هناك . بل هو تعـالى علم وكشف وعيـان بـذاته لجميع ما سواه فى عرض سواء فى شـدّه غير متناهيه كليّاتها وجزئياتها ، أعيانها وحوادثها ، ولا معلوم خارجاً بوجه .

والذات المقدّسه والعلم الغيرى المتناهى آبٍ عن التعيّن والتحديد بشىء من هذه الأنظمه . وإيجاد شىء منها ، لابدّ أن يكون عن تعيّن وتقدير خارجاً عن ذاته تعالى ، فيسـتحيل تحديد ذاته سـبحانه بأنّه علم بالنظام الواحد الأحسن . فإنّه مع بطلانه مستلزم للتوالى الفاسده الكثيره .

فلاـ يبعـد أن يقـال : إنّ الصـحف النـورانيّه الـتى ذكرناهـا من العرش والكرسـىّ والكتـاب المـبين والكتـاب المكنـون ، الـتى هى علم وانكشاف حقيقى وحمل اللّه تعالى ذلك العلم لعدّه خاصه من عباده المقرّبين ، هى مرتبه تعيّن واحد من هذه الأنظمه الحسنى .

وإحصاوءه تعالى كلّ شـىء فى إمام مبين ، عين تعيين الموجودات بهـذا الكتاب وعين تعيينه وتحديـده العلمىّ فى مرتبه الإيجاد . وقد عرفت ما عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ العرش هو العلم الذى لا يقدر أحد قدره»(۱) . انتهى كلامه .

أقول : يمكن الإستشـهاد والمساعده على ما أفاده بما ورد من أنّ قلوب أئمّه الهدى عليهم السلام وكر لإراده اللّه تعالى وأوعيه لمشيّته . فلمّـا كان المعلوم عنـده بالعلم بلا معلوم غير متناه وكان ثبت المشيّه فى قلوب المعصوم عليهم السـلام إخباراً لما يريـد أن يوقعه فى الخارج ، يكون الثابت فى قلوبهم الطاهره تعيّناً لأحد تلك الأنظمه الحسنى

۱- توحيد الإماميه : ۳۱۱ ۳۱۲ .

ص: ۹۲

لتوجد وتتحقّق فی الخارج .

وبعباره أخری : إنّ العرش والکرسیّ والکتاب المبین والکتاب المکنون هو العلم المحمول بصریح الأخبار المبارکه المفسّره للآیات القرآنیّه ، فمن تحمّل هذا العلم یکون متحمّلاً لمشیّه اللّه تعالی ووکراً لإرادته . ومعنی ثبت ذلک فی قلوبهم الطاهره هو بیان ما یرید وقوعه فی الخارج ، ولذا تکون تلک الصحف النوریّه تعیّناً لأحد الأنظمه الحسنی المعلومه للّه تعالی بالعلم بلا معلوم ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون . وإلیک بعض ما دلّ علی أنّهم وکر لإراده اللّه تعالی وأوعیه لمشیّته :

ورد فی زیاره مولانا الإمام الحسین بن علیّ علیهماالسلام : إراده الربّ فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم(۱) .

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : لو أذن لنا أن نُعلم الناس حالنا عند اللّه ومنزلتنا منه لما احتملتم .

فقال له : فی العلم ؟

فقال : العلم أیسر من ذلک . إنّ الإمام وکر لإراده اللّه عزّ وجلّ لا یشاء إلاّ من(۲) یشاء اللّه(۳) .

عن أبی نعیم محمّد بن أحمد الأنصاری قال : وجّه قوم من المفوّضه والمقصّره کامل بن إبراهیم المدنی إلی الإمام أبی محمّد علیه السلام . قال کامل : فقلت فی نفسی أسأله لا یدخل الجنه إلاّ من عرف معرفتی وقال بمقالتی .

قال : فلمّا دخلت علی سیدی أبی محمّد علیه السلام نظرت إلی ثیاب بیاض ناعمه علیه فقلت فی نفسی : ولیّ اللّه وحجّته یلبس الناعم من الثیاب ویأمرنا نحن بمواساه الإخوان وینهانا عن لبس مثله !

فقال متبسّماً : یا کامل وحسر ذراعیه فإذا مسح أسود خشن علی جلده ، فقال : هذا

۱- الکافی : ۴/۵۷۷ .

۲- ورد «من» فی بحارالأنوار والأنسب أن یکون «ما» .

۳- بحارالأنوار : ۲۵/۳۸۵ ، عن منهج التحقیق إلی سواء الطریق .

ص: ۹۳

للّه ، وهذا لکم .

فسلّمت وجلست إلی باب علیه ستر مرخی . فجاءت الریح فکشفت طرفه ، فإذا أنا بفتی کأنّه فلقه قمر من أبناء أربع سنین أو مثلها فقال لی : یا کامل بن إبراهیم ، فاقشعررت من ذلک وألهمت أن قلت لبّیک یا سیدی .

فقال : جئت إلی ولیّ اللّه وحجّته وبابه تسأله هل یدخل الجنّه إلاّ من عرف معرفتک وقال بمقالتک ؟

فقلت : إی واللّه .

قال : إذن واللّه یقلّ داخلها واللّه إنّه لیدخلها قوم یقال لهم الحقیّه .

قلت : یا سیّدی ومن هم ؟

قال : قوم من حبّهم لعلیّ علیه السلام یحلفون بحقّه ولا یدرون ما حقّه وفضله . ثمّ سکت صلوات اللّه علیه عنّی ساعه ، ثمّ قال : وجئت تسأله عن مقاله المفوّضه ، کذبوا ، بل قلوبنا أوعیه لمشیّه اللّه فإذا شاء شئنا واللّه یقول « وما تشاوءن إلاّ أن یشاء اللّه » . ثمّ رجع الستر إلی حالته ، فلم أستطع کشفه ، فنظر إلیّ أبومحمّد علیه السلام متبسّماً فقال : یا کامل ، ما جلوسک قد أنبأک بحاجتک الحجّه من بعدی . فقمت وخرجت ولم أعاینه بعد ذلک . قال أبو نعیم : فلقیت کاملاً فسألته عن هذا الحدیث فحدّثنی به(۱) .

العلم المحمول فی الروایات

اشاره

و أمّا ما دلّ من الأخبار علی العلم المحمول فکثیر ، وإلیک بعضه :

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : إنّ اللّه عزّ وجلّ أخبر محمّداً صلی الله علیه و آله بما کان منذ کانت الدنیا وبما یکون إلی انقضاء الدنیا ، وأخبره بالمحتوم من ذلک واستثنی علیه فیما سواه(۲) .

۱- بحارالأنوار : ۲۵/۳۳۶ ، الغیبه للشیخ الطوسیّ : ۲۴۶ .

۲- الکافی : ۱/۱۴۸ .

ص: ۹۴

أقول : لعلّ المراد من هذا الخبر الشريف بعد دلاله الأدلّه الكثيره على إنبائهم بما كان وما يكون من دون تفريق بين المحتوم وغيره بل إخبارهم بتحمّل الغير المحتوم من العلم أيضاً لدلاله قولهم عليهم السلام : «لولا آيه فی كتاب اللّه عزّوجلّ لأخبرتكم بما كان وما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامه»(۱) فإنّهم لو كانوا متحمّلين للمحتوم من العلم دون غيره لما كان وجه لعدم الإنباء بما كان وما يكون إلى يوم القيامه استناداً إلى إمكان البداء فيه بل كانوا ينبئون بما كان وما يكون إلى يوم القيامه لتحمّلهم للعلم المحتوم الذى لا بداء فيه أنّ اللّه تعالى استثنى على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فيما سوى ذلك فی إمكان البداء فيه ، لا فی إنبائه به .

قال العلّامه المجلسیّ قدس سره فی ذيل الخبر «قوله عليه السلام «و استثنى عليه» أى بأن قال إلّا بأن أُريد غيره أو أمحوه»(۲) .

ويحتمل أن يكون المراد من المحتوم هو خصوص ما شیء وأُريد وقُدّر وقُضی ، وبناء على ذلك يكون المراد من «استثنى عليه فيما سواه» ما لم يُشأ ولم يُرَد والاحتمال الأوّل أقوى .

عن الحارث بن المغيره وعدّه من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيده وعبد اللّه بن بشر الخثعميّ سمعوا أبا عبداللّه عليه السلام يقول : إنّی لأعلم ما فی السماوات وما فی الأرض ، وأعلم ما فی الجنّه ، وأعلم ما فی النّار ، وأعلم ما كان وما يكون ، قال : ثمّ مكث هنيئه ، فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه ، فقال : علمت ذلك من كتاب اللّه عزّ وجلّ إنّ اللّه عزّ وجلّ يقول : «فيه تبيان كلّ شیء»(۳) (۴).

قال أميرالموءمنين عليه السلام إلى أن قال : علم الأنبياء فی علمهم وسرّ الأوصياء فی

۱- بحارالأنوار : ۱۰/۱۱۷ ح ۱ ، الأمالی للشيخ الصدوق : ۳۴۱ ، التوحيد : ۳۰۴ .

۲- مرآه العقول : ۲/۱۴۲ .

۳- الظاهر أنّ المراد من الآيه هو قوله تعالى : « تبياناً لكلّ شیء » ولعلّ ما ورد فی نصّ الخبر هو إمّا من غلط الراوى وإمّا من غلط النسّاخ .

۴- الكافی : ۱/۲۶۱ .

ص: ۹۵

سرّهم وعزّ الأولیاء فی عزّهم کالقطره فی البحر والـذرّه فی القفر ، والسـماوات والأرض عنـد الإمام کیده من راحته یعرف ظاهرها من باطنها ویعلم برّها من فاجرها ورطبها ویابسـها لأنّ اللّه علّم نبیّه علم ما کان وما یکون وورث ذلک السرّ المصون الأوصیاء المنتجبون ، ومن أنکر ذلـک فهـو شـقیّ ملعون یلعنه اللّه ویلعنه اللاّعنون وکیف یفرض اللّه علی عبـاده طـاعه من یحجب عنه ملکوت السـماوات والأرض ؛ الخبر(۱) .

حارثه بن قدامه قال : حدّثنی سلمان قال : حدثنی عمّار وقال أخبرک عجباً قلت : حدّثنی یا عمّار .

قال : نعم ، شـهدت علیّ بن أبی طالب علیه السـلام وقد ولج علی فاطمه علیهاالسـلام ، فلمّا أَبْصَرَتْ به نادتْ : ادن لأحدّثک بما کان وبما هو کائن وبما لم یکن إلی یوم القیامه حین تقوم الساعه .

قـال عمار : فرأیت أمیرالموءمنین علیه السـلام یرجع القهقری فرجعت برجوعه إذ دخل علی النبی صـلی اللّه علیه و آله فقال له : اُدن یا أبا الحسن ، فدنا . فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له : تُحدّثنی أم أُحدّثک ؟

قال : الحدیث منک أحسن یا رسول اللّه .

فقال : کأنّی بک وقد دخلت علی فاطمه وقالت لک کیت وکیت ، فرجعت .

فقال علیّ علیه السلام : نور فاطمه من نورنا ؟

فقال صلی اللّه علیه و آله : أو لا تعلم ؟!

فسجد علیّ شکراً للّه تعالی .

قال عمّار : فخرج أمیرالموءمنین علیه السـلام وخرجت بخروجه فولج علی فاطمه علیهاالسـلام وولجت معه فقالت : کأنّک رجعت إلی أبی صلی اللّه علیه و آله فأخبرته بما قلته لک .

قال : کان کذلک یا فاطمه .

فقالت : اعلم یا أبا الحسن أنّ اللّه تعالی خلق نوری وکان یسبّح اللّه جلّ جلاله ، ثمّ

۱- بحارالأنوار : ۲۵/۱۷۳ ، مشارق أنوار الیقین للبرسی : ۱۸۷ .

ص: ۹۶

أودعه شـجره من شجر الجنّه فأضاءت ، فلمّا دخل أبی الجنّه أوحی اللّه تعالی إلیه إلهاماً أن اقتطف الثمره من تلک الشجره وأدِرْها فی لهواتک ففعل ، فأودعنی اللّه سبحانه صلب أبی صلی الله علیه و آله ثمّ أودعنی خدیجه بنت خویلد فوضعتنی ، وأنا من ذلک النور ، أعلم ما کان وما یکون وما لم یکن ، یا أبا الحسن الموءمن ینظر بنور اللّه تعالی(۱) .

أقول : مرّ الخبر ومرّ بیان شطر منه .

مراتب وقوع الشیء فی الخارج

الظاهر من الأخبار أنّه لابدّ لوقوع الشیء فی الخارج من مروره بمراتب ، وهی : المشیّه والإراده والقدر والقضاء ، وکلّ واحد من هذه المراتب فعل حادث من أفعال اللّه تعالی ، والظاهر منها أنّ المشیّه تکون بمعنی ابتداء الفعل والذکر الأوّل ، والإراده تکون بمعنی الثبوت والعزیمه علی ما شاءه ، والقدر هو الهندسه من الطول والعرض والبقاء والآجال والأرزاق ، والقضاء هو المرتبه الأخیره قبل وقوع الفعل ویکون الأقر

ص: ۱۴۴

خزائنی إذا أردت شیئاً أن أقول له کن فیکون(۱) .

یـدلّ الخبر علی أنّ خزائن اللّه تعالی قـدرته علی ما یشاء ، فإن أراد شـیئاً سـیکون ذلک الشـیء بلا أدنی ریب ، کما اتّضـح ذلک من الآیات المبارکات الدالّه علی أنّه تعالی علی کلّ شیء قدیر وأنّه یفعل ما یشاء .

نعم ، إنّ المسـتحیل لا یکون وهـذا لیس نقصاً فی قـدرته تعالی ، ولذا لا یفعل اللّه تعالی المسـتحیل الواقعی ولکن مع ذلک لا بدّ من الإشاره إلی أنّ المسـتحیل الواقعی لا یکون لا ما ظنناه مسـتحیلاً ، فاجتماع النقیضـین مسـتحیل وهو لا یکون ولکن قد نظنّ أنّ الشیئین متناقضـان إلاّ ـ أنّهما لیسا کـذلک ، کما فی قصّه إخماد حراره النار التی أُلقی فیها خلیل اللّه إبراهیم علیه السـلام ، فإنّ الحراره لیسـت ذاتیّه للنـار ، ولـذا لا ـ امتنـاع عقلاً فی انفصالها عن النار . فالتفت لهـذا الأمر کی لا تحـدّد قـدره اللّه تعالی بحسب عقلک ، فتکون من الغاوین .

عن علیّ بن الحسن بن علیّ بن فضـال عن أبیه عن أبی الحسن الرضـا علیه السـلام قـال : قلت له : یـا ابن رسـول اللّه ، لم خلـق اللّه عزّ وجلّ الخلق علی أنواع شتّی ولم یخلقه نوعاً واحداً ؟

فقال : لئلّا یقع فی الأوهام أنّه عاجز فلا تقع صوره فی وهم ملحد إلاّ وقد خلق اللّه عزّ وجلّ علیها خلقاً ولا یقول قائل هل یقدر اللّه عزّ وجـلّ علی أن یخلق علی صوره کـذا وکـذا إلاّ ـ وجـد ذلـک فی خلقه تبارک وتعالی فیعلم بالنظر إلی أنواع خلقه أنّه علی کلّ شـیءٍ قدیر(۲) .

ثمّ إنّ شـیخنا الأُسـتاذ آیه اللّه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سـره أفاد فی خاتمه بحث قدره اللّه ما لا یخلو عن فائده . وإلیک نصّ عبارته :

فتحصّل من جمیع ما ذکرنا أنّ الآیات الکریمه والروایات المبارکه

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۳۵ ، الأمالی للشیخ الصدوق : ۵۱۱ .

۲- عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۲/۷۵ ح ۱ .

ص: ۱۴۵

تـدلّ بحیث لا دافع لـدلالتها ، علی إطلاق قـدرته تعالی وعـدم تحدیـدها بالنظام الواحد الأصـلح فیکون تبدیل قوم مکان قوم آخرین علی مـذهب أرباب الشـرائع من الشوءون الجدیـده التی یبتدئ بها . فإنّه تعالی کل یوم فی شأن حادث بالحقیقه ، یضع المسـتکبرین ، ویرفع المستضـعفین ، ویهلـک ملوکـاً ، ویسـتخلف آخرین . ولاـ فرق فی ذلک بین أجزاء النظام قلیلها وکثیرها . فقـد خلق السـماوات والأرض بالحقّ لغرض وغایه حکیمه أرادها . فلو بدّل شـیئاً من أجزائها وأشخاصـها ، فهو أیضاً لغرض وغایه أرادها منزّهاً ومقدّساً عن الباطل واللّغو والعبث(۱) . انتهی کلامه رفع مقامه .

إذا عرفت ذلـک یتّضـح لـک أنّ اللّه تعـالی علی کـلّ شـیء قـدیر ولاـ یصـعب علیه شـیء فهو لما یشاء قـدیر وله المالکیّه التامّه علی الکائنـات فمـا شـاء منها أبقی وما شاء أفنی کما أنّ له القـدره علی اللاکائنات فما شاء أن یخلق ممّا علمه بالعلم بلا معلوم خلق وما لم یشأ لم یخلق کما أنّ عموم قدرته یقتضی إمکان إعطاء الملکیّه لمن یشاء من عباده .

۱- توحید الإمامیّه : ۳۳۱ .

ص: ۱۴۶

ص: ۱۴۷

آيات المشيّه

وممّا يدلّ على سعه قدرته تعالى ونفوذ أمره ، ما دلّ من الآيات على أنّه يفعل ما يشاء ، وإليك بعض تلك الأدلّه :

۱ « أَولَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ونَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ »(۱) .

فإنّ الظاهر منها هو أنّ للّه تعالى أن يشاء تعذيبهم بذنوبهم عدلاً ، كما أنّ له أن يترحّم عليهم فيعاملهم بفضله.

۲ « وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ »(۲) .

الظاهر منها هو أنّ اللّه تعالى له أن يطمس على قلوبهم ، كما أنّ له أن لا يطمس ، وهذا يدلّ على أنّ الفعلين أعنى معاملتهم بالفضل ومعاملتهم بالعدل حكيمان حسنان فى غايه الحسن والحكمه.

۳ « ولَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا ولا يَرْجِعُونَ »(۳) .

الظاهر منها أنّه تعالى لو شاء لمسخهم بحيث لا يستطيعون المضىّ ، ولا يرجعون إلى حالتهم الأُولى .

۴ « لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاما فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ »(۴) .

۵ « وتِلْك حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّك حَكِيمٌ

۱- الأعراف : ۱۰۰ .

۲- يس : ۶۶ .

۳- يس : ۶۷ .

۴- الواقعه : ۶۵ .

ص: ۱۴۸

عَلِيمٌ »(۱) .

۶ « فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذلِك كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِى دِينِ الْمَلِك إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللّه نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ »(۲) .

أقول: الظاهر منها أنّ رفع الدرجات متوقّف على مشيّه اللّه تعالى . فكما أنّ رفعه متوقّف على مشيّته وهو حكيم ، كذلك عدم الرفع.

۷ « حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ ولا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ »(۳) .

۸ « ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ ومَنْ نَشاءُ وأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ »(۴) .

أقول: الظاهر من هاتين الآيتين هو أنّ النجاه ليس بواجب عليه تعالى بل الأمر له إن شاء أنجى وإن شاء ترك . نعم ، لمّا وعد النجاه لعدّه مخصوصه لا يخلف الميعاد ، ولذا قال تعالى « ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ ».

۹ « وَ كَذلِك أَوْحَيْنا إِلَيْك رُوحا مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ ولاَ الْإِيمانُ ولكِنْ جَعَلْناهُ نُورا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وإِنَّك لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۵) .

الآيه المباركه صريحه فى أنّ الهدايه بيد اللّه تعالى يهدى من يشاء ، فليست الهدايه واجبه عليه وله المالكيه المطلقه الذاتيه.

۱۰ « إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَهً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ »(۶) .

يظهر من الآيه المباركه أنّ إنزال آيه تظلّ الأعناق لها خاضعه بمكان من الإمكان وهى رهن لمشيّته تعالى.

۱۱ « أَفَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ والْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ

۱- الأنعام : ۸۳ .

۲- يوسف : ۷۶ .

۳- يوسف : ۱۱۰ .

۴- الأنبياء : ۹ .

۵- الشورى : ۵۲ .

۶- الشعراء : ۴ .

ص: ۱۴۹

الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفا مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِى ذلِك لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ »(۱) .

الظاهر من هذه الآيه المباركه هو أنّ للّه تعالى أن يشاء فى خسف الأرض وإسقاط السماء كسفاً ، وله أن لا يشاء ذلك.

۱۲ « وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ ولا هُمْ يُنْقَذُونَ »(۲) .

الظاهر من هذه الآيه المباركه أنّ للّه تعالى أن يشاء فى إغراق القوم بحيث لا يكون لهم صريخ ولا هم ينقذون.

ثمّ لا بدّ من الإشاره إلى أنّ بعض ما مضى من الآيات المباركات كان بصيغه الجمع ، وقد ذكرنا فى أبحاثنا أنّه قد وردت أخبار تدلّ على أنّ ما ورد بصيغه الجمع فى الآيات يكون المراد منه الرسول وآله عليهم السلام ، وبذلك تعرف مدى شرفهم فإنّهم عليهم السلام وكر لمشيّته تعالى ومورد لإرادته ، كما أنّه تعالى قد أذن لهم التصرّف فى بعض الأُمور من غير أن يكونوا مستقلّين فى الأمر ، فتأمّل جيّداً.

و لا يخفى أنّ الآيات الدالّه على قدره اللّه تعالى بفعل ما يشاء كثيره جدّاً ولا يمكننا ذكرها فى هذا الوجيز ، إلّا أنّا نشير إلى بعضها من غير شرح لها لوضوح دلالتها على المراد . فلاحظ :

« بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللّه بَغْيا أَنْ يُنَزِّلَ اللّه مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ ولِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ »(۳) .

« ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ولاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ واللّه يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »(۴) .

« سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كانُوا عَلَيْها قُلْ للّه الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۵) .

۱- يس : ۹ .

۲- يس : ۴۳ .

۳- البقره : ۹۰ .

۴- البقره : ۱۰۵ .

۵- البقره : ۱۴۲ .

ص: ۱۵۰

« زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیاهُ الدُّنْیا ویَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا والَّذِینَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ واللّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ »(۱) .

« کانَ النَّاسُ أُمَّهً واحِدَهً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ ومُنْذِرِینَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ فِیمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ ومَا اخْتَلَفَ فِیهِ إِلاَّ الَّذِینَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَیِّناتُ بَغْیا بَیْنَهُمْ فَهَدَی اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ واللّهُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ »(۲) .

« وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکا قالُوا أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ ولَمْ یُؤْتَ سَعَهً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ وزادَهُ بَسْطَهً فِی الْعِلْمِ والْجِسْمِ واللّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ واللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ »(۳) .

« فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّه وقَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وآتاهُ اللّهُ الْمُلْکَ والْحِکْمَهَ وعَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ ولَوْ لا دَفْعُ اللّه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ولکِنَّ اللّه ذُو فَضْلٍ عَلَی الْعالَمِینَ »(۴) .

« مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّه کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ واللّه یُضاعِفُ لِمَنْ یَشاءُ واللّه واسِعٌ عَلِیمٌ »(۵) .

« یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشاءُ ومَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْرا کَثِیرا وما یَذَّکَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ »(۶) .

« لَیْسَ عَلَیْکَ هُداهُمْ ولکِنَّ اللّه یَهْدِی مَنْ یَشاءُ وما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّه وما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ »(۷) .

« للّه ما فِی السَّماواتِ وما فِی الْأَرْضِ وإِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللّه فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ ویُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ واللّه عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »(۸) .

۱- البقره : ۲۱۲ .

۲- البقره : ۲۱۳ .

۳- البقره : ۲۴۷ .

۴- البقره : ۲۵۱ .

۵- البقره : ۲۶۱ .

۶- البقره : ۲۶۹ .

۷- البقره : ۲۷۲ .

۸- البقره : ۲۸۴ .

ص: ۱۵۱

« هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »(۱) .

« قَدْ کانَ لَکُمْ آیَهٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا فِئَهٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللّه وأُخْری کافِرَهٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ واللّه یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ إِنَّ فِی ذلِک لَعِبْرَهً لِأُولِی الأَبْصارِ »(۲) .

« فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَها نَباتا حَسَنا وکَفَّلَها زَکَرِیَّا کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقا قالَ یا مَرْیَمُ أَنَّی لَک هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّه إِنَّ اللّه یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ »(۳) .

« قالَ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وقَدْ بَلَغَنِیَ الْکِبَرُ وامْرَأَتِی عاقِرٌ قالَ کَذلِک اللّه یَفْعَلُ ما یَشاءُ »(۴) .

« قالَتْ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی وَلَدٌ ولَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ قالَ کَذلِک اللّه یَخْلُقُ ما یَشاءُ إِذا قَضی أَمْرا فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ »(۵) .

« ما کانَ اللّه لِیَذَرَ الْمُؤْمِنِینَ عَلی ما أَنْتُمْ عَلَیْهِ حَتَّی یَمِیزَ الْخَبِیثَ مِنَ الطَّیِّبِ وما کانَ اللّه لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ ولکِنَّ اللّه یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ فَآمِنُوا بِاللّه ورُسُلِهِ وإِنْ تُؤْمِنُوا وتَتَّقُوا فَلَکُمْ أَجْرٌ عَظِیمٌ »(۶) .

« إِنَّ اللّه لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَک بِهِ ویَغْفِرُ ما دُونَ ذلِک لِمَنْ یَشاءُ ومَنْ یُشْرِک بِاللّه فَقَدِ افْتَری إِثْما عَظِیما »(۷) .

« أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُزَکُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّه یُزَکِّی مَنْ یَشاءُ ولا یُظْلَمُونَ فَتِیلاً »(۸) .

« إِنَّ اللّه لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَک بِهِ ویَغْفِرُ ما دُونَ ذلِک لِمَنْ یَشاءُ ومَنْ یُشْرِک بِاللّه فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِیدا »(۹) .

« لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللّه هُوَ الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ قُلْ فَمَنْ یَمْلِک مِنَ اللّه شَیْئا إِنْ أَرادَ أَنْ

۱- آل عمران : ۶ .

۲- آل عمران : ۱۳ .

۳- آل عمران : ۳۷ .

۴- آل عمران : ۴۰ .

۵- آل عمران : ۴۱ .

۶- آل عمران : ۱۷۹ .

۷- النساء : ۴۸ .

۸- النساء : ۴۹ .

۹- النساء : ۱۱۶ .

ص: ۱۵۲

يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ ومَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعا ولله مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ واللّه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(۱) .

« وَ قالَتِ الْيَهُودُ والنَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللّه وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ولله مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما وإِلَيْهِ الْمَصِيرُ »(۲) .

« أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّه لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ويَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ واللّه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(۳) .

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّه بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّه ولا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللّه واسِعٌ عَلِيمٌ »(۴) .

« وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ولُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرا مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيانا وكُفْرا وأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ والْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا نارا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّه ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسادا واللّه لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ »(۵) .

« وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَتُحاجُّونِّي فِي اللّه وقَدْ هَدانِ ولا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْما أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ »(۶) .

« ذلِكَ هُدَى اللّه يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ولَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ »(۷) .

« وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ما كانُوا

۱- المائده : ۱۷ .

۲- المائده : ۱۸ .

۳- المائده : ۴۰ .

۴- المائده : ۵۴ .

۵- المائده : ۶۴ .

۶- الأنعام : ۸۰ .

۷- الأنعام : ۸۸ .

ص: ۱۵۳

لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللّه ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ »(۱) .

« وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَهِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّهِ قَوْمٍ آخَرِينَ »(۲) .

« قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللّه كَذِبا إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّه مِنْها وما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللّه رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْما عَلَى اللّه تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ »(۳) .

« قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّه واصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ والْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ »(۴) .

« وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ويَتُوبُ اللّه عَلى مَنْ يَشاءُ واللّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ »(۵) .

« ثُمَّ يَتُوبُ اللّه مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ واللّه غَفُورٌ رَحِيمٌ »(۶) .

« وَاللّه يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۷) .

« وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّه بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »(۸) .

« وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ ولا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »(۹) .

« اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ وفَرِحُوا بِالْحَياهِ الدُّنْيا ومَا الْحَياهُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَهِ إِلَّا مَتاعٌ »(۱۰) .

« وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَهٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّه يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي إِلَيْهِ

۱- الأنعام : ۱۱۱ .

۲- الأنعام : ۱۳۳ .

۳- الأعراف : ۸۹ .

۴- الأعراف : ۱۲۸ .

۵- التوبه : ۱۵ .

۶- التوبه : ۲۷ .

۷- يونس : ۲۵ .

۸- يونس : ۱۰۷ .

۹- يوسف : ۲۱ .

۱۰- الرّعد : ۲۶ .

ص: ۱۵۴

مَنْ أَنابَ »(۱) .

« وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ للّه الْأَمْرُ جَمِيعا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّه لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعا ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبا مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّه إِنَّ اللّه لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ »(۲) .

« يَمْحُوا اللّه ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ »(۳) .

« وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّه مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(۴) .

« قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ولكِنَّ اللّه يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّه وعَلَى اللّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »(۵) .

« وَلَوْ شاءَ اللّه لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً ولكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ ولَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »(۶) .

« إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرا بَصِيرا »(۷) .

« إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللّه واذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَدا »(۸) .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ ومَنْ فِي الْأَرْضِ والشَّمْسُ والْقَمَرُ والنُّجُومُ والْجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ وكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ ومَنْ يُهِنِ اللّه فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللّه يَفْعَلُ ما يَشاءُ »(۹) .

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ ومَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ ولَوْ لا فَضْلُ اللّه عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدا ولكِنَّ اللّه يُزَكِّي

۱- الرّعد : ۲۷ .

۲- الرّعد : ۳۱ .

۳- الرّعد : ۳۹ .

۴- إبراهيم : ۴ .

۵- إبراهيم : ۱۱ .

۶- النّحل : ۹۳ .

۷- الإسراء : ۳۰ .

۸- الكهف : ۲۴ .

۹- الحجّ : ۱۸ .

ص: ۱۵۵

مَنْ يَشاءُ واللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ »(۱) .

« اللّه نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِى زُجاجَةٍ الزُّجاجَهُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ ولا غَرْبِيَّهٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِىءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِى اللّه لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ ويَضْرِبُ اللّه الأَمْثالَ لِلنَّاسِ واللّه بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ »(۲) .

« لِيَجْزِيَهُمُ اللّه أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ واللّه يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ »(۳) .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّه يُزْجِى سَحابا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاما فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ ويَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ »(۴) .

« وَاللّه خَلَقَ كُلَّ دَابَّهٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى بَطْنِهِ ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى رِجْلَيْنِ ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّه ما يَشاءُ إِنَّ اللّه عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »(۵) .

« لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ واللّه يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »(۶) .

« إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ولكِنَّ اللّه يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »(۷) .

« وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ سُبْحانَ اللّه وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ »(۸) .

« وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللّه عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ »(۹) .

« يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ويَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ »(۱۰) .

۱- النّور : ۲۱ .

۲- النّور : ۳۵ .

۳- النّور : ۳۸ .

۴- النّور : ۴۳ .

۵- النّور : ۴۵ .

۶- النّور : ۴۶ .

۷- القصص : ۵۶ .

۸- القصص : ۶۸ .

۹- القصص : ۸۲ .

۱۰- العنكبوت : ۲۱ .

ص: ۱۵۶

« اللّه يَبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »(۱) .

« بِنَصْرِ اللّه يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »(۲) .

« أَولَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّه يَبسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إِنَّ فِى ذلِك لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(۳) .

« اللّه الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ ويَجْعَلُهُ كِسَفا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »(۴) .

« اللّه الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفا وشَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ »(۵) .

« قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ »(۶) .

« قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ لَهُ وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ »(۷) .

« الْحَمْدُ للّه فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَهِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَهٍ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللّه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(۸) .

« أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنا فَإِنَّ اللّه يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِى مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُك عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللّه عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ »(۹) .

« وَما يَسْتَوِى الأَحْياءُ ولاَ الأَمْواتُ إِنَّ اللّه يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ »(۱۰) .

« اللّه نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتابا مُتَشابِها مَثانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللّه ذلِك هُدَى اللّه يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ ومَنْ يُضْلِلِ اللّه فَما لَهُ مِنْ

۱- العنكبوت : ۶۲ .

۲- الرّوم : ۵ .

۳- الرّوم : ۳۷ .

۴- الرّوم : ۴۸ .

۵- الرّوم : ۵۴ .

۶- سبأ : ۳۶ .

۷- سبأ : ۳۹ .

۸- فاطر : ۱ .

۹- فاطر : ۸ .

۱۰- فاطر : ۲۲ .

ص: ۱۵۷

هادٍ »(۱) .

« أَولَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِك لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(۲) .

« رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ »(۳) .

« وَلَوْ شاءَ اللّه لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً ولكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ »(۴) .

« لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »(۵) .

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحا والَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْك وما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللّه يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ »(۶) .

« اللّه لَطِيفٌ بِعِبادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ »(۷) .

« وَلَوْ بَسَطَ اللّه الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ولكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ »(۸) .

« لِلّه مُلْك السَّماواتِ والأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثا ويَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الـذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرانا وإِناثا ويَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيمـا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَـدِيرٌ ، وَ مـا كانَ لِبَشَـرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّه إِلاَّ وَحْيا أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ »(۹) .

« فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَـرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها ذلِك ولَوْ يَشاءُ اللّه لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ولكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ

۱- الزّمر : ۲۳ .

۲- الزّمر : ۵۲ .

۳- غافر : ۱۵ .

۴- الشّورى : ۸ .

۵- الشّورى : ۱۲ .

۶- الشّورى : ۱۳ .

۷- الشّورى : ۱۹ .

۸- الشّورى : ۲۷ .

۹- الشّورى : ۴۹ ۵۱ .

ص: ۱۵۸

بِبَعْضٍ والَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّه فَلَنْ یُضِلَّ أَعْمالَهُمْ »(۱) .

« وَلِلّه مُلْک السَّماواتِ والأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ ویُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وکانَ اللّه غَفُورا رَحِیما »(۲) .

« هُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا وصَدُّوکُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ والْهَدْیَ مَعْکُوفا أَنْ یَبْلُغَ مَحِلَّهُ ولَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ ونِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِیبَکُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّهٌ بِغَیْرِ عِلْمٍ لِیُدْخِلَ اللّه فِی رَحْمَتِهِ مَنْ یَشاءُ لَوْ تَزَیَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابا أَلِیما »(۳) .

« وَکَمْ مِنْ مَلَک فِی السَّماواتِ لا تُغْنِی شَفاعَتُهُمْ شَیْئا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ یَأْذَنَ اللّه لِمَنْ یَشاءُ ویَرْضی »(۴) .

« سابِقُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وجَنَّهٍ عَرْضُها کَعَرْضِ السَّماءِ والأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّه ورُسُلِهِ ذلِک فَضْلُ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ »(۵) .

« لِئَلَّا یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتابِ أَلَّا یَقْدِرُونَ عَلی شَیْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّه وأَنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ »(۶) .

« وَما أَفاءَ اللّه عَلی رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ ولا رِکابٍ ولکِنَّ اللّه یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلی مَنْ یَشاءُ واللّه عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »(۷) .

« ذلِک فَضْلُ اللّه یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ واللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ »(۸) .

« وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِکَهً وما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ ویَزْدادَ الَّذِینَ آمَنُوا إِیمانا ولا یَرْتابَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ والْمُؤْمِنُونَ ولِیَقُولَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والْکافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّه بِهذا مَثَلًا کَذلِک یُضِلُّ اللّه مَنْ یَشاءُ ویَهْدِی مَنْ یَشاءُ وما یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّک إِلَّا هُوَ وما هِیَ إِلَّا ذِکْری لِلْبَشَرِ »(۹) .

۱- محمّد صلی الله علیه و آله : ۴ .

۲- الفتح : ۱۴ .

۳- الفتح : ۲۵ .

۴- النّجم : ۲۶ .

۵- الحدید : ۲۱ .

۶- الحدید : ۲۹ .

۷- الحشر : ۶ .

۸- الجمعه : ۴ .

۹- المدثّر : ۳۱ .

ص: ۱۵۹

« وَما يَذْكُرُونَ إِلاَّ أنْ يَشاءَ اللّه هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وأَهْلُ الْمَغْفِرَهِ »(۱) .

« يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذابا أَلِيما »(۲) .

والحاصل من جميع هذه الآيات هو عدّه أُمور:

۱ الفضل بيده تعالى ينزل منه ما يشاء على من يشاء.

۲ الرحمه بيده تعالى يختصّ بها من يشاء.

۳ الهدايه بيده تعالى يهدى من يشاء ويضلّ من يشاء.

۴ الرزق بيده تعالى يرزق من يشاء ويقتر الرزق على من يشاء.

۵ العلم والحكمه بيده تعالى يؤتيهما من يشاء ويمنعهما من يشاء.

۶ مضاعفه الحسنات بيده تعالى فيضاعف لمن يشاء.

۷ له أن يعفو عمّن يشاء ويعذّب من يشاء بسبب ذنوبه التى اقترفها بالقدره الوهبيّه الإلهيّه.

۸ له أن يؤيّد بنصره من يشاء.

۹ له أن يجتبى من رسله من يشاء.

۱۰ إنّ أمر التزكيه بيده تعالى فيزكّى من يشاء.

۱۱ الإنفاق بيده تعالى ينفق ما يشاء.

۱۲ إفناء الخلق وإعدامهم بيده تعالى « إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ».

۱۳ الأرض للّه تعالى يورثها من يشاء.

۱۴ الرحمه بيده تعالى فيرحم من يشاء.

۱۵ المحو والإثبات للتقديرات بيده تعالى يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب.

۱۶ الهدايه للنور بيده تعالى « يهدى اللّه لنوره من يشاء ».

۱- المدثّر : ۵۶ .

۲- الإنسان : ۳۱ .

ص: ۱۶۰

۱۷ المطر بیده تعالی « یصیب به من یشاء ».

۱۸ الإسماع والإفهام بیده تعالی « إنّ اللّه یسمع من یشاء ».

۱۹ له أن یهب لمن یشاء ذکوراً ویهب لمن یشاء إناثاً ویجعل من یشاء عقیماً.

۲۰ له أن یأذن فی شفاعه الشافعین.

۲۱ الذکر بیده تعالی « و ما یذکرون إلّا أن یشاء اللّه هو أهل التقوی وأهل المغفره ».

إلی غیر ذلک من الأُمور المهمّه المذکوره فی هذه الآیات المبارکات.

إذا أتقنت ما ذکرناه ، تعرف الأُمور المترتّبه علی هذه المعارف الشامخه . وإلیک بعضها:

الأمر الأوّل: أنّ للّه تعالی الحریّه التامّه فی أن یختار ما یشاء ، فلا حدّ لمختاریّته تعالی ، فإنّه تعالی یختار ما یشاء عن علم وقدره ولا یختار ما لا یشاؤه عن علم وقدره . فالإلتزام بنظام العلیّه والمعلولیّه المذکوره فی کلمات العلماء البشریّین ، هو إثبات للنقص فی الخالق ، جلّت ساحه قدسه عن ذلک.

الأمر الثانی: أنّ اللّه تعالی غیر مجبور فی اختیار نظامٍ واحدٍ ، بل له أن یختار ما یشاء لعدم انحصار الحکمه فی أمر واحد ، فحصر مختار اللّه تعالی فی نظام واحد إنکار لسعه علمه تعالی وسعه حکمته وسعه قدرته .

الأمر الثالث: من تتبع هذه الآیات المبارکات یجد هذا المعنی وهو «أنّ للّه تعالی أن یعامل الخلق بعدله کما أنّ له أن یعاملهم بفضله» فإن هداهم وغفر لهم خطایاهم ورزقهم ورحمهم وتفضّل علیهم وأحسن إلیهم یکون ذلک فضلاً ، وإن عذّبهم بسبب ذنوبهم ومنعهم سیبه وأفناهم وغیر ذلک من الأُمور المذکوره فی الآیات یکون ذلک عین العدل . فالأمر إلیه ، یعامل من یشاء بعدله ، ویعامل من یشاء بفضله.

الأمر الرابع: من عرف الأمر الثالث یبزغ نور الخوف والرجاء فی قلبه ، فیخاف اللّه تعالی لعدله ، ویرجوه لکرمه وجوده .

ص: ۱۶۱

الفصل السابع :

البداء

البـداء لغه بمعنى نشوء الرأى كما فى القاموس «بـدا له فى الأمر بـدوّاً وبـداءً نشأ له فيه رأى» ، وفى المنجد بدا له فى أمر : «خطر له فيه رأى» ولذا لا يكون البداء بمعنى الظهور فى قبال الخفاء ، بل يكون بمعنى حدوث الرأى .

والظاهر من الأدلّه أنّ البـداء هو نشوء الرأى للّه تعالى مطلقاً سواءً كان هـذا الرأى بعد رأى آخر أو كان ابتداءً ، كما يلاحظ ذلك من الخبر الشريف :

جـابر بن يزيـد الجعفى قـال : قـال الإمـام أبو جعفر محمّـد بن علىّ الباقر عليه السـلام : يا جابر ، كان اللّه ولا شـىء غيره ولا معلوم ولا مجهـول . فـأوّل مـا ابتـدأ من خلق خلقه أن خلق محمّـداً صـلى الله عليه و آله وخلقنـا أهـل الـبيت معه من نوره وعظمته . فأوقفنـا أظلّه خضـراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ، يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشـمس ، نسبّح اللّه تعـالى ونقـدّسه ونحمـده ونعبـده حقّ عبـادته ، ثمّ بـدا للّه تعـالى عزّ وجـلّ أن يخلق المكان فخلقه ، وكتب على المكان : لا إله إلاّ اللّه ، محمّد رسول اللّه ، علىّ أميرالموءمنين ووصيّه ، به أيّدته ونصرته ؛ الخبر(۱) .

فإنّ اللّه تعالى بدا له فى خلق المكان بعد أن لم يكن له رأى فى خلقه .

ثمّ إنّ المراد منه فى الأـدلّه هو أنّ للّه تعـالى أن يحـدث له الرأى ابتـداءً بخلق ما لم يكن بوجه من الوجوه ، وذلك بأن يشاءه ويريـده ويقدّره ويقضـيه ويمضـيه كى يقع فى الخارج ، فإنّ ذلك بداءً وابتداءً بلا سـبق مثال وسـبق شيئيّه لما أراده . وله تعالى أن يبدو له فى إحدى تلك المراحل فلا يمضى ما شاءه أو لا يمضيه فى مرحله المشيّه

۱- بحارالأنوار : ۲۵/۱۷ عن كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسىّ .

ص: ۱۶۲

وما بعدها من المراحل ، فليس مشيّه الشيء وإرادته وتقديره وقضاؤه ممّا يجبره على إحداث الشيء خارجاً ، بل له تعالى أن يغيّر ما شاءه وأراده وقدّره وقضاه ما لم يقع فى الخارج ، فإنّه تعالى مبسوط اليدين وقادر على ما يشاء ، فإن شاء تغيير مشيّته الأُولى فعل ، وإن شاء إمضاءها فعل ، لا يسئل عن فعله أبداً .

قال شيخنا الأُستاذ آيه اللّه الميرزا حسن علىّ المروارید قدس سره ما هذا نصّه :

والظاهر أنّ المراد منه (أى من البداء) فى الآيات والرّوايات المباركات أنّ اللّه تعالى وإن خلق الأشياء بمشيّته وإرادته ، وقدّرها إلى يوم القيامه بل قضى بها وكتبها ، ولكنّه مع ذلك لم يفرغ من الأمر ، بل له الرأى والمشيئه فى المحو والإثبات ، والزياده والنقص ، والتقديم والتأخير ، والتغيير والتبديل ، وأنّها ليست عن الجهل ، بل عن علم بما كان كما كان ، وبما يكون كما يكون(۱) .

وأفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه علىّ النمازىّ الشاهرودىّ قدس سره ما هذا نصّه :

ثمّ إنّه تعالى عيّن ما أراد خلقه إلى يوم القيامه بمشيّته وإرادته غير الأزليه وتقديره وقضائه . وكتب جميع ذلك قبل الخلق ، وجعل علم ذلك الكتاب عند رسوله وخلفائه .

وحيث إنّ ذلك كلّه كان برأيه وأمره من غير وجوب ، يكون له الأمر والرأى فى إنفاذ ما أراد وقدّر وقضى ، أو تغييره وتبديله ومحوه وإثباته على ما يشاء قبل كيانه الخارجىّ ، ولذلك كان خلفاوءه يقولون : لولا آيه فى كتاب اللّه لأخبرناكم بما يكون إلى يوم القيامه وهى قوله : « يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِت »(۲) ، كما تقدّم(۳) .

ومعرفه البداء الذى هو آيه عظمه اللّه تعالى تتوقّف على أُمور :

۱- تنبيهات حول المبدأ والمعاد : ۱۹۵ .

۲- الرعد : ۳۹ .

۳- مستدرک سفينه البحار : ۱/۲۹۸ .

ص: ۱۶۳

۱ معرفه علمه والإقرار بسعه علمه تعالی وأنّه عالم إذ لا معلوم ، وعالم بجمیع الأنظمه اللامتناهیه الحکیمه وجمیع الأنظمه غیر الحکیمه .

۲ معرفه قدرته تعالی علی خلق ما یشاء ممّا علمه بالعلم بلا معلوم . نعم إنّه تعالی لا یفعل الفعل غیر الحکیم عن قدره ولذا یمجّد .

۳ معرفه أنّ المعیّن لأحد تلک الأنظمه هو رأیه القدّوس وبدائه .

۴ معرفه أنّ لتحقّق الشیء مراحل بحسب الأخبار فلا یکون شیء فی السماء والأرض إلّا بعد مضیّ هذه المراحل ، فلاحظ الأخبار التالیه :

عن الإمام أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السلام قال : لا یکون شیء فی السماوات ولا فی الأرض إلّا بسبع : بقضاء وقدر وإراده ومشیئه وکتاب وأجل وإذن . فمن زعم غیر هذا ، فقد کذب علی اللّه أو ردّ علی اللّه عزّ وجلّ(۱) .

عن معلّی بن محمّد قال : سئل العالم علیه السلام : کیف علم اللّه ؟

قال : عَلِم وشاء وأراد وقدّر وقضی وأمضی ، فأمضی ما قضی وقضی ما قدّر وقدّر ما أراد . فبعلمه کانت المشیئه ، وبمشیئته کانت الإراده ، وبإرادته کان التّقدیر ، وبتقدیره کان القضاء ، وبقضائه کان الإمضاء . والعلم متقدّم علی المشیئه ، والمشیئه ثانیه ، والإراده ثالثه ، والتقدیر واقع علی القضاء بالإمضاء ، فللّه تبارک وتعالی البداء فیما علم متی شاء وفیما أراد لتقدیر الأشیاء . فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم فی المعلوم قبل کونه ، والمشیئه فی المنشإ قبل عینه ، والإراده فی المراد قبل قیامه ، والتقدیر لهذه المعلومات قبل تفصیلها وتوصیلها عیاناً ووقتاً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدرکات بالحواسّ من ذوی لون وریح ووزن وکیل وما دبّ ودرج من إنس وجنّ وطیر وسباع وغیر ذلک ممّا یدرک بالحواسّ ، فللّه تبارک وتعالی فیه البداء ممّا لا عین له ، فإذا وقع العین المفهوم المدرک فلا بداء . واللّه یفعل ما یشاء ، فبالعلم علم الأشیاء قبل کونها ، وبالمشیئه عرّف صفاتها وحدودها

۱- الکافی : ۱/۱۴۹ .

ص: ۱۶۴

وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإراده میّز أنفسها فی ألوانها وصفاتها ، وبالتقدیر قدّر أقواتها وعرّف أوّلها وآخرها ، وبالقضاء أبان للنّاس أماکنها ودلّهم علیها ، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها وذلک تقدیر العزیز العلیم(۱) .

ولمّا کان لتحقّق الشیء مراحل فلا یقع الشیء خارجاً إلاّ بعد مضیّ هذه المراحل وللّه تعالی البداء قبل وقوع القضاء بالإمضاء ، ففی مرحله المشیّه ، للّه تعالی أن یبدو له ویبدل مشیّته بمشیّه أُخری وفی مرحله الإراده والتقدیر وغیرهما کذلک ، فلا ملزم علی اللّه تعالی فی تحقیق ما شاءه أوّلاً بل له البداء فیما شاء حتّی وإن کان القضاء مبرماً کما ورد فی الدعاء «الدعاء یردّ القضاء وقد أبرم إبراما»(۲) وورد أیضاً «وقضائک المبرم الذی تحجبه بأیسر الدعاء»(۳) فهو تعالی یفعل ما یشاء . وبما أنّ الحکمه غیر منحصره فی تقدیر خاصّ ، یکون فعله حکیماً دائماً لعدم انحصار الحکمه کما عرفت .

نعم ، إذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء لانتفاء موضوعه ، فإنّ الشیء قد تحقّق فی الخارج وبعد ذلک یکون ما شاء أیضاً حیث إنّه تعالی قادر علی إفناء المتحقّق فی الخارج وتبدیله بشیء آخر کما ورد فی الآیه المبارکه « إِن یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَیَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ »(۴) .

لا یقال : أنّ اللّه تعالی عالم بمشیّته ولذا یعلم ما سیحدث فی الخارج أخیراً ولذا لا یکون البداء بمعنی نشوء الرأی ، بل یکون بمعنی الظهور بعد الخفاء .

لأنّه یقال : أنّ علمه تعالی بالشیء قبل کونه کعلمه به بعد کونه ، فتحقّق الشیء وعدمه لا یؤثّر فی علم اللّه تعالی فإنّ العلم غیر المحمول لا یتأثر بالخارج أبداً .

وأمّا العلم المحمول فهو نفس التقدیر والثبت فی قلب المعصوم علیه السلام ، وهذا الثبت یمکن أن یُمحی بمشیّه أُخری ولا ضیر فی ذلک .

۱- الکافی : ۱/۱۴۸ .

۲- بحارالأنوار : ۵۹/۲۲۸ ، طبّ الأئمّه : ۶۸ .

۳- بحارالأنوار : ۹۹/۵۵ .

۴- فاطر : ۱۶ .

ص: ۱۶۵

توضیح المطلب : إنّ الفلاسفه عرّفوا العلم بانطباع صور الأشیاء فی النفس المجرده عن الماده أو قبول النفس تلک الصور ، وقسّموا العلم إلی العلم الحضوریّ والعلم الحصولیّ ، وعرّفوا الحضوریّ بحضور المعلول عند علّته أو وجود المعلوم عند العالم ، ولذا لا یکون العلم عندهم إلّا من الصفات ذوی الإضافه فلا تحقّق للعلم إلّا بوجود المعلوم ، هذا بخلاف ما استفدناه من الأدلّه من أنّ العلم حقیقه نوریّه خارجه عن ذواتنا یفیضه اللّه تعالی علی ذواتنا تاره فتصبح عالمه ، ویقبضها أُخری فترجع النفس إلی جهلها الذاتیّ .

وهذا النور لا یحتاج فی کشفه إلی وجود المعلوم بمعنی أنّه یکشف المعلوم قبل واقعیّته فیکشف الشیء الذی لا تحقّق له بنحو من الأنحاء أن لو کان کیف کان یکون (أی یکشف التقدیریّات مع أنّها لا تحقّق لها بوجه من الوجوه) وکذلک یکشف الأُمور الماضیه مع أنّها قد تصرّمت بتصرّم الزمان ، ویکشف المستقبل مع أنّه لم یأت بعد ، ویکشف العدم المضاف فی ظرف واقعیّته فیکشف کذب لا واقعیّتکم مثلاً ویکشف العدم المضاف فی ظرف واقعیه نقیضه کما فی کشفه کذب وجود المتناقضین ، ولذا یحکم العاقل بامتناع ذلک وکذبه مع أنّ النقیضین لا یجتمعان فی الخارج .

وواضح أنّ الحکم متأخّر رتبه عن العلم وإلّا (أی إن کان العلم لا یکشف إلّا المعلوم) لزم اجتماع النقیضین فی الخارج لتوقّف الحکم بالإمتناع علی الوقوع خارجا ، وهذا بخلاف مذهب الفلاسفه المنکرین للعلم بلا معلوم .

وقد وجّهوا أقوالهم بتوجیهات أبرد من الثلج فقالوا إنّ کشف العلم للمعدوم لیس إلاّ من جهه کون المعدوم له حظّ من الوجود ، فالمعدومات لها حظّ من الوجود ولذا یکشفها العلم ولکن لا یخفی ما فیه ، حیث إنّ الوجود یناقض العدم . فإذا کانت المعدومات موجوده ، فإنّها لا تکون معدومه بالضروره ، فهذا التوجیه أشبه شیء بالتعمیه .

والدلیل علی ما ذکرنا هو الوجدان الشاهد بکون العلم یکشف المعلومات

ص: ۱۶۶

واللامعلومات والموجودات واللاموجودات ، بل لو لا العلم الكاشف للمعلوم قبل تحققّه لما استطاع المهندس أن يبنى البناء لأنّ بناء البنايه يجب أن يستند إلى العلم وإلّا للزم القول بأنّ البنّاء لا علم له بالبناء ، فبناء هذه البنايات الناطحت للسحاب لا يستند إلى العلم لأنّ العلم لا يكشفها إلّا بعد تحققّها ، وهذا ممّا تضحك منه الثكلى !

والحاصل إنّ علم البنّاء القدير بالبناء غير المبنىّ وتقديره البناء على أنحاء مختلفه بل إمكان تبديل خارطه البناء إلى أنحاء متعدّده قبل تحقّق البناء ، خير شاهد على العلم بلا معلوم .

ممّا ذكرنا ينفتح باب فهم البداء . فالمهندس الحاذق يستطيع أن يرسم خرائط متعدّده وقبل أن يشرع بالبناء له أن يبدّل الخارطه إلى أنحاء كثيره فإنّه عالم برسم خرائط متعدّده على حسب سعه علمه إذ إنّه يعلم كيفيّه بناء البيت ذى الطابق الواحد ويعلم كيفيّه بناء العماره ذات الطوابق الكثيره . وقبل شروعه بالبناء ، عليه أن يرسم خارطه البناء ويعيّن علمه بمعلوم وتقدير واحد كى يبنيه . وبعد رسم الخارطه ، له أن يبدلها بأُخرى ، وهكذا إلى أن يقع المعلوم خارجاً فلا بداء حينئذ ، هذا بالنسبه إلى العلم بلا معلوم فى المخلوق وإمكان البداء بالنسبه إلى الإنسان .

وأمّا بالنسبه إلى اللّه تعالى فإنّه عالم لا يجهل ، فعلمه بالمعلومات قبل كونها كعلمه بها بعد كونها ، فوجود المعلوم لا يغيّر علم اللّه تعالى كما أنّ عدمه لا يحدّده ، فإنّه عالم بجميع المخلوقات واللامخلوقات (الذى ليس لها تقرّر فى مكان) بصور غير متناهيه .

وبعباره أخرى : لا يعقل أخذ الزمان فى علمه تعالى فإنّه من أفحش الأغلاط لأنّه محيط بالزّمان والزمانيّات ولا يحيط الزمان به ، ولا تعيّن فى علمه الذاتىّ لأنّ التعيّن بالمشيّه ورتبه العلم متقدّمه عليها كما ورد فى الخبر «لم يزل اللّه عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم»(۱) وفى آخر «كان ربّاً إذ لا مربوب وإلها إذ لا مألوه وعالماً إذ لا معلوم

۱- بحارالأنوار : ۵۴/۱۶۱ ، الكافى : ۱/۱۰۷ .

ص: ۱۶۷

وسمیعاً إذ لا مسموع»(۱) بل إنّه یعلم التقدیریّات أیضاً کما فی قوله تعالی « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ »(۲) ففی البحار «عن الحسین بن بشار عن الإمام أبی الحسن علیّ بن موسی الرضا علیه السلام قال : سألته ؛ أیعلم اللّه الشیء الذی لم یکن أن لو کان کیف کان یکون أو لا یعلم إلّا ما یکون ؟

فقال : إنّ اللّه تعالی هو العالم بالأشیاء قبل کون الأشیاء . قال عزّ وجلّ « إنّا کنّا نستنسخ ما کنتم تعملون »(۳) وقال لأهل النار « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لکاذبون »(۴) فقد علم عزّ وجلّ أنّه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه»(۵) بل إنّه تعالی علم کلّه وقدره کلّه کما فی قول الإمام الباقر علیه السلام «إنّ اللّه نور لا ظلمه فیه وعلم لا جهل فیه وحیاه لا موت فیه»(۶) .

وهذا یدلّ علی أنّه کشف للمعلومات واللامعلومات فی شدّه غیر متناهیه ، بل إنّه تعالی عالم بالمستحیلات کما یلوح من قوله تعالی « لَوْ کَانَ فِیهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا »(۷) ولذا (أی لعلمه بالمعلومات واللامعلومات والکون واللاکون ولعلمه بالتقدیریّات والمستحیلات) لابدّ من أن یکون له الرأی والإراده فی خلق أحد العوالم .

توضیح ذلک : إنّ للّه تعالی علمین : علم محمول وعلم مخزون مکنون کما ورد «عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام أنّه قال : إن للّه عزّ وجلّ علمین علماً مخزوناً مکنوناً لا یعلمه إلّا هو من ذلک یکون البدا ، وعلماً علّمه ملائکته ورسله فالعلماء من أهل بیت نبیک یعلمونه»(۸) .

۱- بحارالأنوار : ۵۴/۱۶۵ ، الکافی : ۱/۱۳۸ .

۲- الأنعام : ۲۸ .

۳- الجاثیه : ۲۹ .

۴- الأنعام : ۲۸ .

۵- بحارالأنوار : ۴/۷۸ ، التوحید : ۱۳۶ .

۶- بحارالأنوار : ۴/۸۴ ، التوحید : ۱۳۸ .

۷- الأنبیاء : ۲۲ .

۸- بحارالأنوار : ۴/۹۵ ، عیون أخبار الرضا علیه السلام : ۱/۱۷۹ .

ص: ۱۶۸

«وعن أمیرالموءمنین علیه السلام : إنّ للّه علمین علم استأثر به فی غیبه فلم یطلع علیه نبیّاً من أنبیائه ولا ملکاً من ملائکته وذلک قول اللّه تعالی « إنّ اللّه عنده علم السّاعه وینزّل الغیث ویعلم ما فی الأرحام وما تدری نفس ما ذا تکسب غداً وما تدری نفس بأیّ أرض تموت »(۱) وله علم قد أطلع علیه ملائکته . فما أطلع علیه ملائکته فقد أطلع علیه محمّداً وآله ، وما أطلع علیه محمّداً وآله فقد أطلعنی علیه . یعلمه الکبیر منّا والصغیر إلی أن تقوم الساعه»(۲) .

والظاهر أنّ العلم المخزون هو علمه الذاتیّ الذی لا تعیّن فیه ولا حدّ له وغیر المحدود بنظام دون نظام ، والعلم المحمول هو العلم الذی حمّله الملائکه والأنبیاء والأئمه صلوات اللّه علیهم . ولابدّ للتعیّن من تعیینه المعلوم بالرأی .

وواضح أنّ علمه الذاتیّ المعبّر عنه بالعلم المکفوف الذی لا نهایه له آب عن التعیّن ، ولذا یکون تعیّن المعلوم بتحمیل العلم قلب الرسول والإمام کما هو ظاهر العباره الوارده فی زیاره سیّدالشهداء علیه السلام : «إراده الربّ فی مقادیر أُموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم»(۳) وکما هو ظاهر قولهم علیهم السلام «إنّ اللّه جعل قلب ولیّه وکراً لإرادته فإذا شاء اللّه شئنا»(۴) وکما یدلّ علیه قول الحجّه علیه السلام «قلوبنا أوعیه لمشیّه اللّه فإذا شاء اللّه شئنا»(۵) فقلوب أهل البیت ألواح لمحو التقدیرات وإثباتها فکلّما أراد اللّه تعالی تعیینه من تلک الأنظمه اللامتناهیه لابدّ له من التعیّن العلمیّ .

والتعیّن یکون بتحمیل الإمام علمه . فتعیین أحد تلک الأنظمه اللامتناهیه یکون بتحمیله الإمام الذی هو الکتاب المبین الذی أحصی اللّه تعالی فیه علم کلّ شیء . وقبل أن یتحقّق الشیء فی الخارج (أی بعد تعیّنه العلمیّ وقبل تحقّقه فی الخارج)

۱- لقمان : ۳۴ .

۲- بحارالأنوار : ۲۶/۱۰۲ ، بصائر الدرجات : ۱۱۱ .

۳- بحارالأنوار : ۹۸/۱۵۳ ، کامل الزیارات : ۲۰۰ .

۴- بحارالأنوار : ۲۶/۲۵۶ ، تفسیر فرات الکوفی : ۵۲۹ .

۵- بحارالأنوار : ۲۵/۳۳۷ ، الغیبه للشیخ الطوسی : ۲۴۶ .

ص: ۱۶۹

للّه تعالی أن یمحو منه ما یشاء ویثبت منه ما یشاء وله أن یمحوه بأجمعه ویثبت شیئاً آخر بدلاً منه . کما أنّ له أن یمضیه . فإذا بدا للّه تعالی فی إبداله أو تقدیمه وتأخیره فعل ذلک بالعلم المکفوف ، ولذا لا یبدو للّه تعالی من جهل ومن زعم ذلک فقد کفر ، لأنّ اللّه تعالی کشف وعیان بذاته لجمیع ما سواه فی عرض واحد سواء ، المقدّر منه أو غیر المقدّر . فإذا بدا له فی شیء ، غیّره بعلمه اللامتناهی وأبدل المقدّر بآخر معلوم بالعلم المکفوف ، ولذا قلنا أنّه تعالی لا یبدو له من جهل .

إن قلت : هل کان یعلم اللّه تعالی أنّ الشیء الکذائی سیقع لا محاله أم لا ؟

قلت : أنّ اللّه تعالی عالم بالأشیاء قبل تحقّقها وعالم بالأنظمه المختلفه الحسنی فی شدّه غیر متناهیه . فإن کان المراد من السوءال أنّه هل یعلم اللّه تعالی المقدّر ؟ قلنا إنّه تعالی یعلم الغیر مقدّر أیضاً . وإن کان المراد من السوءال هل یعلم وقوعه ؟ قلنا مآل ذلک إلی التقدیر ، فإنّ الشیء ما لم یقدّر لم یوجد . فسوءالکم یعود إلی الصوره التالیه : هل قدّر تعالی وقوع الحدث الکذائیّ ؟ والجواب واضح لأنّ اللّه تعالی قدّره ، ولکن له أن یبدّله بتقدیر آخر .

وقد أجاب عن السوءال التالی بعض مشایخنا العظام أعلی اللّه مقامهم بأنّ أخذ الزمان فی علمه غلط واضح ، لأنّه تعالی محیط بالزمان والمکان فلا یصحّ أن یقال بأنّه هل کان یعلم وقوع الشیء خارجاً . ولعلّه استفاد ذلک من قوله علیه السلام «کان اللّه ولا شیء غیره ولم یزل اللّه عالما بما کون فعلمه به قبل کونه کعلمه به بعد ما کونه»(۱) فالزمان لا یوءثّر فی علم اللّه تعالی .

وبعباره أُخری : لابدّ من التفریق بین العلم غیر المحمول والعلم المحمول ، فإنّ الأوّل منهما کشف لما کان وما هو کائن وما لم یکن ، بل هو کشف لجمیع التقدیریّات بشدّه غیر متناهیه فلا حدّ ولا حصر لهذا العلم ، وأمّا الثانی فهو التقدیر بعینه ویمکن أن یتبدّل التقدیر الأوّل بتقدیر ثانٍ فإنّ ذلک لا یضرّ بعلمه تعالی بل هو دلیل علی

۱- بحارالأنوار : ۴/۸۶ ح۲۳ و ۵۴/۱۶۱ ح۹۷ ، التوحید : ۱۴۵ .

ص: ۱۷۰

سعه قدرته ونفوذ أمره وسعه علمه تعالی ، فتأمّل جیّداً .

إن قلت : لماذا لم یقدّر التقدیر الثانی من أوّل الأمر ؟

قلت : لِحِکَم قد تخفی علینا بعضها ولکن لا یخفی أنّ فی ذلک (أی تبدیل التقدیر الأوّل بثانٍ) إظهاراً لسلطانه ومملکته وأنّه تعالی غیر مغلول الید بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء ویعزّ من یشاء ویذلّ من یشاء ویقدّم ما یشاء ویوءخّر ما یشاء ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء ، فیوجب ذلک الخوف والرجاء ، فالجمیع (حتّی أقرب المقرّبین) یقفون بین یدیه موقف العبد الذلیل لأنّ له أن یعزّ منهم من یشاء ویذلّ منهم من یشاء . فالجانی المذنب لا یعدم رجاءه ، والمحسن الموءمن لا یأمن سخطه .

ولعلّ هذا هو السرّ فی بکاء الأئمّه علیهم السلام وتضرّعاتهم العجیبه لأنّهم کانوا یجدون عدم محدودیّه قدرته تعالی ، ولذا ورد فی الخبر بأنّه «ما عظّم اللّه عزّ وجلّ بمثل البداء»(۱) ، ولولا البداء لما بقی للدعاء وجه لأنّه یوءول إلی الفراغ من الأمر وعدم إمکان تبدیله ، فالسعید تبقی سعادته والشقی لا یسعد أبداً ، وهذا مخالف لضروره الأدیان الإلهیّه القائمه علی الدعاء والتضّرع والسوءال من الربّ تعالی .

وقد ورد فی الدعاء «وإن کنت عندک فی أُمّ الکتاب شقیّاً فاجعلنی سعیداً»(۲) أی امح شقاوتی المقدّره واکتب لی السعاده . فتأمّل فی ما ذکرنا کی تنفتح لک آفاق معرفه الربّ تعالی ومعرفه کمالاته .

والحاصل : إنّ من حِکَم البداء وقوف العبد مقام الخائف الراجی وهو الموجب لتزکیه النفس ورفعتها .

ومنها أیضاً الإعتقاد بتأثیر أعماله وأفعاله الإختیاریّه فی سعادته الدنیویّه والأُخرویّه وشقاوتها .

فتحصّل من ذلک إمکان تبدیل التقدیر الأوّل وعدم إخلال ذلک بشیء من

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۷ ، التوحید : ۳۳۳ .

۲- بحارالأنوار : ۸۳/۱۴۶ و ۲۶۷ و ۸۴/۹۹ ، مصباح المتهجّد : ۸۳ .

ص: ۱۷۱

کمالات الربّ تعالی ، بل عدم الإعتقاد بإمکان ذلک یوجب النقص فی کمالات الربّ تعالی لاستلزامه عدم القدره علی تبدیل ما کان وهذا کما تری عین النقص .

نعم ، البداء لا یقع مخالفاً للحکمه أو علی المستحیل إلّا أنّ الحکمه لا تنحصر فی مصداق واحد بل قد یکون لها مصادیق متعدّده وجمیع أفعاله تعالی تدور مدار العدل والفضل کما أنّ المستحیل الواقعیّ لا یقع وهذا واضح ، إلّا أنّه قد یغفل العاقل فیظنّ الممکن مستحیلاً والمستحیل ممکنا ، کما عرفت .

هذا ولابدّ من الإشاره إلی أنّ النسخ یکون من سنخ البداء إلّا أنّه یقع علی الأحکام فینسخ الحکم الأوّل ویبدّل بحکم جدید ، وهذا لا یضرّ بملاکات الأحکام فإنّه کما یکون للحکم الأوّل ملاک کذلک یکون للحکم الثانی أیضا ؛ وبعباره أُخری الحکمه والملاک لا ینحصران فی حکم واحد بل قد یتعدّدان ، ولذا لا ضیر فی الإلتزام بالنسخ حقیقه فی الأحکام .

أفاد شیخنا المحقّق آیه اللّه محمّدباقر الملکیّ قدس سره :

قوله تعالی : «ما ننسخ»

قال فی لسان العرب ۳/۶۱ : النسخ : إبطال الشیء وإقامه آخر مقامه ... ابن الأعرابی : النسخ تبدیل الشیء من الشیء وهو غیره . ونسخ الآیه بالآیه : إزاله مثل حکمها . والنسخ : نقل الشیء من مکان إلی مکان وهو هو ... الفراء وأبو سعید : مسخه اللّه قردا ونسخه قردا بمعنی واحد .

أقول : کلّ واحد من المعانی المذکوره قد استعمل فیها لفظ النسخ ولا یهمّنا تحقیق أنّ ذلک بحسب الوضع أو بضرب من العنایه .

والظاهر أنّ الأصل المأخوذ فی الموارد المذکوره کلّها من المعانی اللّغویّه واتّسع استعمال اللّفظ فیها بالعنایه المأخوذه فی الموضوع له ، فعلی عهده الفقیه تعیین المعنی المراد فی کلّ واحد من الموارد

ص: ۱۷۲

بحسب القرائن . قال تعالی :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِکَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِیٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَینسَخُ اللَّهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ »(۱) .

و « هذَا کِتَابُنَا یَنطِقُ عَلَیْکُم بِالْحَقِّ إِنَّا کُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا کُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(۲) .

و « وَلَمَّا سَکَتَ عَن مُوسَی الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِی نُسْخَتِهَا هُدیً وَرَحْمَهٌ لِّلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ »(۳) .

قوله تعالی : «من آیه» أی : من علامه . والآیه مطلقه تشمل کلّ ما یصدق علیه العلامه سواء کانت تشریعیّهً أو تکوینیّهً ، فالتشریعیّه مثل الآیه الدالّه علی حکم من الأحکام فتکون حاکیه عن جعله وثبوته ، والتکوینیّه مثل ما یدلّ علی وجود الصانع أو علی شیء من نعوته وأسمائه جلّ ثناؤه من الأعیان .

ویظهر من آلاء الرحمن : ۱۱۴ ، أنّ المراد من الآیه فی المقام هو ما فی الکتب الإلهیّه السابقه لإطلاق الآیه والآیات علیها فی عدّه من آیات القرآن الکریم ، قال تعالی : « لَیْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ أُمَّهٌ قَائِمَهٌ یَتْلُونَ آیَاتِ اللّهِ آنَاءَ اللَّیْلِ وَهُمْ یَسْجُدُونَ »(۴) وغیرها من الآیات .

أقول : إطلاق الآیه والآیات علی تلک الکتب لا یوجب تقیید الآیه بها ولا انحصارها فیها . ولعلّ منشأ هذا أنّه زعم جواز نسخ حکم من أحکام الشرائع السابقه بالقرآن وعدم جواز نسخ شیء من أحکام القرآن بالقرآن . ولا دلیل علی هذا ، فإنّ الدّین الّذی اختاره وارتضاه سبحانه لأنبیائه هو الإسلام . قال تعالی :

۱- الحجّ : ۵۲ .

۲- الجاثیه : ۲۹ .

۳- الأعراف : ۱۵۴ .

۴- آل عمران : ۱۱۳ .

ص: ۱۷۳

« لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »(۱) .

و « إِنَّ الـدِّينَ عِنـدَ اللّه ِ الإِسْـلَامُ وَمَـا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْـدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّه ِ فَإِنَّ اللّه َ سَرِيعُ الحِسَابِ »(۲) .

فالدّين الذى جاء به الأنبياء الكرام واحد ، غير أنّ اللّه سبحانه جعل لكلّ واحدٍ من أنبيائه شرعه ومنهاجا . قال تعالى :

« لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا »(۳) .

فليس نسخ حكم فى الشـريعه السابقه بشـىء من أحكام الشـريعه اللّاحقه إلّا كنسخ حكم فى الشريعه الواحده بشىء من تلك الشريعه بعينها .

قوله تعالى : «أو ننسها»

أقول : هـذا عطف على قوله : «ننسـخ» ومجزوم بما جزم به المعطوف عليه . وهو من باب الإفعال بمعنى الإذهاب من الـذكر والحفظ ، وإنساء الآيه إذهابها من الذكر وجعلها نسيا منسيّا بين الناس بحيث لا يذكرها ولا يعرفها أحد من الناس .

وليس فى الآيه الكريمه ما يدلّ على إنسائه تعالى شيئا من آياته عن ذكر النبىّ وحفظه ، وليس سـياق الآيه الكريمه فى بيان شـىء من ذلك ، وإنّما الظاهر منها بيان مالكيّته تعالى ملكا تكوينيّا وتشـريعيّا على الإطلاق ونفوذ قـدرته وسـلطانه فيما يملكه ويتصـرّفه ويحكم بما يشاء ويريد ، طبق الحكمه البالغه والتدبير العلمى على ما سيأتى توضيحه فى ذيل الآيه إن شاء اللّه . هذا أوّلاً ؛

وثانيا ، إنّ هذه الآيه الكريمه فى سوره البقره وهى مدنيّه . وقوله

۱- البقره : ۱۳۶ .

۲- آل عمران : ۱۹ .

۳- المائده : ۴۸ .

ص: ۱۷۴

تعالی : « سَنُقْرِئُکَ فَلَا تَنسَی ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا یَخْفَی ، وَنُیَسِّرُکَ لِلْیُسْرَی »(۱) ، فی سوره الأعلی وهی نازله بمکّه فی أوائل أمره صلی الله علیه و آله ، وهذا صریح فی أنّ قراءته صلی الله علیه و آله إنّما هی باللّه وبفعله تعالی وبعنایته الخاصّه به صلی الله علیه و آله وهو بقرینه قوله تعالی : «لا تنسی» الّذی هو صریح فی نفی النسیان عنه صلی الله علیه و آله علی نحو الإستمرار والدوام ، یدلّ علی إفاضته تعالی العلم بالقراءه وبذکرها وحفظها إلیه صلی الله علیه و آله .

فإن قلت : فما تقول فی الإستثناء بقوله : «إلّا ما شاء اللّه» أی : إلّا ما شاء اللّه أن لا یقرئه تعالی وینسی ؟

قلت : الآیه الکریمه فی سیاق الإمتنان والحنان علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله والإستثناء بالوجه المذکور خلاف صریح السیاق . وصریح فی تنزیل الأمر منزله الأمور العادیه وتنزیل شخص رسول اللّه صلی الله علیه و آله منزله الأشخاص العادیه ، بل العنایه فی هذا الإستثناء هو أنّه سبحانه لیس مغلول الید ، وأنّ کرامته تعالی علی رسوله کانت قبل مرتبه العطاء أو فی مرتبه فعلیّه العطاء ، لیست علی نحو الإیجاب علیه تعالی بل هی تفضّل منه تعالی علیه صلی الله علیه و آله .

فإن قلت : إنّ أقصی ما تدلّ علیه هذه الآیه من عصمته صلی الله علیه و آله عن النسیان ، إنّما هو بعد نزول سوره الأعلی فلا تشمل قبل نزولها .

قلت : کلّا ، إنّ الآیه الکریمه لیست فی مقام الإخبار عمّا یفعل علی رسوله من الکرامه فی المستقبل . ولیست أیضا فی مقام المیعاد له صلی الله علیه و آله من صیانته وعصمته بإفاضته تعالی العلم الذی عبّر عنه بروح القدس علیه صلی الله علیه و آله وبیان تیسیره للیسری . وواضح أنّ الأفعال المذکوره فی مرحله الإمتنان سواء کانت بلفظ الماضی أو المضارع یراد بها تحقّق

۱- الأعلی : ۶ ۸ .

ص: ۱۷۵

الفعل من غیر تقیید بالزّمان وجریانه علی نحو الإستمرار والدوام ، فالماضی مثل قوله تعالی :

« إِذْ قَالَ اللَّهُ یَاعِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَعَلَی وَالِدَتِکَ إِذْ أَیَّدتُّکَ بِرُوحِ الْقُدُسِ »(۱) .

والمضارع مثل قوله تعالی :

« اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَی النُّورِ وَالَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُمَاتِ »(۲) .

و « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِیما »(۳) .

وحیث إنّ الفعل المذکور فی مقام الإمتنان ، یراد به تحقّق الفعل فقط من دون عنایه إلی الزمان ، فإذا دخلت علیه السین تفید تأکید هذا المعنی .

هذا کلّه علی قراءه «نُنْسِها» من باب الإفعال من نَسِیَ یَنْسَی وأمّا علی قراءه «نَنْسَأْهَا» بإثبات الهمزه فی آخرها ، کما قال فی التبیان ۱/۳۹۲ : «وقرأ ابن کثیر وأبو عمرو «نَنْسَأْها» بفتح النون والسین إثبات الهمزه الساکنه بعد السین » فمعناها التأخیر أی : تأخیر الآیه المنسوخه عن الوقت المضروب له قلیلاً أو کثیرا ثمّ إذا شاء نسخه .

قد تحصّل من جمیع ما ذکرنا أنّ الآیه الکریمه مطلقه تشمل جمیع ما تمسّ علیه ید الخلقه والجعل من الأعیان والآیات التکوینیّه أو الأحکام التشریعیّه المجعوله . وکذلک مطلقه بالنسبه إلی الآیات المنسیّه سواء کانت المنسیّه تکوینیّهً أو تشریعیّه .

۱- المائده : ۱۱۰ .

۲- البقره : ۲۵۷ .

۳- الأحزاب : ۵۶ .

ص: ۱۷۶

وقوله تعالی : «نأت بخیر منها أو مثلها» جواب للشرط المذکور فی صدر الآیه ومجزوم بما جزم به الشرط .

قال ابن هشام فی المغنی ۱/۳۹۸ فی البحث عن معانی ما : النوع الثانی ، الشرطیّه وهی نوعان : غیر زمانیّه ، نحو : « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللّهُ »(۱) و « ما ننسخ من آیه ... » .

فالمعنی : نأتی بشیء خیر فی الحکمه والمصلحه من المنسوخ والمنسیّ أو نأتی بشیء خیر من جنس المنسوخ ومن سنخه بناءً علی تجرید أفعل من التفاضل .

وقوله تعالی : « أو مثلها » : أی ما تشابه المنسوخ والمنسیّ ویساویهما فی الحکمه والمصلحه .

ولا یخفی أنّ ما ذکرنا من الإطلاق ، إطلاق بدلی . أی : من الآیات ما یجوز ویمکن أن یکون منسوخا أو منسیّا . وهذا الإطلاق فی معرض التقیید لأنّ من آیاته ، ما لا یجزی فیه النسخ والنسیان مثل الأحکام الثابته ؛ کوجوب التقوی وتحریم الفجور . فعلی عُهده المفسّر والفقیه ، الفحص والطلب عن المخصّصات والمقیّدات المتّصله والمنفصله والتفقّه فیها من الکتاب والسنّه وکذلک المقیّدات العقلیّه والتدبّر والتأمّل فیها .

ثمّ إنّه لا دلیل ولا ظهور فی الآیه الکریمه علی کون الناسخ فی طول المنسوخ والمنسیّ ومقیّدا بزمان بعد زمان المنسوخ ومشروطا لنسخه ، بل الآیه الکریمه مطلقه من هذا الحیث أیضا .

ومن الممکن بحسب الواقع والثبوت أن تکون للآیه المنسوخه والمنسیّه أمثال ونظائر فی عرضها أیضا متساویا بعضها فی الحکمه

۱- البقره : ۱۹۷ .

ص: ۱۷۷

والمصلحه مع بعض آخر ، فله تعالی أن یأتی بواحده أخری بعد رفع الأولی . والکلام فی تخصیص کلّ منها بزمان دون زمان مثل الکلام فی اختیار الأمور المترجّحه المتساویه ، ولا دلیل علی انحصار المثل بأن یکون فی طول المنسوخ منحصرا بفرد واحد ، فالمعتمد فی ذلک هو ظهور الآیه وإطلاقها .

ثمّ إنّه لا دلیل علی أنّ هذا التبدیل والتحویل والإتیان بالخیر والمثل بدل المنسوخ والمنسیّ مستند إلی المشیئه الأزلیّه کی یکون الإتیان بالمثل إظهارا وإبرازا لزوال المنسوخ والمنسیّ وانمحاءً بانتهاء أمدها ، لأنّه علی هذا لا یکون الإتیان بالناسخ شروعا وابتداءً فی الناسخ بدل المنسوخ والمنسیّ بل یکون إیجادا لما کان ثابتا فی الأزل بالمشیئه الأزلیّه . فعلی هذا لا یکون النسخ بمعنی التغییر والإزاله والإبطال بل یکون معناه إظهارا لزوال عین أو حکم ، وکذلک لا یکون هناک إتیان شیء لم یکن ، بل هو إیجاد لما کان ثابتا فی الأزل ، وهذا عین الإلتزام بمقاله الیهود .

فإن قلت : إنّ المقطوع من الکتاب والسنّه أنّ الحوادث الجاریه فی العالم کلّها لابدّ أن تکون عن تقدیر سابق .

قلت : نعم ، لابدّ فی کلّ حادثه من مشیئه وإراده وقدر وقضاءٍ سابق ، إلّا أنّ المقطوع من الکتاب والسنّه أنّ هذه الحقائق کلّها حادثه بالحدوث الحقیقیّ لم یکن بوجهٍ ثمّ کان ، فالنسخ المسبوق بها لا یکون إلّا حادثاً بالحقیقه لأنّه جارٍ عن مشیئه وإراده وقدر وقضاءٍ حادث مملوک للّه سبحانه بالمالکیّه الذاتیّه ، فیشاء سبحانه من جهه أنّه مالک لمشیئته ، وهکذا فی إرادته وقدره وقضائه .

قوله تعالی : « ألم تعلم أنّ اللّه علی کلّ شیء قدیر » .

ص: ۱۷۸

أقول : الإستفهام تقریریّ . وواضح أنّ الجواب إقرار وإثبات أی : نعلم ونشهد علی أنّه تعالی علی کلّ شیء قدیر . وهذه الجمله المبارکه فی مرحله التعلیل لما تقدّم فی صدر الآیه من جواز نسخ آیه وإذهابها أو تأخیرها عن الوقت المضروب علیها وإتیان آیه خیر من المنسوخه والمنسیّه أو مثلها . وهذه الجمله تقریر لسعه اقتداره تعالی علی التبدیل والتحویل بإزاله آیه ومحوها وإثبات آیه أخری مکانها .

وفیها احتجاج علی إبطال قول الیهود : إنّ الحوادث تجری طبق النظام المقدّر المقضیّ فی الأزل ، ولیس المراد إلاّ ـ إجراء ما کان مکتوبا فی الأزل طبق ما کتب لا یقدر علی تحویل شیء ممّا فی هذا الکتاب ولا یقدر علی کتابه جدیده لم تکتب فی الکتاب الأزلی .

قوله تعالی : « ألم تعلم أنّ اللّه له ملک السّماوات والأرض » .

هذا تعلیل آخر لما تقدّم فی صدر الآیه الکریمه من جواز إزاله آیه وإثبات آیه أخری مکانها . والفرق بین هذا وسابقه ، أنّ السابق لبیان سعه اقتداره تکوینا علی تبدیل آیه مکان آیه سواء کانت تکوینیّه أو تشریعیّه واستحاله أن یمتنع علیه تعالی شیء من ذلک بخلاف هذا ، فإنّ هذا تذکره وتثبیت لشمول مالکیّته تعالی لکلّ شیء ملکا حقیقیّا ذاتیّا تشریعیّا وتکوینیّا ولیس تصرّفه سبحانه فی جمیع السماوات والأرض وما فیها ومن فیها إلاّ ـ تصرّف ذی حقّ فی حقّه ، فیفعل تعالی ما یشاء ویحکم ما یرید فی نظام التکوین والتشریع طبق المصلحه والحکمه.

وقوله تعالی : « ما لکم من دون اللّه من ولیّ ولا نصیر » .

بمنزله التقریع علی عموم قدرته وملکه تعالی وشمولها لجمیع من سواه وما سواه سبحانه . والظاهر أنّ المراد من الولیّ والنصیر ، من له

ص: ۱۷۹

الولایه الحقّه تکوینا وتشریعا فی القیام بأمرهم وإصلاح شؤونهم فی دینهم ودنیاهم وینصرهم علی ذلک .

والخطاب فی قوله : « ألم تعلم أنّ اللّه ... » و « ألم تعلم أنّ اللّه له ملک ... » و «ما لکم من دون اللّه ... » لیس خطابا مولویّا کی یسأل عن وجه تخصیص الخطاب فی الأوّلین برسول اللّه صلی الله علیه و آله وعن وجه تعمیمه بالمؤمنین بالثالث ، فإنّ الخطاب فی الموارد الثلاثه للتنبیه والتذکیر بحقیقه تکوینیّه ، إلّا أنّ فی الأوّلین تشریفا خاصّا برسول اللّه صلی الله علیه و آله حیث جعله صلی الله علیه و آله شاهدا علی سعه اقتداره وشمول ملکه علی کلّ شیء ، وشاهدا علی بطلان مقاله الیهود ومن یتبعهم . وفی الخطاب إبراز العطوفه والحنان علیهم بأنّه ولیّهم وناصرهم(۱) .

أقول : ومن ذلک یظهر ما فی کلام المحقّق الخوئیّ قدس سره من أنّ المراد من النسخ هو انتهاء أمد الحکم بحیث لا تکون مصلحه بعد انتهائه ، فالحکم مقیّد بزمن خاصّ وهو معلوم للّه تعالی ومجهول للناس ولا یکون ارتفاعه إلّا بعد ذلک الزمان لحلول أجله الواقعیّ الذی أنیط به ولذا لا یکون المراد من النسخ رفع الحکم الثابت فی الواقع ، فالخصوصیّات کالزمان دخیله فی استمرار الحکم وعدمه هذا بحسب مقام الثبوت وأمّا بحسب مقام الإثبات فیکون الناسخ بمنزله الخاصّ المنفصل الکاشف لعدم الإراده الجدیّه لاستمرار الحکم لما بعد انتهاء زمنه وبهذا الکلام سعی قدس سره لرفع الشبهه التی أوردها الیهود علی القول بالنسخ(۲) . والوجه فی ذلک هو أنّ المصلحه لا تنحصر فی أمر واحد ، بل قد یکون للشیء الواحد مصالح متعدّده فی عرض سواء فله تعالی الاتیان بواحده بعد رفع الأولی فلا یکون الناسخ فی طول المنسوخ ومقیّداً بزمان بعد زمانه ، فلیس النسخ بمعنی رفع أمر ثابت فی الشریعه بارتفاع أمده وزمانه .

۱- مناهج البیان : ۱/۳۰۰ ۳۰۶ .

۲- محاضرات فی أصول الفقه : ۴/۴۹۴ ۴۹۵ .

ص: ۱۸۰

ص: ۱۸۱

أدلّه البداء فی الآیات

الآیه الأُولی :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِکَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجا وَذُرِّیَّهً وَمَا کَانَ لِرَسُولٍ أَن یَأْتِیَ بِآیَهٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتَابٌ ، یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَابِ »(۱) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال فی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت »قال : فقال : وهل یُمحی إلاّ ما کان ثابتاً وهل یثبت إلاّ ما لم یکن(۲) .

عن جمیل بن دراج عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام فی قوله « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » قال : هل یثبت إلاّ ما لم یکن وهل یمحو إلاّ ما کان(۳) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام : یا ذا المنّ لا منّ علیک ، یا ذا الطول لا إله إلاّ أنت ، ظهر اللاّجئین ، ومأمن الخائفین ، وجار المستجیرین ، إن کان عندک فی أمّ الکتاب أنّی شقیّ أو محروم أو مقتّر علیّ رزقی فامح من أمّ الکتاب شقائی وحرمانی وإقتار رزقی ، واکتبنی عندک سعیداً موفّقاً للخیر موسّعاً علیّ رزقک فإنّک قلت فی کتابک المنزل علی نبیّک المرسل صلواتک علیه وآله « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » وقلت « ورحمتی وسعت کلّ شیء »(۴) وأنا شیء فلتسعنی رحمتک یا أرحم الرّاحمین وصلّی اللّه علی محمّد وآل محمّد ، وادع بما بدا لک . فإذا فرغت من الدّعاء فاسجد وقل فی سجودک : اللّهمّ أغننی بالعلم وزیّنّی بالحلم وکرّمنی بالتّقوی وجمّلنی بالعافیه یا ولیّ

۱- الرّعد : ۳۸ و ۳۹ .

۲- الکافی : ۱/۱۴۶ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ح۵۳ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۶ .

۴- الأعراف : ۱۵۶ .

ص: ۱۸۲

العافیه عفوک عفوک من النّار(۱) .

قال أبو هاشم الجعفری : سأل محمد بن صالح الأرمنی الإمام أبا محمّد علیه السلام عن قوله تعالی : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » فقال : هل یمحو إلّا ما کان وهل یثبت إلّا ما لم یکن .

فقلت فی نفسی : هذا خلاف قول هشام بن الحکم إنّه لا یعلم بالشیء حتّی یکون .

فنظر إلیّ فقال : تعالی الجبّار الحاکم العالم بالأشیاء قبل کونها .

قلت : أشهد أنّک حجه اللّه(۲) .

أقول : یظهر من هذه الأخبار أنّ المحو یکون حقیقیّاً فإنّه تعالی یمحو ما کان مثبتاً حقیقه ویبدله بمشیّه جدیده لم تکن سابقاً ، ولذا لا تتلاءم هذه الأدلّه مع کون البداء بمعنی «الإبداء» فإنّ ذلک هو إظهار ما خفی ، لا نشوء الرأی الذی هو ظاهر هذه الأدلّه .

عن أمیر الموءمنین علیه السلام أنّه قال : لو لا آیه فی کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان وبما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه ، وهی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۳) .

الظاهر أنّ عدم الإنباء بما یکون إلی یوم القیامه إنّما هو لأجل إمکان تغییر ما کان مقدّراً ، وإلّا فإنّ الإمام علیه السلام یعلم المقدّرات بإذن اللّه تعالی .

عن الإمام أبی الحسن الرضا علیه السلام قال : قال علیّ بن الحسین وعلیّ بن أبی طالب قبله ومحمّد بن علیّ وجعفر بن محمّد علیه السلام : کیف لنا بالحدیث مع هذه الآیه « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » . فأمّا من قال بأنّ اللّه تعالی لا یعلم الشیء إلّا بعد کونه ، فقد کفر وخرج عن التوحید(۴) .

۱- تهذیب الأحکام : ۵/۷۲ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۹۰ ، الخرائج والجرائح : ۲/۶۸۹ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۹۷ ، التوحید : ۳۰۴ ، الإحتجاج : ۱/۲۵۸ .

۴- بحارالأنوار : ۴/۱۱۵ ، الغیبه للشیخ الطوسیّ : ۴۳۰ .

ص: ۱۸۳

الظاهر أنّ الوجه فی عدم التحدیث هو إمکان محو ما کان مثبتاً فی قلوبهم الطاهره وإثبات ما لم یکن ، فإنّه تعالی کلّ یوم هو فی شأن .

نعم ، من الأُمور ما یکون محتوماً ولا تغییر فیه لا لأجل عدم إمکانه ، بل لأجل بعض الحکم والمصالح .

ثمّ إنّ الإمام علیه السلام بیّن بأنّ علمه تعالی سابق للمعلوم ولیس العلم بعد وجود المعلوم ، فإنّ القائل بثبوت العلم للّه تعالی بعد وجود المعلوم لا قبله ، کافر إذ کلامه یستلزم انفصال العلم عنه تعالی فإنّه تعالی علم کلّه وعالم بجمیع التقدیریّات أزلاً أبداً ، وعموم هذا الکلام أعنی علمه تعالی للمعلوم قبل کونه یدلّ علی أنّ البداء لا یکون عن جهل . وسیأتی توضیح ذلک إن شاء اللّه تعالی .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام قال : کان علیّ بن الحسین علیه السلام یقول : لو لا آیه فی کتاب اللّه لحدّثتکم بما یکون إلی یوم القیامه .

فقلت : أیّه آیه ؟

قال علیه السلام : قول اللّه « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۱) .

عن الأصبغ بن نباته قال : لمّا جلس علیّ علیه السلام فی الخلافه وبایعه الناس ، خرج إلی المسجد متعمّماً بعمامه رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، لابساً برده رسول اللّه ، متنعّلاً نعل رسول اللّه ، متقلّداً سیف رسول اللّه ، فصعد المنبر فجلس علیه متمکّناً ، ثمّ شبک بین أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثمّ قال : یا معاشر الناس ، سلونی قبل أن تفقدونی ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله ، هذا ما زقّنی رسول اللّه صلی الله علیه و آله زقّاً زقّاً . سلونی ، فإنّ عندی علم الأولین والآخرین أما واللّه لو ثُنّیت لی وساده فجلست علیها ، لأفتیت أهل التوراه

بتوراتهم حتّی تنطق التوراه فتقول صدق علیّ ما کذب لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ ، وأفتیت أهل الإنجیل بإنجیلهم حتّی ینطق الإنجیل فیقول صدق علیّ ما کذب لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ ، وأفتیت أهل القرآن بقرآنهم حتّی ینطق القرآن فیقول صدق علیّ ما

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۵ .

ص: ۱۸۴

کذب لقد أفتاکم بما أنزل اللّه فیّ ، وأنتم تتلون القرآن لیلاً ونهاراً ، فهل فیکم أحد یعلم ما نزل فیه ، ولولا آیه فی کتاب اللّه عزّ وجلّ لأخبرتکم بما کان وما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه ، وهی هذه الآیه : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » ؛ الخطبه(۱) .

عن العلاء عن محمّد قال : سئل أبو جعفر علیه السلام عن لیله القدر ، فقال : تنزل فیها الملائکه والکتبه إلی سماء الدنیا فیکتبون ما هو کائن فی أمر السنه وما یصیب العباد فیها ، قال وأمر موقوف للّه تعالی فیه المشیئه یقدّم منه ما یشاء ویوءخر ما یشاء ، وهو قوله تعالی « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۲) .

أقول : یظهر من هذا الخبر الشریف أنّ الملائکه تنزل الی سماء الدنیا فتکتب ما هو کائن فی أمر السنه أی ما یُکتب لهذه السنه وأنّها سنه مطر وهطل أو سنه جفاف وجدب مثلاً وکذا تکتب ما یصیب العباد ، إلّا أن فی هذه المکتوبات أُموراً موقوفه للّه تعالی فله أن یوءخّر منها ما شاء وله أن یقدّم منها ما شاء کتقدیم أجل زید لقطعه الرحم ، أو إنسائه وتأخیره لصلته الرحم فلیست جمیع الأُمور من المحتومات بل منها ما یکون موقوفاً علی مشیّه اللّه تعالی .

ثمّ اعلم أنّ عدم التغییر فی غیر الموقوف لیس لأجل عدم إمکانه بمعنی خروجه عن قدره اللّه تعالی ، کیف واللّه تعالی علی کلّ شیء قدیر ، بل عدم تغییره لأجل بعض الحِکَم والمصالح کاستلزام التغییر لخلف الوعد إن کان منجّزاً أو القبیح کالظلم ، وهکذا ، فلا تغفل .

عن أبی حمزه الثمالی عن الإمام أبی جعفر الباقر علیه السلام : إن اللّه عزّ وجلّ عرض علی آدم أسماء الأنبیاء وأعمارهم ، قال : فمرّ بآدم اسم داود النبی ، فإذا عمره فی العالم أربعون سنه .

۱- بحارالأنوار : ۱۰/۱۱۷ ، الأمالی للشیخ الصدوق : ۳۴۱ ، التوحید : ۳۰۴ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۰۲ ، الأمالی للشیخ الطوسی : ۶۰ .

ص: ۱۸۵

فقال آدم : یا ربّ ، ما أقلّ عمر داود وما أکثر عمری . یا ربّ ، إن أنا زدت داود من عمری ثلاثین سنه أتثبت ذلک له ؟

قال نعم یا آدم .

قال : فإنّی قد زدته من عمری ثلاثین سنه فأنفِذْ ذلک له وأثبِتْها له عندک واطرحها من عمری .

قال أبو جعفر علیه السلام : فأثبت اللّه عزّ وجلّ لداود فی عمره ثلاثین سنه وکانت له عند اللّه مثبته فذلک قول اللّه عزّ وجلّ : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » ، قال : فمحا اللّه ما کان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم یکن عنده مثبتاً . قال فمضی عمر آدم فهبط ملک الموت لقبض روحه . فقال له آدم : یا ملک الموت إنّه قد بقی من عمری ثلاثون سنه .

فقال له ملک الموت : یا آدم ألم تجعلها لابنک داود النبیّ وطرحتها من عمرک حین عرض علیک أسماء الأنبیاء من ذریّتک وقد عرضت علیک أعمارهم وأنت یومئذ بوادی الدخیاء ؟

قال : فقال له آدم : ما أذکر هذا .

قال : فقال له ملک الموت : یا آدم لا تجحد ، ألم تسأل اللّه عزّ وجلّ أن یثبتها لداود ویمحوها من عمرک ، فأثبتها لداود فی الزبور ومحاها من عمرک فی الذکر ؟

قال آدم : حتّی أعلم ذلک .

قال أبو جعفر علیه السلام : وکان آدم صادقاً لم یذکر ولم یجحد ، فمن ذلک الیوم أمر اللّه تبارک وتعالی العباد أن یکتبوا بینهم إذا تداینوا وتعاملوا إلی أجل مسمّی لنسیان آدم وجحوده ما جعل علی نفسه(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف صریح فی تغییر التقدیر الأوّل حقیقه وهذا هو المراد من البداء الوارد فی الأدلّه ، فإنّ آدم علیه السلام وهب لابنه داود بعض عمره وأثبت اللّه تعالی

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۲ ، علل الشرائع : ۲/۵۵۳ .

ص: ۱۸۶

ذلک لـداود ونقص من عمر آدم علیه السـلام . وقـد اسـتدلّ الإمام الباقر علیه السـلام بهذه القضـیّه علی معنی البداء وأنّه تغییر للتقدیر السابق حقیقه ولیس إبداءً وإظهاراً لتقدیر مخفیّ عن الخلائق .

عن الإمام أبی عبـد اللّه علیه السـلام أنّه قال فی قول اللّه عزّ وجلّ : « وقالت الیهود ید اللّه مغلوله » ، لم یعنوا أنّه هکذا ولکنّهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا یزیـد ولا ینقص ، فقال اللّه جلّ جلاله تکـذیباً لقولهم : « غلّت أیـدیهم ولعنوا بما قالوا بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء » ألم تسمع اللّه عزّ وجلّ یقول : « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب »(۱) .

أقول : اسـتدلّ الإمام علیه السـلام علی بسط ید اللّه تعالی فی التقدیرات بقوله تعالی « یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَابِ »(۲) فـإنّه تعـالی مبسوط الیـدین لاـ یلجئه أمر إلی اختیار أحـد الطرفین دون الآخر ، فله أن یمضـی فی البریّه عـدله کما له أن یترحّم علیهم ویستعمل فیهم ید الفضل کما ستعرف إن شاء اللّه تعالی ذلک عند التعرّض للمراد من «الیدان» فی الآیه المبارکه .

عن الإمام أبی عبـد اللّه علیه السـلام فی هذه الآیه « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت » قال : فقال : وهل یمحو اللّه ما کان وهل یثبت إلّا ما لم یکن(۳) .

عن أبی حمزه الثمالی قال : قلت للإمام أبی جعفر علیه السـلام : إنّ علیّاً علیه السلام کان یقول إلی السبعین بلاء وکان یقول بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نر رخاء .

فقـال أبو جعفر علیه السـلام : یـا ثابت ، إنّ اللّه تعالی کان وقّت هـذا الأمر فی السـبعین ، فلمّا قتل الحسـین اشـتدّ غضب اللّه علی أهل الأرض فأخّره إلی أربعین ومائه سـنه ، فحدّثناکم فأذعتم الحدیث وکشفتم قناع السرّ ، فأخّره اللّه ولم یجعل له بعد ذلک وقتاً عندنا و « یمحوا اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أمّ الکتاب » .

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۴ ، التوحید : ۱۶۷ ، معانی الأخبار : ۱۸ .

۲- الرّعد : ۳۹ .

۳- بحارالأنوار : ۴/۱۰۸ ، التوحید : ۳۳۳ .

ص: ۱۸۷

قال أبو حمزه : وقلت ذلک لأبی عبد اللّه علیه السلام ، فقال : قد کان ذلک(۱) .

بیان : لعلّ المراد من السبعین هو سنه سبعین للهجره وقد جعل اللّه بعد تلک السنه الفرج للشیعه ، ولکن لمّا قتل سید الشهداء علیه السلام أنسأ اللّه زمن الفرج ، وبعدما أذاع الشیعه السرّ ،

ص: ۲۳۱

قال اللّه تعالی : « یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ »(۱) .

وقال تعالی : « وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِینَکُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَی هُدَی اللّهِ أَن یُؤْتَی أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِیتُمْ أَوْ یُحَاجُّوکُمْ عِندَ رَبِّکُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَن یَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِیمٌ »(۲) .

وقال تعالی : « لِئَلَّا یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتَابِ أَلَّا یَقْدِرُونَ عَلَی شَیءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِیَدِ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَن یَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ ».(۳) .

وقال تعالی : « یُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیَاهِ الدُّنْیَا وَفِی الْآخِرَهِ وَیُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِینَ وَیَفْعَلُ اللَّهُ مَا یَشَاءُ »(۴).

أدلّه البداء فی الأخبار

اشاره

أمّا الأخبار الوارده فی مسأله البداء بالمعنی الّذی ذکرناه نشوء الرأی فهی فوق التواتر ، وقد مضی بعضها فی تفسیر الآیات ومرّ شرحها وبیانها ، ونشیر إلی بعضها الآخر . ومن أراد الإستقصاء فعلیه التتبع التّام مع الدقّه فی مفادها .

عن سلیمان الطلحی قال : قلت للإمام أبی جعفر علیه السلام أخبرنی عمّا أخبرت به الرسل عن ربّها وأنهت ذلک إلی قومها أ یکون للّه البداء فیه ؟

قال : أما إنّی لا أقول لک إنّه یفعل ولکن إن شاء فعل .(۵)

أقول : لعلّ الراوی ظنّ أنّه لا بدّ من البداء له فأجابه الإمام علیه السلام أنّ ذلک إلی مشیّته إن شاء کان وإلّا لم یکن . إذ روح البداء هو إمکان التغییر لا وقوعه ، ولذا لا معنی للإخبار بوقوع البداء حتما ، فتأمّل جیّدا .

عن الفضل بن أبی قره قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام یقول : أوحی اللّه إلی إبراهیم أنّه سیولد لک . فقال لساره فقالت : أألد وأنا عجوز ؟

۱- البقره : ۱۰۵ .

۲- آل عمران : ۷۳ .

۳- الحدید : ۲۹ .

۴- ابراهیم : ۲۷ .

۵- بحارالأنوار : ۴/۱۲۲ ، الأصول الستّه عشر : ۱۱۰ .

ص: ۲۳۲

فأوحی اللّه إلیه : أنّها ستلد ویعذّب أولادها أربعمائه سنه بردّها الکلام علیّ .

قال : فلمّا طال علی بنی إسرائیل العذاب ، ضجّوا وبکوا إلی اللّه أربعین صباحاً فأوحی اللّه إلی موسی وهارون یخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعین ومائه سنه .

قال : وقال أبو عبداللّه علیه السلام : هکذا أنتم لو فعلتم لفرج اللّه عنّا ، فأمّا إذا لم تکونوا ، فإنّ الأمر ینتهی إلی منتهاه(۱) .

هذا الخبر الشریف صریح فی وقوع البداء فی الأُمم السابقه وإمکان وقوعه لهذه الأُمّه فمن دعا اللّه تعالی ردّ اللّه عنه البلاء ، فلو توجّهت أُمّه برمّتها إلی اللّه تعالی لرفع اللّه العذاب عن تلک الأُمّه ولأصبح الفرج کلّیاً .

عن الفضیل قال : سمعت الإمام أبا جعفر علیه السلام یقول : من الأمور أمور محتومه جائیه لا محاله ، ومن الأمور أمر موقوفه عند اللّه یقدّم منها ما یشاء ویمحو منها ما یشاء یثبت منها ما یشاء ، لم یطلع علی ذلک أحداً یعنی الموقوفه ، فأمّا ما جاءت به الرسل فهی کائنه لا یکذّب نفسه ولا نبیّه ولا ملائکته(۲) .

الظاهر أنّ المراد من قوله علیه السلام «ما جاءت به الرسل» هو ما جاءت به علی وجه الحتم أو إذا کان من المیعادیّات لا مطلقاً لإمکان وقوع البداء فی غیر المحتوم کما لا یخفی .

قال رجل للإمام أبی جعفر علیه السلام : یا ابن رسول اللّه ، لا تغضب علیّ .

قال : لماذا ؟

قال : لما أرید أن أسألک عنه .

قال : قل .

قال : ولا تغضب .

قال : ولا أغضب .

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۱۵۴ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۹ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۷ .

ص: ۲۳۳

قال : أرأیت قولک فی لیله القدر وتنزّل الملائکه والرّوح فیها إلی الأوصیاء یأتونهم بأمر لم یکن رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد علمه أو یأتونهم بأمر کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یعلمه وقد علمت أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله مات ولیس من علمه شیء إلّا وعلیّ علیه السلام له واع ؟

قال أبو جعفر علیه السلام : ما لی ولک أیّها الرّجل ومن أدخلک علیّ ؟

قال : أدخلنی علیک القضاء لطلب الدّین .

قال : فافهم ما أقول لک . إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله لمّا أسری به لم یهبط حتّی أعلمه اللّه جلّ ذکره علم ما قد کان وما سیکون وکان کثیر من علمه ذلک جُمَلاً یأتی تفسیرها فی لیله القدر وکذلک کان علیّ بن أبی طالب علیه السلام قد علم جُمَل العلم ویأتی تفسیره فی لیالی القدر کما کان مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله .

قال السّائل : ء وما کان فی الجُمَل تفسیر ؟

قال : بلی ، ولکنّه إنّما یأتی بالأمر من اللّه تعالی فی لیالی القدر إلی النبیّ وإلی الأوصیاء افعل کذا وکذا لأمر قد کانوا علموه أُمروا کیف یعملون فیه .

قلت : فسّر لی هذا .

قال : لم یمت رسول اللّه صلی الله علیه و آله إلّا حافظاً لجُمْله العلم وتفسیره .

قلت : فالذی کان یأتیه فی لیالی القدر علم ما هو ؟

قال : الأمر والیسر فیما کان قد علم .

قال السّائل : فما یحدث لهم فی لیالی القدر علم سوی ما علموا ؟

قال : هذا ممّا أمروا بکتمانه ولا یعلم تفسیر ما سألت عنه إلّا اللّه عزّ وجلّ .

قال السّائل : فهل یعلم الأوصیاء ما لا یعلم الأنبیاء ؟

قال : لا ، وکیف یعلم وصیّ غیر علم ما أوصی إلیه .

قال السّائل : فهل یسعنا أن نقول إنّ أحداً من الوصاه یعلم ما لا یعلم الآخر ؟

قال : لا ، لم یمت نبیّ إلّا وعلمه فی جوف وصیّه وإنّما تنزّل الملائکه والرّوح فی لیله القدر بالحکم الّذی یحکم به بین العباد .

ص: ۲۳۴

قال السّائل : وما كانوا علموا ذلك الحكم ؟

قال : بلى ، قد علموه ولكنّهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه حتّى يوءمروا فى ليالى القدر كيف يصنعون إلى السّنه المقبله .

قال السّائل : يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا ؟

قال أبو جعفر عليه السلام : من أنكره فليس منّا .

قال السّائل : يا أبا جعفر أرأيت النّبىّ صلى الله عليه و آله هل كان يأتيه فى ليالى القدر شيء لم يكن علمه ؟

قال : لا يحلّ لك أن تسأل عن هذا . أمّا علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبىّ ولا وصىّ إلّا والوصىّ الّذى بعده يعلمه ، أمّا هذا العلم الّذى تسأل عنه فإنّ اللّه عزّ وجلّ أبى أن يُطْلِع الأوصياء عليه إلّا أنفسهم .

قال السّائل : يا ابن رسول اللّه ، كيف أعرف أنّ ليله القدر تكون فى كلّ سنه ؟

قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سوره الدّخان فى كلّ ليله مائه مرّه ، فإذا أتت ليله ثلاث وعشرين ، فإنّك ناظر إلى تصديق الّذى سألت عنه(۱) .

أقول : لقد صعب على السائل الذى دخل على الإمام عليه السلام من غير إذن كما هو ظاهر الخبر الشريف معرفه ازدياد علم الرسول وآله عليهم السلام ، فلذا سأل الإمام عن ذلك وكرّر سوءاله فلم يجبه الإمام عليه السلام عن هذا السوءال وقال بأنّ علم ذلك مختصّ بالأوصياء عليهم السلام .

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أجاب عن هذا القسم من مسأله الراوى وهى أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وإن كان يعلم ما كان وما سيكون الى يوم القيامه إلّا أنّه كان يعلم ذلك جُمَلاً ، وتفصيله ينزل عليه وعلى الأوصياء فى ليله القدر ، ولذا يزداد علمهم .

عن ضريس الكناسىّ قال : كنت عند الإمام أبى عبداللّه عليه السلام وعنده أبو بصير ، فقال أبو عبداللّه عليه السلام : إنّ داود ورث علم الأنبياء ، وإنّ سليمان ورث داود ، وإنّ محمّداً صلى الله عليه و آله

۱- الكافى : ۱/۲۵۱ .

ص: ۲۳۵

ورث سليمان ، وإنّا ورثنا محمّداً صلى الله عليه و آله ، وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى .

فقال أبو بصير : إنّ هذا لهو العلم .

فقال الإمام : يا أبا محمّد ، ليس هذا هو العلم ، إنّما العلم ما يحدث بالليل والنّهار يوماً بيوم وساعةً بساعه(۱) .

بيان : العلم الحادث بالليل والنهار هو العلم بالبدائيات ، فإنّه تعالى كلّ يوم هو فی شأن ، وبما أنّ قلوب الأئمه عليهم السلام وكر مشيّته تعالى ، يكون حدوث المشيّه له تعالى موجباً لازدياد علمهم عليهم السلام .

عن أبی بصير قال : دخلت على الإمام أبی عبداللّه عليه السلام فقلت له : جعلت فداك ، إنّی أسألك عن مسأله هاهنا أحد يسمع كلامی ؟

قال : فرفع أبو عبد اللّه عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمّ قال : يا أبا محمّد ، سل عمّا بدا لك .

قال : قلت : جعلت فداك ، إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب .

قال : فقال : يا أبا محمّد ، علّم رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام ألف باب ، يفتح من كلّ باب ألف باب .

قال : قلت : هذا واللّه العلم .

قال : فنكت ساعه فی الأرض ثمّ قال : إنّه لعلم ، وما هو بذاك .

قال : ثمّ قال : يا أبا محمّد ، وإنّ عندنا الجامعه ، وما يدريهم ما الجامعه ؟

قال : قلت : جعلت فداك ، وما الجامعه ؟

قال : صحيفه طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإملائه ، من فلق فيه ، وخطّ علیّ بيمينه ، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شیء يحتاج النّاس إليه حتّى الأرش فی الخدش ، وضرب بيده إلیّ فقال : تأذن لی يا أبا محمّد ؟

۱- الكافی : ۱/۲۲۵ .

ص: ۲۳۶

قال : قلت : جعلت فداک ، إنّما أنا لک فاصنع ما شئت .

قال : فغمزنی بیده وقال : حتّی أرش هذا کأنّه مغضب .

قال : قلت : هذا واللّه العلم .

قال : إنّه لعلم ، ولیس بذاک . ثمّ سکت ساعه ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر ، وما یدریهم ما الجفر ؟

قال : قلت : وما الجفر ؟

قال : وعاء من أدم فیه علم النّبیّین والوصیّین وعلم العلماء الذین مضوا من بنی إسرائیل .

قال : قلت : إنّ هذا هو العلم .

قال : إنّه لعلم ، ولیس بذاک ثمّ سکت ساعه ثمّ قال : وإنّ عندنا لمصحف فاطمه علیهاالسلام ، وما یدریهم ما مصحف فاطمه علیهاالسلام ؟

قال : قلت : وما مصحف فاطمه علیهاالسلام ؟

قال : مصحف فیه مثل قرآنکم هذا ثلاث مرّات ، واللّه ما فیه من قرآنکم حرف واحد .

قال : قلت : هذا واللّه العلم .

قال : إنّه لعلم ، وما هو بذاک ثمّ سکت ساعه ثمّ قال : إنّ عندنا علم ما کان وعلم ما هو کائن إلی أن تقوم السّاعه .

قال : قلت : جعلت فداک هذا واللّه هو العلم .

قال : إنّه لعلم ، ولیس بذاک .

قال : قلت : جعلت فداک ، فأیّ شیء العلم ؟

قال : ما یحدث باللّیل والنّهار ، الأمر من بعد الأمر ، والشّیء بعد الشّیء إلی یوم القیامه(۱) .

۱- الکافی : ۱/۲۳۸ .

ص: ۲۳۷

قوله علیه السلام «إنّه لعلم ولیس بذاک» فیه إشاره إلی شرف علم ما یحدث باللیل والنهار وهو علم البدائیّات الذی یحدث للّه تعالی فیها البداء ، فیکون قلب الإمام علیه السلام مهبطاً لمشیّه اللّه تعالی .

عن إسحاق بن عمّار عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : فی تسع عشره من شهر رمضان یلتقی الجمعان .

قلت : ما معنی قوله یلتقی الجمعان ؟

قال : یجمع فیها ما یرید من تقدیمه وتأخیره وإرادته وقضائه(۱) .

أقول : لعلّ المراد من ذلک هو أنّ إبرام قضائه یکون فی تلک اللیله ، کما هو ظاهر الخبر الآتی ، فلاحظ :

عن الإمام أبی عبد اللّه علیه السلام قال : فی لیله تسع عشره من شهر رمضان التّقدیر ، وفی لیله إحدی وعشرین القضاء ، وفی لیله ثلاث وعشرین إبرام ما یکون فی السّنه إلی مثلها ، للّه جلّ ثناوه یفعل ما یشاء فی خلقه(۲) .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : إنّ للّه تبارک وتعالی علمین : علماً أظهر علیه ملائکته وأنبیاءه ورسله فما أظهر علیه ملائکته ورسله وأنبیاءه فقد علمناه ، وعلماً استأثر به ، فإذا بدا للّه فی شیء منه أعلمنا ذلک وعرض علی الأئمّه الذین کانوا من قبلنا(۳) .

قوله علیه السلام «فإذا بدا للّه فی شیء منه أعلمنا ذلک» أی إذا نشأ له تعالی رأی بإثبات شیء من علمه المستأثر ، أعلمنا به .

عن أبی بصیر عن الإمام أبی جعفر علیه السلام فی قول اللّه « ولن یوءخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها »(۴) قال : إنّ عند اللّه کتباً موقوفه یقدّم منها ما یشاء ویوءخّر ، فإذا کان لیله القدر

۱- بحارالأنوار : ۹۴/۱ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۶۴ .

۲- الکافی : ۴/۱۶۰ .

۳- الکافی : ۱/۲۵۵ .

۴- المنافقون : ۱۱ .

ص: ۲۳۸

أنزل فیها کلّ شیء یکون إلی مثلها ، فذلک قوله « ولن یوءخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها » إذا أنزله وکَتَبه کتّاب السماوات وهو الذی لا یوءخّره(۱) .

أقول : یظهر من ذلک أنّ ما کتبه کتّاب السماوات والأرض فی لیله القدر وأنزله ، یکون من المبرم الذی لا یوءخّره .

عن إسحاق بن عمار عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : کان فی بنی إسرائیل نبیّ وعده اللّه أن ینصره إلی خمس عشره لیله . فأخبر بذلک قومه فقالوا : واللّه إذا کان لیفعلنّ ولیفعلنّ ، فأخّره اللّه إلی خمس عشره سنه وکان فیهم من وعده اللّه النصره إلی خمس عشره سنه ، فأخبر بذلک النبیّ قومه فقالوا : ما شاء اللّه . فعجّله اللّه لهم فی خمس عشره لیله(۲) .

أقول : هذا الخبر الشریف صریح فی أنّ اللّه تعالی قد یغیّر رأیه القدّوس ومشیّته بأدنی الأُمور ، فینبغی للموءمن العارف باللّه تعالی أن تشتدّ مراقبته لنفسه وأفعاله ، واللّه ولیّ التوفیق .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام قال : بینا داود علی نبیّنا وآله وعلیه السلام جالس وعنده شابّ رثّ الهیئه یکثر الجلوس عنده ویطیل الصمت إذ أتاه ملک الموت فسلّم علیه وأحدّ ملک الموت النظر إلی الشاب .

فقال داود علی نبینا وآله وعلیه السلام : نظرت إلی هذا .

فقال : نعم ، إنّی أمرت بقبض روحه إلی سبعه أیّام فی هذا الموضع .

فرحمه داود فقال : یا شابّ ، هل لک امرأه ؟

قال : لا ، وما تزوّجت قطّ .

قال داود : فأت فلاناً رجلاً ـ کان عظیم القدر فی بنی إسرائیل فقل له : إنّ داود یأمرک أن تزوّجنی ابنتک وتدخلها اللیله وخذ من النفقه ما تحتاج إلیه وکن عندها ، فإذا مضت

۱- بحارالأنوار : ۵/۱۳۹ ، تفسیر القمّیّ : ۲/۳۷۰ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۲ ، الإمامه والتبصره : ۱۹۴ .

ص: ۲۳۹

سبعه أیّام فوافنی فی هذا الموضع .

فمضـی الشـابّ برسـاله داود علی نبیّنـا وآله وعلیه السـلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها علیه وأقام عنـدها سـبعه أیّام ثمّ وافی داود یوم الثامن . فقال له داود : یا شابّ ، کیف رأیت ما کنت فیه ؟

قال : ما کنت فی نعمه ولا سرور قطّ أعظم ممّا کنت فیه .

قـال داود : اجلس ، فجلس وداود ینتظر أن یقبض روحه . فلمّا طال ، قال : انصـرف إلی منزلک فکن مع أهلک ، فإذا کان یوم الثامن فوافنی هاهنا .

فمضـی الشابّ ثمّ وافاه یوم الثامن وجلس عنده ، ثمّ انصـرف أسبوعاً آخر ، ثمّ أتاه وجلس فجاء ملک الموت داود فقال داود صلوات اللّه علیه : ألست حدّثتنی بأنّک أمرت بقبض روح هذا الشاب إلی سبعه أیام ؟

قال : بلی .

فقال : قد مضت ثمانیه وثمانیه وثمانیه .

قال : یا داود ، إنّ اللّه تعالی رحمه برحمتک له ، فأخّر فی أجله ثلاثین سنه(۱) .

أقول : من الواضـح أنّ مشـیّه اللّه تعـالی تعلّقت بموت الغلام ولکنّه تعـالی کـلّ یوم هو فی شأن ، فبـدّل مشـیّته بأُخری وأنسأ فی أجل الشابّ .

عن أبی بصیر قال : قلت له : ألهذا الأمر أمد تریح إلیه أبداننا وننتهی إلیه ؟

قال : بلی ، ولکنکم أذعتم فزاد اللّه فیه(۲) .

یظهر من هذا الخبر الشریف ازدیاد أمد البلاء بسبب إذاعه السرّ ، ویظهر منه أنّ الرخاء مکتوب للشیعه ومقدّر معلوم الأجل .

روی أن الإمام الصادق علیه السلام قال : ما بدا للّه بداء کما بدا له فی إسماعیل أبی إذ أمر

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۱۱ ، القصص للجزائری : ۳۴۹ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۳ ، الغیبه للشیخ الطوسی : ۴۳۱ .

ص: ۲۴۰

أباه بذبحه ، ثمّ فداه بذبح عظیم(۱) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ علی أنّ اللّه تعالی شاء ذبح إسماعیل علیه السلام علی ید أبیه إبراهیم علیه السلام ، إلّا أنّه تعالی بدا له ففداه بذبح عظیم ، فلا یصحّ ما احتمله أو ذکره بعض الأعاظم قدس سرهم من أنّه علیه السلام کان مأمورا بمقدّمات الذبح .

عن الإمام أبی عبداللّه علیه السلام قال : سألته عن القائم علیه السلام فقال : کذب الوقّاتون ، إنّا أهل بیت لا نوقّت(۲) .

أقول : لعلّ عدم التوقیت ناش من عدم التقدیر فی الوقت فإنّ قلوب الأئمه علیهم السلام وکر لمشیّته تعالی ، ومع ذلک لا یوقّتون وهذا یشیر إلی عدم التقدیر بالنسبه إلی وقت ظهور القائم عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف . واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام قال : قلت : لهذا الأمر وقت ؟

فقال : کذب الوقّاتون ، کذب الوقّاتون ، کذب الوقّاتون . إنّ موسی علیه السلام لمّا خرج وافداً إلی ربّه واعدهم ثلاثین یوماً ، فلمّا زاده اللّه علی الثلاثین عشراً ، قال قومه قد أخلفنا موسی فصنعوا ما صنعوا ، فإذا حدّثناکم الحدیث فجاء علی ما حدّثناکم به ، فقولوا صدق اللّه وإذا حدّثناکم الحدیث فجاء علی خلاف ما حدّثناکم به ، فقولوا صدق اللّه ، توءجروا مرّتین(۳) .

أقول : لعلّ الوجه فی الأجر مرّتین هو التصدیق بالمشیّتین ، أعنی الأُولی التی عرض علیها البداء ، والثانیه الجدیده .

عن حبیب السجستانیّ قال : سمعت الإمام أبا جعفر علیه السلام یقول : إنّ اللّه عزّ وجلّ لمّا أخرج ذریّه بنی آدم من ظهره لیأخذ علیهم المیثاق بالربوبیّه له وبالنبوّه لکلّ نبیّ ، فکان أوّل من أخذ له علیهم المیثاق بنبوّته ، محمّد بن عبداللّه صلی الله علیه و آله ، ثمّ قال اللّه عزّ وجلّ لآدم : انظر ما ذا تری ؟

۱- بحارالأنوار : ۴/۱۰۹ ، التوحید : ۳۳۶ .

۲- الکافی : ۱/۳۶۸ .

۳- الکافی : ۱/۳۶۸ .

ص: ۲۴۱

قال : فنظر آدم علیه السلام إلی ذریّته وهم ذرّ قد ملأوا السماء .

قال آدم علیه السلام : یا ربّ ما أکثر ذریّتی ولأمر ما خلقتهم ؟ فما ترید منهم بأخذک المیثاق علیهم ؟

قال اللّه عزّ وجلّ : یعبدوننی ولا یشرکون بی شیئاً ویوءمنون برسلی ویتبعونهم .

قال آدم : یا ربّ ، فما لی أری بعض الذرّ أعظم من بعض وبعضهم له نور کثیر وبعضهم له نور قلیل وبعضهم لیس له نور أصلاً .

فقال اللّه عزّ وجلّ : وکذلک خلقتهم لأبلوهم فی کل حالاتهم .

قال آدم علیه السلام : یا ربّ ، فتأذن لی فی الکلام فأتکلّم .

قال اللّه عزّ وجلّ تکلّم ، فإنّ روحک من روحی وطبیعتک خلاف کینونتی .

قال آدم علیه السلام : فلو کنت خلقتهم علی مثال واحد وقدر واحد وطبیعه واحده وجبله واحده وألوان واحده وأعمار واحده وأرزاق سواء ، لم یبغ بعضهم علی بعض ولم یک بینهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف فی شیء من الأشیاء .

قال اللّه عزّ وجلّ : یا آدم ، بروحی نطقت وبضعف طبیعتک تکلّمت ما لا علم لک به ، وأنا الخالق العلیم ، بعلمی خالفت بین خلقهم ، وبمشیّتی یمضی فیهم أمری ، وإلی تدبیری وتقدیری صائرون ، ولا تبدیل لخلقی . إنّما خلقت الجنّ والإنس لیعبدونی ، وخلقت الجنّه لمن عبدنی فأطاعنی منهم وأتبع رسلی ولا أبالی ، وخلقت النار لمن کفر بی وعصانی ولم یتبع رسلی ولا أبالی ، وخلقتک وخلقت ذریّتک من غیر فاقه بی إلیک وإلیهم وإنّما خلقتک وخلقتهم لأبلوک وأبلوهم أیّکم أحسن عملاً فی دار الدنیا فی حیاتکم وقبل مماتکم ، فلذلک خلقت الدنیا والآخره والحیاه والموت والطاعه والمعصیه والجنّه والنار ، وکذلک أردت فی تقدیری وتدبیری وبعلمی النافذ فیهم خالفت بین صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصیتهم ، فجعلت منهم الشقیّ والسعید والبصیر والأعمی والقصیر والطویل والجمیل والدمیم والعالم والجاهل والغنیّ والفقیر والمطیع والعاصی والصحیح والسقیم ومن به الزمانه

ص: ۲۴۲

ومن لا عاهه به ، فینظر الصحیح إلی الذی به العاهه فیحمدنی علی عافیته ، وینظر الذی به العاهه إلی الصحیح فیدعونی ویسألنی أن أعافیه ویصبر علی بلائی فأثیبه جزیل عطائی ، وینظر الغنی إلی الفقیر فیحمدنی ویشکرنی ، وینظر الفقیر إلی الغنی فیدعونی ویسألنی ، وینظر الموءمن إلی الکافر فیحمدنی علی ما هدیته ، فلذلک خلقتهم لأبلوهم فی السرّاء والضرّاء وفی ما أعافیهم وفی ما أبتلیهم وفی ما أعطیهم وفی ما أمنعهم ، وأنا اللّه الملک القادر ، ولی أن أمضی جمیع ما قدّرت علی ما دبّرت ، ولی أن أغیر من ذلک ما شئت إلی ما شئت وأقدّم من ذلک ما أخّرت وأوءخر من ذلک ما قدّمت ، وأنا اللّه الفعال لما أرید لا أسأل عمّا أفعل وأنا أسأل خلقی عمّا هم فاعلون(۱) .

أقول : هذا الخبر الشریف یدلّ علی البداء من ناحیتین :

الأُولی : الدعاء حیث إنّ اللّه تعالی ندبهم للدعاء کی یغنی الفقیر مثلاً .

الثانیه : إنّ اللّه تعالی لم یقدّر تلک التقدیرات الفقر لشخص والغنی لآخر والعلم لرجل والجهل لثانٍ وهکذا علی نحو الحتم بل شرط علی نفسه فیها البداء ، فله أن یغیّر ما شاء کیف شاء أنّی شاء .

عن جابر الجعفیّ عن الإمام أبی جعفر عن آبائه عن أمیر الموءمنین علیه السلام فی خبر طویل قال اللّه تبارک وتعالی للملائکه : « إنّی خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون * فإذا وّیته ونفخت فیه من روحی فقعوا له ساجدین »(۲) .

قال : وکان ذلک من اللّه تقدمه فی آدم قبل أن یخلقه واحتجاجاً منه علیهم .

قال : فاغترف ربّنا تبارک وتعالی غرفه بیمینه من الماء العذب الفرات وکلتا یدیه یمین فصلصلها فی کفّه فجمدت ، فقال لها منک أخلق النبیّین والمرسلین وعبادی الصالحین والأئمّه المهتدین والدعاه إلی الجنّه وأتباعهم إلی یوم الدین ولا أُبالی ولا أُسأل عمّا أفعل وهم یسئلون . ثمّ اغترف غرفه أخری من الماء المالح الأجاج فصلصلها

۱- بحارالأنوار : ۶۴/۱۱۶ ، الکافی : ۲/۸ .

۲- الحجر : ۲۸ ۲۹ .

ص: ۲۴۳

فی کفّه فجمدت ثمّ قال لها منک أخلق الجبّارین والفراعنه والعتاه وإخوان الشیاطین والدعاه إلی النار إلی یوم القیامه وأشیاعهم ولا أبالی ولا أُسأل عما أفعل وهم یسئلون . قال وشرط فی ذلک البداء فیهم ولم یشترط فی أصحاب الیمین البداء ، ثمّ خلط المائین جمیعاً فی کفّه فصلصلهما ، ثمّ کفاهما قدّام عرشه وهما سلاله من طین ، الخبر(۱) .

أقول : اشتراط البداء علی نفسه للکافرین من کمال رحمته ورأفته ، وعدم اشتراطه علی نفسه للموءمنین رحمه إثر رحمه ، وفی الحقیقه یکون هذا من الفضل .

ثمّ اعلم أنّنا بیّنا هذا الخبر ونظائره فی کتابنا «سدّ المفرّ علی منکر عالم الذرّ» ، فراجع .

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام قال : إنّ اللّه لم یدع شیئاً کان أو یکون إلّا کتبه فی کتاب فهو موضوع بین یدیه ینظر إلیه ، فما شاء منه قدّم ، وما شاء منه أخّر ، وما شاء منه محا ، وما شاء منه کان ، وما لم یشأ لم یکن(۲) .

أقول : التقدیم والتأخیر واضحان کما فی تقدیم أجل شخص أو تأخیره ، والمحو هو محو التقدیر کمن قدّر علیه الفقر ثمّ تصدّق ، فمحا اللّه عنه الفقر وکتب له الغنی .

و أمّا قوله علیه السلام «وما لم یشأ لم یکن» فالظاهر أنّه تأکید لقوله علیه السلام «ما شاء منه محا» .

ومن المحتمل قویّا أن یکون المراد منه أنّ تحقّق کلّ شیء موقوف علی مشیّه اللّه تعالی ، واللّه تعالی العالم وأولیاؤه الصالحون .

عن المعلّی قال : سئل العالم علیه السلام کیف علم اللّه ؟

قال : عَلِم وشاء وأراد وقدّر وقضی وأمضی ، فأمضی ما قضی ، وقضی ما قدّر ، وقدّر ما أراد ، فبعلمه کانت المشیّه ، وبمشیّته کانت الإراده ، وبإرادته کان التقدیر ، وبتقدیره کان القضاء ، وبقضائه کان الإمضاء ، فالعلم متقدّم علی المشیّه والمشیه ثانیه والإراده ثالثه ، والتقدیر واقع علی القضاء بالإمضاء فللّه تبارک وتعالی البداء فی ما علم متی شاء

۱- بحارالأنوار : ۵/۲۳۷ ، تفسیر القمّیّ : ۱/۳۶ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۸ ، تفسیر العیّاشیّ : ۲/۲۱۵ .

ص: ۲۴۴

وفی ما أراد لتقدیر الأشیاء . فإذا وقع القضاء بالإمضاء ، فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل کونه ، والمشیّه فی المشاء قبل عینه ، والإراده فی المراد قبل قیامه ، والتقدیر لهذه المعلومات قبل تفصیلها وتوصیلها عیاناً وقیاماً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام ، المدرکات بالحواس من ذی لون وریح ووزن وکَیْل وما دب ودرج من إنس وجن وطیر وسباع وغیر ذلک ممّا یدرک بالحواس ، فللّه تبارک وتعالی فیه البداء ممّا لا عین له ، فإذا وقع العین المفهوم المدرک فلا بداء . واللّه یفعل ما یشاء وبالعلم علم الأشیاء قبل کونها ، وبالمشیّه عرّف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإراده میّز أنفسها فی ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدیر قدّر أقواتها وعرّف أوّلها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماکنها ودلّهم علیها ، وبالإمضاء شرح عِلَلها وأبان أمرها ، ذلک تقدیر العزیز العلیم(۱) .

بیان : هذا الخبر الشریف من عیون الأخبار التی قد ورد فیها إمکان وقوع البداء ومعناه ، وأنّ البداء لا یکون إلّا عن علم ، ومحلّ البداء ما لم یتحقّق القضاء بالإمضاء خارجاً ، فإذا وقع العین المفهوم المدرک فلا بداء لانتفاء موضوعه فإنّ المشیّه قد تمّت خارجاً فلا معنی لتبدیلها إلّا أنّه تعالی قادر علی تبدیل الواقع الخارجی بمشیّه أُخری کإعدام ما وقع فی الخارج .

حدیث التردّد

عن أبی حمزه الثمالی قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه علیه السلام یقول : قال اللّه تبارک وتعالی : ما تردّدت عن شیء أنا فاعله کتردّدی عن الموءمن ، فإنّی أحبّ لقاءه ویکره الموت فأزویه عنه ، ولو لم یکن فی الأرض إلّا موءمن واحد لاکتفیت به عن جمیع خلقی ، وجعلت له من إیمانه أنساً لا یحتاج معه إلی أحد(۲) .

۱- بحارالأنوار : ۵/۱۰۲ ، التوحید : ۳۳۴ .

۲- بحارالأنوار : ۶/۱۶۰ ، المحاسن : ۱/۱۵۹ .

ص: ۲۴۵

عن محمّد الحلبی قال : قال الإمام أبو عبدالله علیه السلام : قال الله تبارک وتعالی : لیأذن بحرب منّی مستذلُّ عبدی الموءمن ، وما تردّدت عن شیء کتردّدی فی موت الموءمن إنّی لأحبّ لقاءه ویکره الموت فأصرفه عنه ، وإنّه لیدعونی فی أمر فأستجیب له لما هو خیر له ، ولو لم یکن فی الدنیا إلاّ واحد من عبیدی موءمن لاستغنیت به عن جمیع خلقی ولجعلت له من إیمانه أنساً لا یستوحش فیه إلی أحد(۱) .

عن أنس عن النبی صلی الله علیه و آله عن جبرئیل علیه السلام قال : قال الله تبارک وتعالی : من أهان لی ولیّاً فقد بارزنی بالمحاربه ، وما تردّدت فی شیء أنا فاعله مثل تردّدی فی قبض نفس الموءمن ، یکره الموت وأکره مساءته ولابدّ له منه ، وما یتقرّب إلیّ عبدی بمثل أداء ما افترضت علیه ، ولا یزال عبدی یبتهل إلیّ حتّی أحبّه ومن أحببته کنت له سمعاً وبصراً ویداً وموئلاً ، إن دعانی أجبته ، وإن سألنی أعطیته . وإنّ من عبادی الموءمنین لمن یرید الباب من العباده فأکفّه عنه لئلاّ یدخله عجب فیفسده ، وإنّ من عبادی الموءمنین لمن لم یصلح إیمانه إلاّ بالفقر ولو أغنیته لأفسده ذلک ، وإنّ من عبادی الموءمنین لمن لا یصلح إیمانه إلاّ بالغنی ولو أفقرته لأفسده ذلک ، وإنّ من عبادی الموءمنین لمن لا یصلح إیمانه إلاّ بالسقم ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلک ، وإنّ من عبادی الموءمنین لمن لا یصلح إیمانه إلاّ بالصحّه ولو أسقمته لأفسده ذلک . إنّی أدبّر عبادی بعلمی بقلوبهم فإنّی علیم خبیر(۲) .

أفاد شیخنا الأُستاذ آیه المحقّق محمّد باقر الملکیّ قدس سره ما هذا نصّه :

تردّده تعالی فی قبض عبده الموءمن الذی قدّر أجله ، عباره عن ردّ ما قدّره أوّلاً وتوقّفه وتأخیره فی قبضه . فإنّه سبحانه قادر ومالک علی إمضاء ما قدّره ، وکذلک قادر علی تأخیره وصرف الموت عنه . فإنّ التردّد من باب التفعّل بمعنی قبول ردّ ما کتبه أوّلاً . ضروره أنّ الأفعال

۱- بحارالأنوار : ۶/۱۶۰ ، المحاسن : ۱/۱۶۰ .

۲- علل الشرائع : ۱/۱۲ .

ص: ۲۴۶

والأوصاف والنعوت إذا نسبت إليه تعالى ، لابدّ أن تكون على سبيل الإشتراك اللفظيّ بالتباين الصفتيّ ؛ انتهى كلامه رفع مقامه(۱) .

أقول : ما أفاده متين جـدّاً ويحتمل أن يكون المراد من التردّد فى المقام هو أن يفعل فعل المتردّد لأجل عـدم تناهى علمه تعالى وشدّه مالكيّته تعالى ومختاريّته فتأمّل جيّداً .

ولابدّ من الإشاره إلى جهات هامّه فى فهم هذا الخبر الشريف :

الجهه الأُولى : إنّ قوله تعالى فى الحديث القدسيّ «ما تردّدت فى شيء أنا فاعله كتردّدى ...» يدلّ على كثره وقوع البداء فى أمر موت الموءمن ، فإنّه تعالى لم يبدو له فى شيء كما يبدو له فى أمر موت الموءمن .

الجهه الثانيه : الظاهر أنّ اللّه تعالى مع أنّه يحبّ لقاء الموءمن إلاّ ـ أنّه لمّا كان الموءمن كارهاً للموت ، أنسأ اللّه تعالى أجل الموءمن مرّه بعد مرّه كى يرضى عبده . والظاهر أنّ لقاء اللّه تعالى هو معرفته تعالى به معرفه شهوديّه عبّر عنها فى الأخبار بالمعاينه والوصل واللقاء ، وهذه المعرفه توجب الإنقطاع إلى اللّه تعالى والأُنس به فيكون تعالى بعد تعريفه نفسه لعبده الموءمن أنيسه وصديقه ورفيقه وجليسه كما ورد فى الخبر «أنا جليس من ذكرنى»(۲) . ولقاء الموءمن ربّه لا ـ ينفع الربّ تعالى ، فإنّه غنىّ عن العالمين ، إلاّ أنّه ينفع الموءمن . ولمّا كان الموءمن حبيب اللّه تعالى ، أحبّ اللّه تعالى لقاءه كى ينتفع الموءمن من هذا اللقاء . وبما أنّ بالموت تنقطع العلائق الدنيويّه يتفرّغ العبد الموءمن عن الإشتغال بغيره تعالى تتجلّى المعرفه الفطريّه ، ولذا عبّر عن الموت بلقاء اللّه ، هذا هو معنى لقاء اللّه تعالى .

والظاهر من هذه الأخبار المباركه حبّ اللّه تعالى للقاء المؤمن والمراد من حبّ اللقاء فى المقام أنّه تعالى يفعل فعل المحبّ ، فيعرّف نفسه لعبده المؤمن فيعاين العبد ربّه بقلبه ويأنس به ويناجيه ويدعوه وينعم بنور المعرفه كما هو صريح الأدلّه

۱- توحيد الإماميّه : ۳۹۹ .

۲- بحارالأنوار : ۳/۳۲۹ ، التوحيد : ۱۸۳ .

ص: ۲۴۷

الدالّه على مخاطبه اللّه تعالى لعباده فى الآخره ، ولعلّ اطلاق لقاء اللّه على الموت من هذا الباب .

وأفاد الشيخ الطبرسىّ كما عن العلاّمه المجلسىّ فى كون المراد من لقاء اللّه هو لقاء رحمته(۱) .

الجهه الثالثه : الوجه فى تردّده تعالى فى قبض روح المؤمن بل كثره التردّد هو كمال مختاريّه اللّه تعالى وكمال علمه وقدرته وحكمته ، فإنّه تعالى وإن كان لا يفعل إلاّ الحسن إلاّ أنّ الحسن غير منحصر فى فرد واحد ، فأىّ طرف اختار كان حسناً لكونه عدلاً ، أو لكونه فضلاً ، ولذا يبدو له تعالى فى شىء واحد عدّه مرّات . وروح الكلام هنا أنّ اللّه تعالى عالم بالعلم بلا معلوم بصور متعدّده لا يعلم عددها إلاّ هو بالنسبه إلى عمر المؤمن ، فهو يختار منها ما شاء ، وكلّ ما اختاره لا يكون إلاّ حسناً حكيماً ، فوجه البداء هو كمال مالكيّته وقدرته وعلمه ومختاريّته .

الجهه الرابعه : إنّ صرف كراهه العبد للموت لا توجب صيروره قبيحاً ، بل للّه تعالى أن يقبض روح عبده المؤمن وإن كان المؤمن كارهاً للموت ، إلاّ أنّه تعالى لشدّه رأفته بعبده المؤمن لا يقبض روحه إلاّ بعد رضاه بترك الدنيا ، فلاحظ هذا الخبر الشريف :

عن ابن أبى يعفور قال : سمعت أباعبداللّه عليه السلام يقول : قال اللّه عزّ وجلّ : إنّ العبد من عبيدى المؤمنين ليذنب الذنب العظيم ممّا يستوجب به عقوبتى فى الدنيا والآخره فأنظر له فيما فيه صلاحه فى آخرته فأعجّل له العقوبه عليه فى الدنيا لأجازيه بذلك الذنب ، وأقدّر عقوبه ذلك الذنب وأقضيه وأتركه عليه موقوفاً غير ممضى ولى فى إمضائه المشيئه وما يعلم عبدى به فأتردّد فى ذلك مراراً على إمضائه ، ثمّ أمسك عنه فلا أمضيه كراهه لمساءته وحيداً عن إدخال المكروه عليه ، فأتطوّل عليه بالعفو عنه والصفح ، محبّه لمكافاته لكثير نوافله التى يتقرب بها إلىّ فى ليله ونهاره فأصرف ذلك

۱- بحارالأنوار : ۶۹/۲۸۱ .

ص: ۲۴۸

البلاء عنه وقد قدّرته وقضيته وتركته موقوفاً ولى فى إمضائه المشيئه ، ثمّ أكتب له عظيم أجر نزول ذلك البلاء وأدّخره وأوفّر له أجره ولم يشعر به ولم يصل إليه أذاه وأنا اللّه الكريم الرؤوف الرحيم(۱) .

أقول : هـذا الحـديث يـدلّ على شـدّه عطفه تعالى بعبـده المؤمن . قوله تعالى : «فأتردّد فى ذلك مراراً على إمضائه ثمّ أمسك عنه فلا أمضيه» أى إنّه تعالى يمضيه ثمّ يعود عن الإمضاء لعدّه مرّات حتّى لا يمضيه أخيراً ويرحم عبده .

قـال الإمام عليه السـلام : قال رسول اللّه صـلى الله عليه و آله : لا يزال الموءمن خائفاً من سوء العاقبه لا يتيقّن الوصول إلى رضوان اللّه حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له ، وذلك أنّ ملك الموت يرد على الموءمن وهو فى شدّه علّته وعظيم ضيق صدره بمـا يخلّفه من أمواله وعياله ، وما هو عليه من اضـطراب أحواله فى معاميله وعياله ، وقـد بقيت فى نفسه حزازتها واقتطع دون أمانيه فلم ينلها . فيقول له ملك الموت : ما لك تتجرّع غصصك ؟

فيقول : لاضطراب أحوالى واقتطاعى دون آمالى .

فيقول له ملك الموت : وهل يجزع عاقل من فقد درهم زائف قد اعتاض عنه بألف ألف ضعف الدنيا ؟

فيقول : لا .

فيقول له ملـك الموت : فانظر فوقك ، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التى تقصـر دونها الأمانىّ ، فيقول له ملك الموت : تلك منازلك ونعمك وأموالك وأهلك وعيالك ومن كان من أهلك هاهنا وذريّتك صالحاً فهم هناك معك أفترضـى به بدلاً ممّا هاهنا ؟

فيقول : بلى واللّه .

ثمّ يقول له : انظر ، فينظر فيرى محمّداً وعليّاً والطيّبين من آلهما فى أعلى عليّين

۱- الكافى : ۲/۴۴۹ ح ۱ .

ص: ۲۴۹

فيقول له : أو لا تراهم هوءلاء ساداتك وأئمّتك هم هناك جُلّاسك وآناسك أفما ترضى بهم بدلاً ممّا تفارق هاهنا ؟

فيقول : بلى وربّى . فذلك ما قال اللّه تعالى : « إنّ الذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكه ألّا تخافوا »(۱) فما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها ، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذرارى والعيال والأموال فهذا الذى شاهدتموه فى الجنان بدلاً منهم ، وأبشروا بالجنّه التى كنتم توعدون ، هذه منازلكم وهوءلاء ساداتكم آناسكم وجلّاسكم ، نحن أولياوءكم فى الحياه الدّنيا وفى الآخره ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم(۲) .

نعم ، له تعالى أن يبدو له فينسأ أجل الموءمن ، وهذا الخبر الشريف يشير إلى أنّ اللّه تعالى يبدو له فى أمر أجل الموءمن .

۱- فصّلت : ۳۰ .

۲- بحارالأنوار : ۲۴/۲۶ ، تفسير الإمام العسكرىّ : ۲۳۹ .

ص: ۲۵۰

ص: ۲۵۱

الفصل الثامن :

البداء عن علم

قـد عرفت بما ذكرناه فى بحث العلم وبحث البـداء أنّ البداء لا يكون إلّا عن علم ، فإنّ البداء الذى هو بمعنى نشوء الرأى يكون منشأه سعه علمه بلا معلوم فإنّه تعالى عالم بجميع الأنظمه اللامتناهيه بالعلم بلا معلوم ، فيختار واحـداً منها ويعيّنه ، وله أن يبدّل ما اختاره قبل وقوعه فى الخارج ، وله أن يمضـى مشيّته الأُولى ، كما أنّ له أن يبقى أصل النظام ويغيّر بعض الخصوصيّات فيه فإنّه بكلّ شىء عليم وهو على كلّ شىء قدير .

نعم ، قـد يكون البـداء ناشـئاً من الجهل وهو البـداء فى المخلوق فإنّه قـد يهمّ بالإقدام على أمر ثمّ يتبيّن له بعض ما خفى عليه فيبدو له ويكفّ عن الإقـدام ، إلاّـ أنّ البـداء فى اللّه تعالى لا يكون إلاّ عن كمال العلم والقـدره فإنّه تعالى علم كلّه وقـدره كلّه ولا نهايه لعلمه وقـدرته ، فتكون له المالكيّه على الخلق وعلى عدمه وعلى الإيجاد وعلى الإعدام ، وهو متصـرّف فى كائناته كيف يشاء ، وهو مبسوط اليدين فله أن يعاملهم بفضله فيحمد ويشكر ، وله أن يعاملهم بعدله فيمجّد ويسبّح .

وهـذا أى سـعه علمه وقـدرته هو معنى قوله تعـالى « كـلّ يوم هو فى شأن »(۱) فيعفو عمّن يشـاء ويعـذّب من يشـاء مع أنّ كليهما كانا يسـتحقّان التعـذيب ، إلاّ أنّ له تعالى أن يعفو عن أحـدهما فيكون ذلك فضـلاً ويعـذّب الآخر فيكون ذلك عدلاً ، والمرجّح هو رأيه ومشيّته فإنّه يرحم من يشاء بما يشاء كيف يشاء ، ويعذّب من يشاء بما يشاء كيف يشاء لا يسأل عن فعله وهم يسألون .

۱- الرحمن : ۲۹ .

ص: ۲۵۲

أفاد شيخنا الأُستاذ آيه اللّه المحقّق محمّد باقر الملكيّ قدس سره ما هذا نصّه :

الروايات المباركه صريحه فى أنّ البداء منه تعالى لا يكون إلّا عن علم . ضروره أنّ البداء هو تبديل التقدير الأوّل بالتقدير الثانى منه تعالى . وحيث إنّ كلا التقديرين لا يكون إلّا عن مشيّه وإراده وقدر وقضاء ، وكلّ ذلك من أفعاله تعالى الحكيمه الحسنه المستنده إلى علمه تعالى ، فعلى هذا ، فانّ ما نسب إلى الشيعه الإماميه من أنّهم قائلون بالبداء فيه تعالى عن جهل ، خرافه واضحه وافتراء مبين . فنعم الحكم اللّه !

والبداء بهذا المعنى الذى تتلقّى الشيعه عن أئمتهم المعصومين من مفاخر علوم القرآن ، وهو آيه مجده وكبريائه وقدرته ومالكيته تعالى رغماً على قول من يقول : يد اللّه مغلوله وقد فرغ من الأمر ؛ انتهى كلامه رفع مقامه(۱) .

عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : ما بدا للّه فى شىء إلّا كان فى علمه قبل أن يبدو له(۲) .

أقول : هذا الخبر الشريف يدلّ على أنّ البداء لا يكون إلّا عن علم وليس المراد منه أنّه تعالى كان عالماً بما سيختاره لرجوع ذلك إلى الإختيار نفسه ، فعلمه بما يختاره هو عين الإختيار كما عرفت سابقاً .

عن أبى بصير عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ للّه علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فنحن نعلمه(۳) .

سأل حمران الإمام أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه

۱- توحيد الإماميّه : ۳۹۴ .

۲- الكافى : ۱/۱۴۸ .

۳- الكافى : ۱/۱۴۷ .

ص: ۲۵۳

أحداً » فقال له أبو جعفر عليه السلام : « إلّا من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً »(۱) وكان واللّه محمّد ممّن ارتضاه . وأمّا قوله « عالم الغيب » فإنّ اللّه تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه بما يقدّر من شيء ويقضيه فى علمه ، فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه ، فيه المشيئه فيقضيه إذا أراد ، ويبدو له فيه فلا يمضيه . فأمّا العلم الذى يقدّره اللّه ويقضيه ويمضيه ، فهو العلم الذى انتهى إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ثمّ إلينا .

وحدّثنا عبد اللّه بن محمّد عن ابن محبوب بهذا الإسناد وزاد فيه فما يقدر من شيء ويقضيه فى علمه أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى ملائكته ، فذلك يا حمران علم موقوف عنده غير مقضى لا يعلمه غيره ، إليه فيه المشيئه فيقضيه إذا أراد ... إلى آخر الحديث(۲) .

بيان : يظهر من هذا الخبر الشريف أنّ سعه علمه تعالى هو المنشأ للبداء . فبما أنّه تعالى علم لا جهل فيه ، له أن يبدو له ، ولا يكون البداء إلّا عن علم .

عن الإمام أبى عبداللّه الصادق عليه السلام قال : من زعم أنّ اللّه يبدو له فى شيء اليوم لم يعلمه أمس فابرءوا منه(۳) .

فاتّضح بما ذكرناه زيف ما رُمِىَ الشيعه بأنّهم يلتزمون بالجهل فى اللّه تعالى ، ذلك أنّ الشيعه اتّبعوا أئمّتهم عليهم السلام فى عقائدهم ، وعرفوا ما بيّنه الهداه الراشدون ، فاقتفوا آثارهم عن علم ومعرفه واستيقنوا بما بيّنوه فللّه الحمد أوّلاً وآخراً .

ومن هنا نرى أنّ فقهاء الشيعه أبطلوا القول بكون البداء فى اللّه تعالى بمعنى الظهور بعد الخفاء لاستلزامه الجهل فى اللّه تعالى وإليك بعض كلامهم قدّس اللّه أسرارهم :

قال السيّد المرتضى قدس سره :

۱- الجنّ : ۲۶ ۲۷ .

۲- بحارالأنوار : ۴/۱۱۰ ، بصائر الدرجات : ۱۱۳ .

۳- كمال الدين : ۱/۶۹ .

ص: ۲۵۴

البداء فی لغه العرب هو الظهور من قوله : «بدا الشیء : إذا ظهر وبان ، والمتکلّمون تعرّفوا فی ما بینهم أن یسمّوا ما یقتضی هذا البداء باسمه ، فقالوا : إذا أمر اللّه تعالی بالشیء فی وقت مخصوص علی وجه معیّن ومکلّف واحد ، ثمّ نهی عنه ، فهو بداء ، والبداء علی ما حدّدناه لا یجوز علی اللّه تعالی لأنّه علم بنفسه ، ولا یجوز له أن یتجدّد کونه عالماً ، ولا أن یظهر له من المعلومات ما لم یکن ظاهراً .

وقد وردت أخبار آحاد لا توجب علماً ، ولا تقتضی قطعاً بإضافه البداء إلی اللّه ، وحملها محقّقو أصحابنا علی أنّ المراد بلفظه البداء فیها النسخ للشرائع ولا خلاف بین العلماء فی جواز النسخ للشرائع(۱) .

أقول: أنکر السیّد المرتضی قدس سره البداء بمعنی الظهور بعد الخفاء فی اللّه تعالی لاستلزامه الجهل فیه عزّ وجلّ.

نعم لا یمکن المساعده علی ما بیّنه من أنّ الأخبار التی دلّت علی البداء لیست إلّا أخبار آحاد لما عرفت من دلاله الآیات علی البداء مضافاً إلی الأخبار المتواتره بالتواتر المعنویّ ولکن لا علی البداء بمعنی الظهور بعد الخفاء بل علی البداء بمعنی الظهور بعد العدم ونشوء الرأی ، و ذلک لا یوجب نسبه الجهل إلی اللّه تعالی کما عرفت سابقاً من أنّ للّه تعالی علمین ، علم محمول وعلم غیر محمول ومن العلم غیر المحمول یکون البداء وفی المحمول یقع البداء ، فلمّا کان اللّه تعالی عالماً بأنظمه لا متناهیه یکون رأیه معیّناً لوقوع أحد تلک الأنظمه وله أن یغیّر ما شاء فی النظام الذی خلقه لعلمه بذلک ، فإن شاء تقدیر ثلاثین عاماً لزید فعل وله أن یزید فی ذلک أو ینقص فیه لعمله بذلک ، و هذا لا یوجب نسبه الجهل إلی اللّه تعالی کما هو واضح و قد مرّ تفصیل ذلک ولا یحتاج إلی الإعاده .

وقال الشیخ الطوسیّ قدس سره :

۱- رسائل الشریف المرتضی : ۱۱۷ مسأله ۵ ، المسأله الرازیّه .

ص: ۲۵۵

البـداء حقيقه فی الظهور ، ولـذلک يقال: بدا لنا سور المدينه، وبدا لنا وجه الرأی وقال اللّه تعالی: « وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا »(۱) و « وبدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا »(۲) .

فأمّا إذا أُضـيفت هذه اللفظه إلی اللّه تعالی ، فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز ؛ فأمّا ما يجوز من ذلک ، فهو ما إذا أفاد النسخ بعينه ، ويكون إطلاـق ذلـک عليه ضـرباً من التوسّع ، وعلی هـذا الوجه يحمـل جميع مـا ورد عن الصـادقين عليهماالسـلام من الأخبـار المتضمّنه لإضافه البداء إلی اللّه ، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن .

ووجه إطلاق ذلک فيه تعالی ، هو أنّه إذا كان منه ما يدلّ علی النسخ ، يظهر به للمكلّفين ما لم يكن ظاهراً ، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلاً لهم ، أطلق علی ذلک لفظ البداء(۳) .

أقول: كلامه قـدس سـره واضـح فی عـدم جواز نسـبه الجهل إلی اللّه تعالی وأنّ البـداء بمعنی الظهور بعد الخفاء لا يكون بالنسـبه إليه تعالی .

نعم تفسـير البـداء بالإبـداء ممّـا لا يمكن المساعـده عليه لكونه خلاف ظاهر الآيات والأخبار الـدالّه علی البـداء حقيقه ولكن لا بمعنی الظهور بعد الخفاء بل بمعنی نشوء الرأی وسيأتيک الردّ علی تفسير البداء بالإبداء.

وقال العلّامه السيّد عبداللّه شبّر قدس سره :

للبداء معان ، بعضها يجوز عليه ، وبعضها يمتنع ، وهو بالفتح والمدّ أكثر ما يطلق فی اللغه علی ظهور الشیء بعد خفائه ، وحصول العلم به بعـد الجهـل ، واتّفقت الأُمّه علی امتناع ذلک علی اللّه سـبحانه إلّا من لا يعتـدّ به ، ومن نسب إلی الإماميّه فقـد افتری عليهم كـذباً ، والإماميّه براء

۱- الجاثيه : ۳۳ .

۲- الزمر : ۴۸ .

۳- عده الأُصول : ۲/۲۹ ، ولاحظ كتاب الغيبه للشيخ الطوسی : ۲۶۳ .

ص: ۲۵۶

منه ، وقد يطلق على النسخ ، وعلى القضاء المجدّد ، وعلى مطلق الظهور ، وعلى غير ذلك من المعانى(۱) .

وقال العلّامه المجلسىّ قدس سره :

إعلم أنّه لمّا كان البداء ممدوداً فى اللغه بمعنى ظهور رأى لم يكن ، يقال : بدى الأمر بدواً : ظهر ، وبدا له فى هذا الأمر بداء أى نشأ له فيه رأى كما ذكره الجوهرىّ وغيره ، فلذلك يشكل القول بذلك فى جناب الحقّ تعالى لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشىء بعد جهله ، وهذا محال . ولذا شنّع كثير من المخالفين على الإماميّه فى ذلك نظراً إلى ظاهر اللفظ من غير تحقيق لمرامهم ، حتّى إنّ الناصبىّ المتعصّب الفخر الرازى ذكر فى خاتمه كتاب «المحصّل» حاكياً عن سليمان بن جرير أنّ أئمّه الرافضه وصفوا القول بالبداء لشيعتهم ، فإذا قالوا أنّه سيكون لهم أمر ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا : بدا للّه تعالى فيه (إلى أن قال بعد نقل كلام الفخر الرازى ونقده) ولا أدرى من أين أخذ هذا القول الذى افترى به عليهم ، مع أنّ كتب الإماميّه المتقدّمين عليه كالصدوق والشيخ والمرتضى وغيرهم رضوان اللّه عليهم مشحونه بالتبرّى عن ذلك(۲) .

أقول: كلامه قدس سره صريح فى نفى الجهل عن اللّه تعالى ولكن لا يمكن المساعده على ما بيّنه من نفى البداء بمعنى الظهور بعد العدم ونشوء الرأى . إذ البداء بالمعنى الذى ذكرناه لا يوجب تغيير علمه تعالى إنّما هو تغيير فى الإراده والمشيّه ، فالتغيير لا يكون فى العلم المخزون إنّما يكون فى العلم المحمول وهذا لا يوجب نسبه الجهل إلى اللّه تعالى بل يوجب الإقرار بسعه علمه وإحاطه قدرته وكونه ذا رأى ومشيّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

۱- مصابيح الأنوار : ۱/۳۳ .

۲- مرآه العقول : ۲/۱۲۳ و ۱۲۶ .

ص: ۲۵۷

وأمّا قول الرازى فبعيد عن التحقيق ولا ينمّ منه إلاّ النصب والعداء لأئمّه الهدى عليهم السلام ، إذ البداء لا يقع فى أصول الدين وأصول المذهب كما أنّه لا يقع فى الأمور التى أخبر أئمّه الهدى عليهم السلام بأنّها ممّا لا يبدو للّه تعالى فيها ، أو فى الأمور التى يستلزم من تغييرها تكذيب اللّه تعالى وتكذيب رسله وأوليائه ، وقد بُيّنت هذه الأمور فى أحاديث أئمّه الهدى عليهم السلام وسيأتى الكلام عن ذلك فى فصل موارد البداء .

ص: ۲۵۸

ص: ۲۵۹

الفصل التاسع :

آثار الإعتقاد بالبداء

إذا عرفت ما ذكرناه لك في هذه الأوراق يتّضح لك الوجه في أهمّيه البداء الذى لم يكن اللّه تعالى ليبعث نبيّاً من أنبيائه إلّا بعد الإقرار بالبداء ، فإنّ الإقرار به من أركان النبوّه . فإنّ البداء بالمعنى الذى جاءت به الآيات والأخبار يوجب انفتاح باب الدعاء والمسأله ، ويوجب الخوف والرجاء الحقيقيين من اللّه تعالى ، ولذا يكون العارف بالبداء خائفاً راجياً يخافه لذنبه الذى ارتكبه ، فيخشى عدل اللّه تعالى ويرجوه لكرمه وعفوه .

ولولا البداء لما كان معنى للدعاء والإستجابه والخوف والرجاء معاً ، كما أنّ معرفه البداء توجب الإستزاده من الأعمال الصالحه لما يرى العبد من التأثيرات فيها ، وتوجب مراقبه النفس من ارتكاب المحارم ، فلاحظ الأدلّه التاليه :

قال اللّه تعالى : « وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »(۱) .

أقول : الظاهر من الآيه المباركه أنّ اللّه تعالى يستجيب للداعين عند دعائهم أو بعده ، لا أنّه يظهر استجابته الأزلّيه سابقاً عند الدعاء .

عن بسطام الزّيّات عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ الدّعاء يردّ القضاء وقد نزل من السماء وقد أبرم إبراماً(۲) .

عن حمّاد بن عثمان قال : سمعته يقول : إنّ الدّعاء يردّ القضاء ينقضه كما ينقض

۱- غافر : ۶۰ .

۲- الكافى : ۲/۴۶۹ .

ص: ۲۶۰

السلك وقد أبرم إبراما(۱) .

عن عبداللّه بن سنان قال : سمعت الإمام أبا عبداللّه عليه السلام يقول : الدعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراماً ، فأكثر من الدّعاء فإنّه مفتاح كلّ رحمه ونجاح كلّ حاجه ، ولا ينال ما عند اللّه عزّ وجلّ إلاّ بالدّعاء ، وإنّه ليس باب يكثر قرعه إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه(۲) .

عن الإمام أبى عبداللّه عليه السلام قال : إنّ الدعاء يردّ القضاء وإنّ الموءمن ليأتى الذنب فيحرم به الرزق(۳) .

ورد فى الدعاء بعد زياره الإمام الرضا عليه السلام : أسألك بالقدره النافذه فى جميع الأشياء وقضائك المبرم الذى تحجبه بأيسر الدعاء(۴) .

أقول : هذه الأدلّه واضحه المراد فى أنّ الدعاء يردّ القضاء الحقيقىّ ، فليس هناك إبداء بل هو بداء حقيقه .

قال أميرالموءمنين عليه السلام : الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف ، لأنّك تخافه لذنبك وترجوه لجوده ، فالخوف لك والرجاء له(۵) .

أقول : هذا الخبر الشريف يدلّ على وجود الخوف والرجاء فى قلب الموءمن ، وأنّ الخوف هو بسبب القبائح التى ارتكبها ، والرجاء هو لأجل الرحمه الإلهيّه . وأنّ من كان فى قلبه الخوف والرجاء ، سيرحمه اللّه تعالى ، فإنّ كرمه يجلّ عن مجازاه المقصّرين .

قال اللّه تعالى : « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّه ِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »(۶) .

عن الإمام أبى جعفر عليه السلام فى قول اللّه عزّ وجلّ « وآخرون مرجون لأمر اللّه » قال :

۱- الكافى : ۲/۴۶۹ .

۲- الكافى : ۲/۴۷۰ .

۳- بحارالأنوار : ۷۰/۳۴۹ ، قرب الإسناد : ۱۶ .

۴- بحارالأنوار : ۹۹/۵۵ .

۵- شرح نهج البلاغه : ۲۰/۳۱۹ .

۶- التّوبه : ۱۰۶ .

ص: ۲۶۱

قوم كـانوا مشـركين فقتلوا مثل حمزه وجعفر وأشـباههما من الموءمنين ، ثمّ إنّهم دخلوا فى الإسـلام فوحّـدوا اللّه وتركوا الشّـرك ولم يعرفـوا الإيمـان بقلوبهم فيكونوا من الموءمنين فتجب لهم الجنّه ، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّـار ، فهم على تلك الحال إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم(۱) .

أقول : قـد مرّ دلاله الآيه المباركه على البداء . وبيانها الموجب لذكرها ثانيا فى المقام هو أنّها تدلّ على أنّ بعض الناس سـيكونون فى حال الخوف والرجاء إلى أن يشإ اللّه تعالى لهم الرحمه أو العذاب .

أفاد سيّد الفقهاء والمجتهدين المحقّق الخوئىّ قدس سره فى بيان آثار البداء :

أنّ القول بالبداء يوجب توجّه العبد إلى اللّه تعالى وتضـرّعه إليه وطلبه إجابه دعائه وقضاء حوائجه ومهمّاته وتوفيقه للطاعه وإبعاده عن المعصيه .

كلّ ذلك إنّما نشأ من الإعتقاد بالبداء وبأنّ عالم المحو والإثبات بيده تعالى « يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ »(۲) .

وهـذا بخلاـف القول بإنكار البـداء وأنّ كلّ ما جرى به قلم التقـدير لا يمكن أن يتغيّر وأنّه كائن لا محاله ، حيث إنّ لازمه أنّ المعتقد بهذه العقيده مأيوس عن إجابه دعائه وقضاء حوائجه ، فإنّ ما يطلبه العبد من ربّه لا يخلو من أن يجرى قلم التقدير بإيجاده أو لا يجرى ، فعلى الأوّل فهو موجود لا محاله ، وعلى الثانى لن يوجد أبدا ولن ينفعه الدعاء والتضرّع والتوسّل حيث يعلم بأنّ تقديره لن يتغير أبدا .

ومن الطبيعى أنّ العبـد إذا يئس من إجابه دعائه وأنّه لا يؤثر فى تقديره تعالى أصـلاً ، ترك التضـرّع والدعاء له تعالى ، لعدم فائده فى ذلك .

۱- الكافى : ۲/۴۰۷ .

۲- الرعد : ۳۹ .

ص: ۲۶۲

وكذلك الحال فی سائر العبادات والصدقات التی ورد عن المعصومین علیهم السلام أنّها تزید فی العمر والرزق وغیر ذلك ممّا یطلبه العبد ، ولأجل هذا السرّ قد ورد فی الروایات الكثیره عن الأئمّه الأطهار علیهم السلام الاهتمام بشأن البداء(۱) .

وأفاد شیخنا الأستاذ آیه اللّه المیرزا حسن علیّ المروارید قدس سره فی بیان آثار البداء :

وعرفانُ العبدِ هذا الكمالِ له تعالی ، یفتح علیه باب الرجاء ، والخوف ، والدعاء ، والإنابه ، والمواظبه علی الطاعه ، وترك المعصیه ، والتوبه ، وابتغاء الوسیله ، والإجتهاد فی العباده ، والتضرّع إلیه تعالی شأنه ، وصله الأرحام والصدقه ، وغیرها(۲) .

۱- محاضرات فی أصول الفقه : ۴/۵۰۶ .

۲- تنبیهات حول المبدأ والمعاد : ۲۰۲ .

ص: ۲۶۳

الفصل العاشر :

البداء ليس هو الإبداء

قد ذهب بعض الأعلام إلى أنّ البداء على الحقيقه لا يعقل فى اللّه تعالى لاستلزامه الجهل فى ذاته القدّوس وهو باطل عقلاً ، ولذا لابدّ من أن يكون المراد من البداء هو الإبداء تنزيلاً ، فلاحظ العبارات التاليه :

أفاد سيّد الفقهاء والمجتهدين المحقّق الخوئىّ قدس سره ما هذا نصّه :

(البداء) قد التزم الشيعه بالبداء فى التكوينيّات وخالف فى ذلك العامّه وقالوا باستحاله البداء فيها لاستلزامه الجهل على الحكيم تعالى : ومن هنا نسبوا إلى الشيعه ما هم براء منه وهو تجويز الجهل عليه تعالى باعتبار التزامهم بالبداء .

ولكن ، من الواضح أنّهم لم يحسنوا فى فهم ما هو مراد الشيعه من البداء ، ولم يتأمّلوا فى كلماتهم حول هذا الموضوع وإلّا لما نسبوا إليهم هذا الإفتراء الصريح والكذب البين .

وممّن نسب ذلك إلى الشيعه ، الفخر الرازى فى تفسيره الكبير عند تفسير قوله تعالى : « يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » قال : «قالت الرافضه : البداء جائز على اللّه تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثمّ يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده» وهذا كما ترى كذب صريح على الشيعه ، وكيف كان ، فلا يلزم من الإلتزام بالبداء الجهل عليه تعالى ، كيف فإنّ الشيعه ملتزمون به ، فمع ذلك يقولون باستحاله الجهل عليه سبحانه وتعالى .

ص: ۲۶۴

وقـد ورد فی بعض الروایات أنّ من زعم أنّ اللّه عزّ وجلّ یبدو له فی شـیء لم یعلمه أمس فابرأوا منه ، وفی بعضـها الآخر فأمّا من قال بأنّ اللّه تعالی لا یعلم الشیء إلّا بعد کونه ، فقد کفر وخرج عن التوحید .

وقد اتّفقت کلمه الشیعه الإمامیه علی أنّ اللّه تعالی لم یزل عالماً قبل أن یخلق الخلق بشتّی أنواعه بمقتضی الحکم العقل الفطری وطبقاً للکتاب والسنّه .

بیان ذلک أنّه لا شـبهه فی أنّ العالم بشتّی ألوانه وأشکاله تحت قدره اللّه تعالی وسلطانه المطلق ، وأنّ وجود أیّ ممکن من الممکنات فیه منوط بمشیئته تعالی وإعمال قدرته ، فإن شاء أوجده ، وإن لم یشأ لم یوجده ، هذا من ناحیه .

ومن نـاحیه أخری إنّ اللّه سـبحانه عالم بالأشـیاء بشتّی أنواعها وأشـکالها منـذ الأزل ، وإنّ لها بجمیع أشـکالها تعییناً علمیّاً فی علم اللّه الأزلیّ ویعبّر عن هذا التعیین بتقدیر اللّه مرّه وبقضائه مرّه أخری .

ومن نـاحیه ثـالثه إنّ علمه تعالی بالأشـیاء منـذ الأزل لا یوجب سـلب قـدره اللّه تعالی واختیاره عنها ، ضـروره أنّ حقیقه العلم بشـیء ، الکشف عنه علی واقعه الموضوعیّ من دون أن یوجب حدوث شـیء فیه . فالعلم الأزلیّ بالأشیاء هو کشفها لدیه تعالی علی واقعها من الإناطه بمشـیئه اللّه واختیاره ، فلا یزید انکشاف الشـیء علی واقع ذلک الشـیء . وقد فصّل لنا الحدیث من هذه الناحیه فی مبحث الجبر والتفویض بشکل موسّع .

فالنتیجه علی ضوء هـذه النواحی الثلاث هی أنّ معنی تقدیر اللّه تعالی للأشـیاء وقضائه بها أنّ الأشـیاء بجمیع ضـروبها کانت متعیّنه فی العلم الإلهی منذ الأزل علی ما هی علیه من أنّ وجودها معلّق علی

ص: ۲۶۵

أن تتعلّق المشيئه الإلهيه بها حسب اقتضاء الحكم والمصالح التى تختلف باختلاف الظروف والتى يحيط بها العلم الإلهى .

ومن ضوء هذا البيان يظهر بطلان ما ذهب إليه اليهود من أنّ قلم التقدير والقضاء حينما جرى على الأشياء فى الأزل ، استحال أن تتعلّق المشيئه الإلهيّه بخلافه .

ومن هنا قالوا يـد اللّه مغلوله عن القبض والبسط والأخـذ والإعطاء ، ووجه الظهور ما عرفت من أنّ قلم التقـدير والقضاء لا يزاحم قدره اللّه تعالى على الأشياء حين إيجادها حيث إنّه تعلّق بها على واقعها الموضوعىّ من الإناطه بالمشيئه والإختيار ، فكيف ينافيها ؟!

ومن الغريب جـدّاً أنّهم (لعنهم اللّه) التزموا بسـلب القـدره من اللّه ولم يلتزموا بسـلب القدره عن العبد مع أنّ الملاك فى كليهما واحد وهو العلم الأزلىّ فإنّه كما تعلّق بأفعاله تعالى كذلك تعلّق بأفعال العبيد .

فالنتيجه إنّهم التزموا بحفظ القدره لأنفسـهم وأنّ قلم التقدير والقضاء لا ينافيها ، وسـلب القدره عن اللّه تعالى وأنّ قلم التقدير والقضاء ينافيها ، وهذا كما ترى .

وبعد ذلك نقول : إنّ المستفاد من نصوص الباب أنّ القضاء الإلهى على ثلاثه أنواع :

الأول : قضاؤه تعالى الذى لم يطلع عليه أحداً من خلقه حتى نبيّنا محمّد صـلى الله عليه و آله وهو العلم المخزون الذى اسـتأثر به لنفسه المعبّر عنه باللوح المحفوظ تارهً وبأمّ الكتاب تارهً أخرى .

ولا ريب أنّ البداء يستحيل أن يقع فيه كيف يتصوّر فيه البداء وأنّ اللّه سبحانه عالم بجميع الأشياء بشتّى ألوانها منذ الأزل لا يعزب عن علمه مثقال ذرّه لا فى الأرض ولا فى السماء ، ومن هنا قد ورد فى

ص: ۲۶۶

روايات كثيره أنّ البداء إنّما ينشأ من هذا العلم لا أنّه يقع فيه :

منهـا : مـا رواه الصـدوق باسـناده عن الحسن بن محمّـد النوالى أنّ الرضا عليه السـلام قال لسـليمان المروزىّ : رويت عن أبى عن أبى عبداللّه عليه السلام أنّه قال : «إنّ للّه عزّ وجلّ علمين : علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء ، وعلماً علّمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيّك يعلمونه» .

ومنها : ما عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبداللّه عليه السلام قال : «إنّ للّه علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء ، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه» .

الثانى : قضاء الذى أخبر نبيّه وملائكته بأنّه سوف يقع حتماً ، ولا شـبهه فى أنّ هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء ، ضـروره أنّ اللّه تعالى لاـ يكـذّب نفسه ورسـله وملائكته وأولياءه ، فلا فرق بينه وبين القسم الأوّل من هـذه الناحيه . نعم يفترق عنه من ناحيه أخرى وهى أنّ هذا القسم لا ينشأ منه البداء دون القسم الأول .

وتدلّ على ذلك عدّه روايات :

منها : قوله عليه السـلام فى الروايه المتقـدّمه عن الصدوق أنّ عليّاً عليه السـلام كان يقول : «العلم علمان فعلم علّمه اللّه ملائكته ورسـله فما علّمه ملائكته ورسـله فإنّه يكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدّم منه ما يشاء ويوءخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء» .

ومنهـا : ما روى العيّاشـى عن الفضـيل قال : سـمعت أبا جعفر عليه السـلام يقول : من الأمور أمور محتومه جائيه لا محاله ، ومن الأمور أمور موقوفه عند اللّه يقدّم منها ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، لم

ص: ۲۶۷

يطلع على ذلك أحداً يعنى الموقوفه فأمّا ما جاءت به الرسل فهى كائنه لا يكذّب نفسه ولا نبيّه ولا ملائكته .

الثالث : قضاء اللّه الذى أخبر نبيّه وملائكته بوقوعه فى الخارج لا بنحو الحتم بل معلّقاً على أن لا تتعلّق مشيئه اللّه على خلافه . وفى هذا القسم يقع البداء عنه بعالم المحو والإثبات وإليه أشار بقوله « يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، « للّه الأمر من قبل ومن بعد » . وقد دلّت على ذلك عدّه نصوص .

منها : ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم عن عبد اللّه بن مسكان عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال : «إذا كان ليله القدر نزلت الملائكه والروح والكتبه إلى السماء الدنيا ، فيكتبون ما يكون من قضاء اللّه تعالى فى تلك السنه ، فإذا أراد اللّه أن يقدّم شيئاً أو يوءخّره أو ينقص شيئاً ، أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثمّ أثبت الذى أراده .

قلت : وكلّ شىء هو عند اللّه مثبت فى كتاب اللّه ؟

قال : نعم .

قلت : فأىّ شىء يكون بعده ؟

قال : سبحان اللّه ، ثمّ يحدث اللّه أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى .

ومنها : ما فى تفسيره أيضاً عن عبداللّه بن مسكان عن أبى جعفر وأبى عبداللّه وأبى الحسن عليهم السلام عند تفسير قوله تعالى : « فيها يفرق كلّ أمر حكيم » أى يقدّر اللّه كلّ أمر من الحقّ ومن الباطل وما يكون فى تلك السنه ، وله فيه البداء والمشيئه ، يقدّم ما يشاء ويوءخّر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء» .

ومنها : ما فى الإحتجاج عن أميرالموءمنين عليه السلام أنّه قال : «لولا آيه فى

ص: ۲۶۸

کتاب اللّه لأخبرتکم بما کان وبما یکون وبما هو کائن إلی یوم القیامه ، وهی هذه الآیه : « یمحو اللّه ما یشاء ویثبت وعنده أم الکتاب » ومثله ما عن الصدوق فی الأمالی والتوحید عن أمیرالموءمنین علیه السلام .

ومنها : ما فی تفسیر العیاشی عن زراره عن أبی جعفر علیه السلام قال : «کان علیّ بن الحسین علیه السلام یقول : لولا آیه فی کتاب اللّه لحدّثتکم بما یکون إلی یوم القیامه .

فقلت : أیّه آیه ؟

قال : قول اللّه « یمحو اللّه » الخ» .

ومنها : ما فی قرب الإسناد عن البزنطی عن الرضا علیه السلام قال : قال أبو عبد اللّه وأبو جعفر وعلیّ بن الحسین والحسین بن علیّ وعلیّ بن أبی طالب علیهم السلام «لولا آیه فی کتاب اللّه لحدّثناکم بما یکون إلی أن تقوم الساعه ، « یمحو اللّه » الخ» .

ومنها : ما عن العیّاشی عن ابن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السلام یقول : «إنّ اللّه یقدّم ما یشاء ویوءخّر ما یشاء ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء وعنده أمّ الکتاب . وقال : فکلّ أمر یرید اللّه فهو فی علمه قبل أن یصنعه لیس شیء یبدو له إلّا وقد کان فی علمه ، إنّ اللّه لا یبدو له من جهل» .

ومنها ما رواه عن عمّار بن موسی عن أبی عبد اللّه علیه السلام سئل عن قول اللّه : « یمحو اللّه » الخ . قال : «إنّ ذلک الکتاب کتاب یمحو اللّه ما یشاء ویثبت ، فمن ذلک الذی یردّ الدعاء القضاء وذلک الدعاء مکتوب علیه الذی یُرَدُّ به القضاء حتّی إذا صار إلی أمّ الکتاب لم یغن الدعاء فیه شیئاً» وغیرها من الروایات الدالّه علی ذلک .

فالنتیجه علی ضوء هذه الروایات هی أنّ البداء یستحیل أن یقع فی القسم الأوّل من القضاء المعبّر عنه باللّوح المحفوظ وبأمّ الکتاب

ص: ۲۶۹

والعلم المخزون عنـد اللّه ، بداهه أنّه كيف يتصوّر البداء فيه وأنّ اللّه سـبحانه عالم بكنه جميع الأشـياء بشتّى ألوانها منذ الأزل لا يعزب عن علمه مثقـال ذرّه فى الأـرض ولاـ فى السـماء . نعم هـذا العلم منشـأ لوقوع البـداء يعنى أنّ انسـداد باب هـذا العلم لغيره تعالى حتّى الأنبياء والأوصياء والملائكه أوجب وقوع البداء فى بعض إخباراتهم .

وكذا الحال فى القسم الثانى من القضاء نظراً إلى أنّ العقل يستقلّ باستحاله تكذيب اللّه تعالى نفسه أو أنبيائه .

وأمّـا القسم الثـالث فهو مورد لوقوع البـداء ولا يلزم من الإلتزام بالبـداء فيه أى محـذور كنسـبه الجهل إلى اللّه سـبحانه وتعالى ، ولا ما ينـافى عظمته وجلالـه ، ولاـ الكـذب حيث إنّ إخباره تعالى بهـذا القضاء لنبيّه أو وليّه ليس على نحو الجزم والبتّ ، بل هو معلّق بعـدم مشـيئته بخلافه ، فإذا تعلّقت المشـيئه على الخلاف لم يلزم الكـذب ، فإنّ ملاك صـدق هذه القضـيّه وكذبها إنّما هو بصدق الملازمه وكذبها ، والمفروض أنّ الملازمه صادقه وهى وقوعه لو لم تتعلق المشيئه الإلهيه على خلافه . مثلاً ، أنّ اللّه تعالى يعلم بأنّ زيداً سوف يموت فى الوقت الفلانى ويعلم بأنّ موته فيه معلّق على عدم اعطائه الصدقه أو ما شاكلها ، ويعلم بأنّه يعطى الصدقه فلا يموت فيه ، فها هنا قضـيّتان شـرطيّتان ففى إحـداهما : قـد علّق موته فى الوقت الفلانى بعدم تصدّقه أو نحوه ، وفى الأخرى قد علّق عدم موته فيه على تصدّقه أو نحوه .

ونتيجه ذلك أنّ المشـيئه الإلهيّه فى القضيّه الأولى قد تعلّقت بموته إذا لم يتصدّق ، وفى القضيّه الثانيه قد تعلّقت بعدم موته وبقائه حيّا إذا تصدّق

ومن الواضح أنّ إخباره تعالى بالقضيّه الأولى ليس كذباً ، فإنّ

ص: ۲۷۰

المناط فی صدق القضیّه الشرطیّه وکذبها هو صدق الملازمه بین الجزاء والشرط وکذبها لا بصدق طرفیها ، بل لا یضرّ استحاله وقوع طرفیها فی صدقها . فعلمه تعالی بعدم وقوع الطرفین هنا لا یضرّ بصدق إخباره بالملازمه بینهما ، وکذا لا محذور فی إخبار النبی أو الوصی بموته فی هذا الوقت معلّقاً بتعلّق المشیئه الإلهیّه به ، فإنّ جریان البداء فیه لا یوجب کون الخبر الذی أخبر به المعصوم کاذباً لفرض أنّ المعصوم لم یخبر بوقوعه علی سبیل الحتم والجزم ومن دون تعلیق ، وإنّما أخبر به معلّقاً علی أن تتعلّق المشیئه الإلهیه به ، أو أن لا تتعلّق بخلافه .

ومن الواضح أنّ صدق هذا الخبر وکذبه إنّما یدوران مدار صدق الملازمه بین هذین الطرفین وکذبها ، لا وقوعهما فی الخارج وعدم وقوعهما فیه .

فالنتیجه فی نهایه المطاف هی أنّه لا مانع من الإلتزام بوقوع البداء فی بعض إخبارات المعصومین علیهم السلام فی الأمور التکوینیّه ولا یلزم منه محذور لا بالإضافه إلی ذاته سبحانه وتعالی ولا بالإضافه إلیهم علیهم السلام .

وقد تحصّل ممّا ذکرناه أنّ نتیجه البداء الذی تقول به الشیعه الإمامیّه وتعتقد به هی الإعتراف الصریح بأنّ العالم بأجمعه تحت سلطان اللّه وقدرته حدوثاً وبقاءً ، وأنّ مشیئه اللّه تعالی نافذه فی جمیع الأشیاء ، وأنّها بشتّی ألوانها بأعمال قدرته واختیاره . وقد تقدّم الحدیث من هذه الناحیه فی ضمن نقد نظریّتی الجبر والتفویض ، هذا من ناحیه .

ومن ناحیه أخری ، أنّ فی الإعتقاد بالبداء یتّضح نقطه الفرق بین

ص: ۲۷۱

العلم الإلهی وعلم غیره ، فإنّ غیره وإن کان نبیّاً أو وصیّاً کنبیّنا محمّد صلی الله علیه و آله لا یمکن أن یحیط بجمیع ما أحاط به علمه تعالی وإن کان عالماً بتعلیم اللّه إیّاه بجمیع عوالم الممکنات ، إلاّ أنّه لا یحیط بما أحاط به علم اللّه المخزون المعبّر عنه باللّوح المحفوظ وبأمّ الکتاب حیث أنّه لا یعلم بمشیئه اللّه تعالی لوجود شیء أو عدم مشیئته إلاّ حیث یخبره اللّه تعالی به علی نحو الحتم .

ومن ناحیه ثالثه إنّ القول بالبداء یوجب توجّه العبد إلی اللّه تعالی وتضرّعه إلیه وطلبه إجابه دعائه وقضاء حوائجه ومهمّاته وتوفیقه للطّاعه وإبعاده عن المعصیه ، کلّ ذلک إنّما نشأ من الإعتقاد بالبداء وبأنّ عالم المحو والاثبات بیده تعالی « یَمْحُوا اللَّهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْکِتَابِ »(۱) .

وهذا بخلاف القول بإنکار البداء ، وأنّ کلّ ما جری به قلم التقدیر لا یمکن أن یتغیّر وأنّه کائن لا محاله ، حیث إنّ لازمه أنّ المعتقد بهذه العقیده مأیوس عن إجابه دعائه وقضاء حوائجه ، فإنّ ما یطلبه العبد من ربّه لا یخلو من أن یجری قلم التقدیر بایجاده أو لا یجری . فعلی الأوّل فهو موجود لا محاله ، وعلی الثانی لن یوجد أبدا ولن ینفعه الدعاء والتضرّع والتوسّل حیث یعلم بأنّ تقدیره لن یتغیّر أبدا .

ومن الطبیعی أنّ العبد إذا یئس من إجابه دعائه وأنّه لا یؤثّر فی تقدیره تعالی أصلاً ، ترک التضرّع والدعاء له تعالی ، لعدم فائده فی ذلک .

وکذلک الحال فی سائر العبادات والصدقات التی ورد عن المعصومین علیهم السلام أنّها تزید فی العمر والرزق وغیر ذلک ممّا یطلبه

۱- الرعد : ۳۹ .

ص: ۲۷۲

العبد . ولأجل هذا السرّ قد ورد فی الروایات الکثیره عن الأئمّه الأطهار علیهم السلام الاهتمام بشأن البداء :

منها : ما رواه الصدوق فی کتاب التوحید باسناده عن أحدهما علیهماالسلام قال : «ما عبد اللّه عزّوجلّ بشیء مثل البداء» .

ومنها : ما رواه بإسناده عن هشام بن سالم عن أبی عبداللّه علیه السلام قال : «ما عظّم اللّه عزّوجلّ بمثل البداء» .

ومنها : ما رواه بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبی عبداللّه علیه السلام قال : «ما بعث اللّه عزّوجلّ نبیّا حتّی یأخذ علیه ثلاث خصال : الإقرار بالعبودیّه ، وخلع الانداد ، وأنّ اللّه یقدّم ما یشاء ویؤخّر ما یشاء» . وقد ورد أیضا فی الروایات الکثیره من طرق أهل السنّه أنّ الصدقه والدعاء یغیّران القدر .

والنکته فی هذا الإهتمام : هو أنّ القول بعدم البداء یشترک بالنتیجه مع القول بأنّ اللّه تعالی غیر قادر علی أن یغیّر ما جری علیه قلم التقدیر ، تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا ، حیث إنّه مخالف لصریح الکتاب والسنّه وحکم العقل الفطری کما عرفت . ومن المعلوم أنّ ذلک یوجب یأس العبد من إجابه دعائه ، وهو یوجب ترکه وعدم توجهه إلی ربّه فی قضاء مهمّاته وطلباته .

إلی هنا قد استطعنا أن نخرج بالنتائج التالیه :

الأولی : أنّ ما عن العامّه من نسبه تجویز الجهل علیه سبحانه وتعالی إلی الشیعه باعتبار التزامهم بالبداء ، فقد عرفت أنّه افتراء صریح علیهم وأنّ الإلتزام بالبداء لا یستلزم ذلک ، بل هو تعظیم وإجلال لذاته تعالی وتقدّس .

الثانیه : أنّ العالم بأجمعه وبشتّی أشکاله تحت سلطان اللّه تعالی

ص: ۲۷۳

وقدرته كما أنّه تعالى عالم به بجميع أشكاله منذ الأزل . وقد عرفت أنّ هذا العلم لا ينافى ولا يزاحم قدرته واختياره . ومن هنا قلنا أنّ ما ذهب إليه اليهود من أنّ قلم التقدير والقضاء إذا جرى على الأشياء فى الأزل استحال أن تتعلّق المشيئه الإلهيه بخلافه ، خاطئ جدّاً ولا واقع موضوعى له أصلاً ، فإنّ قلم التقدير والقضاء لا ينافى قدرته ولا يزاحم اختياره .

الثالثه : أنّ قضاءه تعالى على ثلاثه أنواع :

۱ قضاؤه الذى لم يطلع عليه أحدا من خلقه .

۲ قضاؤه الذى أطلع بوقوعه أنبياءه وملائكته على سبيل الحتم والجزم .

۳ قضاؤه الذى أطلع بوقوعه أنبياءه وملائكته معلّقاً على أن لا تتعلّق مشيئته على خلافه ، ولا يعقل جريان البداء فى القضاء الأوّل والثانى وإنّما يكون ظرف جريانه هو الثالث ، وهذا التقسيم قد ثبت على ضوء الروايات وحكم العقل الفطرى .

الرابعه : أنّه لا يلزم من الإلتزام بالبداء أى محذور كتجويز الجهل عليه سبحانه أو ما ينافى عظمته وإجلاله أو الكذب ، بل فى الإعتقاد به تعظيم لسلطانه وإجلال لقدرته ، كما لا يلزم منه محذور بالإضافه إلى أنبيائه وملائكته ، بل فيه امتياز علم الخالق عن علم المخلوق .

الخامسه : أنّ حقيقه البداء عند الشيعه الإماميه هى بمعنى الإبداء أو الإظهار ، وإطلاق لفظ البداء عليه مبنىّ على التنزيل وبعلاقه المشاكله .

السادسه : أنّ فائده الإعتقاد بالبداء هى الإعتراف الصريح بأنّ العالم بأجمعه تحت سلطان اللّه وقدرته « يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب » وتوجّه العبد إلى اللّه تعالى وتضرّعه إليه فى قضاء حوائجه

ص: ۲۷۴

ومهمّاته وعـدم يأسه من ذلك ، وهـذا بخلاف القول بإنكار البـداء ، فإنّه يوجب يأس العبد ولا يرى فائده فى التضـرّع والدعاء ، وهذا هو السرّ فى اهتمام الأئمه عليهم السلام بشأن البداء فى الروايات الكثيره . انتهى ما أردنا نقله(۱) .

محصّل كلامه قدس سره : أنّ اللّه تعالى عالم بشتّى أنواع الأشياء أزلاً ويعبّر عن هذا التعيين العلميّ بتقديره تعالى مرّه وقضائه أُخرى .

ثمّ إنّ علمه تعالى أزلاً لا يوجب سلب القدره عنه ضروره أنّ حقيقه العلم هو الكشف عن الشىء من دون اسلتزام حدوث شىء فيه فلا تنافى بين العلم والقـدره . ولـذا لا وجه لما ذهب اليه اليهود من أنّ يـد اللّه تعالى مغلوله لأنّ التقـدير لا يزاحم القدره الإلهيّه ، فإنّ اللّه تعالى عالم بأنّه قدّر ما قدّر عن علم وقدره .

ثمّ بيّن قدس سره بأنّ القضاء الإلهىّ على ثلاثه أنواع :

۱ قضـاؤه الـذى لم يطلع عليه أحـدا من خلقه وهو العلم المخزون ، ولاـ يتصوّر فى ذلـك البـداء لأـنّه تعالى عالم بجميع الأشـياء بشتّى ألوانها منذ الأزل .

۲ قضاؤه الذى أخبر نبيّه وملائكته به بأنّه سيكون حتماً ، وهذا أيضاً لا يقع فيه البداء ضروره أنّه تعالى لا يكذّب نفسه ولا رسله .

۳ قضاؤه الذى أخبر به نبيّه وملائكته به لا على نحو الحتم ، وهذا ممّا يقع فيه البداء .

فالظاهر من هذه العبارات أُمور :

الأوّل : أنّه قـدس سـره ذهب إلى أنّ العلم المخزون المكنون هو القضاء الإلهى وهو المنشأ للبداء فى القسم الثالث من القضائيّات ، فلا يعقل أن يقع فيه البداء .

الثانى : أنّ اليهود ذهبوا إلى انغلال يد اللّه تعالى وإنّه تعالى مجبور فى أفعاله مع التزامهم بالإختيار فى أفعالهم ، وردّ ذلك بأنّ العلم لا يغيّر من الواقع الموضوعىّ ،

۱- محاضرات فى أصول الفقه تقرير بحث المحقّق الخوئىّ : ۴/۴۹۶ ۵۰۹ .

ص: ۲۷۵

فإنّ العلم كشف للحقائق واللّه تعالى يعلم أنّه يفعل ما يفعل عن قدره واختيار .

الثالث : أنّ البداء عند الشيعه ليس إلّا بمعنى الإبداء والإظهار ، ولذا لا يستلزم الجهل فى حقّه تعالى .

وقد التزم بما بيّنه من أنّ البداء بمعنى الإبداء تلميذه آيه اللّه السيّد تقىّ القمّىّ حفظه اللّه وإليك نصّ عباراته :

إنّ جميع الأمور معلومه عنـد ذاته المقـدّسه والمعلوم عنده قسـمان : قسم فى اللّوح المحفوظ ، وقسم فى لوح المحو والإثبات . والذى يكون فى اللّوح المحفوظ لا يتغيّر ولا يتبدّل ، وأمّا القسم الثانى فهو قابل التغيّر والتبدّل .

والبداء فى الحقيقه هو الإبداء وإظهار ما كان مستوراً . مثلاً قد قدّر أن يعمر زيد خمسين سنه بشرط عدم صلته لرحمه ، وأمّا إذا وصل رحمه يزيد فى عمره ثلاثين سنه ، فمعنى البداء إظهار ما كان مجهولاً .

وببيان واضح : كان المقدّر أن يعمّر خمسين ثمّ يبدو ويظهر أنّ عمره ثمانون ، وبهذا المعنى لا يتوجّه الإشكال . والشيعه قائلون بالبداء بهذا المعنى ولا يلزم منه استناد الجهل إلى ذاته المقدّسه ، تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً . انتهى ما أردنا نقله(۱) .

أقول : أمّا ما أفاده من أنّ المراد من العلم المخزون هو التقـدير الإلهىّ والقضاء ، فلا يمكن الإلتزام به لافتراق العلم عن التقدير . فالعلم ليس هو التقدير والقضاء ، فإنّهما من صفات الأفعال وقد مرّت الإشاره إليه ، فراجع .

وأمّا مـا أفـاده من عطف كلام اليهود إلى إنكار قـدره اللّه تعالى واختياره ، فلا يمكن المساعـده عليه إذ الظاهر من كلامهم هو إنكار القدره على التغيير والتبديل وأنّ يده

۱- آراوءنا : ۱/۳۸۸ .

ص: ۲۷۶

تعالى مغلوله بالنسبه إلى التغييرات لا بالنسبه إلى أصل الخلقه .

وبعباره أُخرى : إنّ الظاهر من كلام اليهود هو إنكار القـدره على التغيير لا القدره فى أصل الخلق فلا يعود كلامهم إلى إنكار الإختيار ، فتأمّل جيّداً .

وأمّا ما أفاده من أنّ البداء إنّما هو بمعنى الإبداء فلا يتوافق مع المستفاد من الآيات والأخبار . ويرد عليه أُمور :

۱ البداء لغه ليس بمعنى الإبداء إنّما هو بمعنى الحدوث بعد العدم .

۲ الظاهر من الأدلّه بل صريحها وقوع التغيير فى المشيّه الإلهيّه حقيقه ، وهذا وإن كان لا ينافى ما ذكره حيث إنّه التزم بوقوع التغيير فى القضاء بالمعنى الثالث ، ولكن ليس ذلك تغييراً للمشيّه بمعنى التقدير الحقيقىّ .

۳ إنّ الآثار المترتّبه على البـداء الثابت بالأدلّه تنعدم إذا فسّرنا البداء بالإبداء . فإذا كانت التقديرات كلّها مقدّره من الأزل ، لا تحصـل للعبـد حاله الخوف أو الرجاء ، فإنّه إمّا معـذّب لا محاله وإمّا مرحوم لا محاله ، فلا معنى للخوف والرجاء فليذهب وينام إمّا حزيناً كئيباً وإمّا قرير العين ، فلا بداء إنّما هو إبداء حقيقه !!

والظاهر أنّ الوجه فى تفسـير البـداء بالإبداء هو التفصّـى من نسبه الجهل إلى اللّه تعالى وقد عرفت أنّ ذلك لا يكون حتّى وإن التزمنا بالبداء بالمعنى اللّغوى فإنّ اللّه تعالى عالم أزلاً بجميع الأنظمه اللامتناهيه الحسـنى وغير الحسـنى وتقدير نظام من بين الأنظمه الحسـنى متوقّف على رأيه ومشـيّته . وبعـد التقـدير له تعالى أن يبـدّل ما شاء بما شاء لعلمه تعالى بالمشاء وغيره ، فليس علمه تعالى محدوداً بما شـاءه بـل هو عـالم بمـا لاـ يشـاؤه أبـداً ، وعـالم بجميع الأنظمه اللامتناهيه التى فيها أنظمه حكيمه بما لا يحصـيه إلّا علمه . فالتغيير فى المشيّه وإن كان حقيقيّاً ، لا يوجب نسبه الجهل إلى اللّه تبارك وتعالى .

وأمّا علمه بما سيغيّره ، فقد عرفت أنّ ذلك يرجع إلى تقديره وله أن لا يقدّر شيئاً

ص: ۲۷۷

فيرجئه إلى أن يشاء كما هو صريح الآيه المباركه « و آخرون مرجون لأمر اللّه »(۱) فيمكن أن تكون هناك أمور لم يقدّر اللّه تعالى فيها شيئاً بالخصوص بل تبقى معلّقه على مشيّته وإرادته . وهذا لا يوجب الجهل فيه تعالى لأنّه تعالى كما هو عالم بطرف الرحمه عالم بطرف الغضب والعدل أيضاً . وأمّا اختياره لأحد الأطراف ، فيرجع إلى رأيه القدّوس ولا دخل له بعلمه ، وأمّا علمه بما يختاره فمآله إلى اختياره لأحد الأطراف ، فتأمّل جيّداً .

ولذا نرى أنّ أستاذه المحقّق النائينى قدس سره أقرّ بأصل البداء لدلاله الأدلّه عليه ولكن أرجع علمه إلى أهله(۲) . فلو كان البداء بمعنى الإبداء لكان الأمر سهلاً غايه السهوله ولا يكون عليه غبار أبداً ، كما أنّ تلميذه المحقّق الروحانى قدس سره لم يرتض ما ذكروه فى المقام لعدم قناعته بما ذكر من الحلول ، وأوكل علمه إلى أهله(۳) .

والذى يهوّن الخطب فى المقام هو أنّه ليس مراد الأعلام رحمهم اللّه تعالى إنكار البداء الوارد فى الكتاب والسنّه قطعاً ، كيف وهم مأمونون على دين الناس ودنياهم وأجهدوا أنفسهم بل أوقفوها لخدمه الدين ولذا التزموا بجميع الآثار المترتّبه على البداء الحقيقىّ كما هو ملحوظ من كلمات المحقّق الخوئىّ قدس سره فإنّه التزم بالدعاء وحصول الخوف والرجاء ، إنّما أخطأوا فى التخريج الفنّىّ للمسأله . والعصمه لأهلها والحمد للّه ربّ العالمين .

۱- التوبه : ۱۰۶ .

۲- أجود التقريرات : ۱/۵۱۳ .

۳- منتقى الأصول : ۳/۴۰۴ .

ص: ۲۷۸

ص: ۲۷۹

الفصل الحادى عشر :

كلمات العلماء البشريّين فى فاعليّه اللّه تعالى والبداء

(۱)

تمهيد :

إذا كانت يد العلم البشرىّ هى أقصر وأعجز من تناول كنه الحقائق الماديّه على حقيقتها اعترافاً من كبارهم وإذعاناً من خبرائهم فى العلوم التجريبّه والحسيّه فإنّها بالنسبه إلى نيل الغيب والعلوم الممنوعه عن الحسّ أعجز وأقصر ، بل حقّ القول أنّ البشر لا سبيل له من ذات نفسه إلى إدراك الحقائق الغيبيّه بشكل عامّ ، والعلوم والمعارف الإلهيّه بشكل خاص .

والطريق الوحيد الذى يستطيع سوق الإنسان بين أطناب حجب الجهل إلى عالم الغيب هو طريق الوحى الذى ينطق عن اللّه سبحانه وتعالى وينبئ عمّا وراء حجاب الغيب ، أمّا محاوله الإستغناء عنه فلا يزيد صاحبه إلّا حيره ومتاهه وإلّا ظلمه وجهلاً وعمى .

من هنا كان الإنفصال عن معارف القرآن و علوم حملته عليهم السلام أو محاوله تفسير القرآن وكلام حَمَلَته عليهم السلام بالأفكار البشريّه الدخيله أو الممزوجه بأفكار علماء اليونان أو الهند ، كان ذلك سبباً أصيلاً فى الانحراف عن الحقّ ومزاوله الحقيقه ، ومهما كان الابتعاد أكثر أو السعى لفهم كلام اللّه تعالى وكلام حَمَلَه القرآن عليهم السلام بالفكر المشوب بالأسس الإغريقيّه أشدّ كان الانحراف أعظم وأكثر والمصيبه أدهى وأمرّ . ولأجل هذا نرى أنّ علماء البشر ما استطاعوا الوصول إلى الحقائق فى الدين ووقعوا فى شبهات

۱- هذا الفصل كُتب بعد وفاه شيخنا العلّامه علم الهدى قدس سره فلم نوفّق لعرضه عليه ، وسعينا لإيراد الإشكالات على كلمات العلماء البشريّين بنفس الطريقه التى تعلّمناها من الأستاذ ؛ علىّ الرضوىّ .

ص: ۲۸۰

ما قدروا على الخروج منها بالفكر البشرىّ كشبهه التشبيه بين اللّه تعالى وخلقه فى مبحث التوحيد وشبهه الجبر فى بحث الإراده وشبهه المعاد الروحانىّ فى بحث المعاد وغيرها من الشبهات فى مباحث أصول الاعتقاد .

قدره اللّه حقيقه لا خيال :

من ضمن الشبهات التى وقعوا فيها هى سلب الإختيار بمعناه الحقيقىّ عن اللّه تعالى ، فذهبوا إلى أنّه تعالى فاعل بالرضا أو العنايه أو التجلّى أو العشق أو القسر وغير ذلك من الأقوال التى ستقف على أشهرها ويرد على كلّ واحد منها ما لا يخفى على المطّلع على المعارف الإلهيّه المستوحاه من الكتاب والسنّه والعقل .

ولا يهمّنا التعرّض لجميع الأقوال ههنا إذ فى ذلك خروج عن محطّ الكلام ولكن ما يسع البحث طرحه هو أنّ من ذهب إلى كون فاعليّه اللّه تعالى بالرضا أو التجلّى أو غيرها من أنواع الفاعليّات المطروحه فى كلام علماء البشر ينكر اختياريّه اللّه تعالى وإن كان من حيث لا يشعر ، والمنكر لمختاريّه اللّه تعالى لا يستطيع أن يلتزم بالبداء ، إذ البداء وقدره اللّه تعالى على تغيير ما شائه وأراده وقدّره وقضاه وأمضاه فرع لثبوت قدرته على أن يشاء وأن لا يشاء حقيقةً لا لفظاً ، وإنكار قدرته تعالى على أن لا يشاء فى صوره تماميّه فاعليّته هو عين إنكار مختاريّته تعالى فى أصل الفعل فضلاً عن تغييره . فلا يتمكّن من أسّس فكره على المبانى البشريّه من قبول البداء الوارد فى الكتاب والسنّه للتعارض البيّن بين ما جاء فيهما مع الأفكار المستوحاه من العلوم الإغريقيّه القديمه .

وبما أنّ البداء كما عرفت موءسّس على مسأله علمه تعالى وقدرته ، وأنّ البشر تخبط فى البداء لجورهم عن قول الحقّ فى العلم والقدره ، لزم الإشاره إلى بعض ما

(۲۹۰)

ذكروا فى العلم الإلهىّ وفاعليّته تعالى وما يترتّب على مبانيهم من مفاسد وإشكالات ، ثمّ بيان مقالتهم فى البداء .

ص: ۲۸۱

قال صدر الدين الشيرازىّ :

لاـ شـبهه فى أنّ واجب الوجود تـامّ الحقيقه وفوق التمـام وكـذا لضـرب من ملائكته المقرّبين والعقول القادسـين تامّه الـذوات متصـلّه الهويّات بهويّه الواحد

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بکلمة الشکر والتقدیر إلی مکاتب مراجع التقلید منظمات والمراکز، المنشورات، المؤسسات، الکتّیاب وکل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیه اصبهان للتحریات الکمبیوتریه
www
للحصول علی المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المـرکز من فضلـکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹